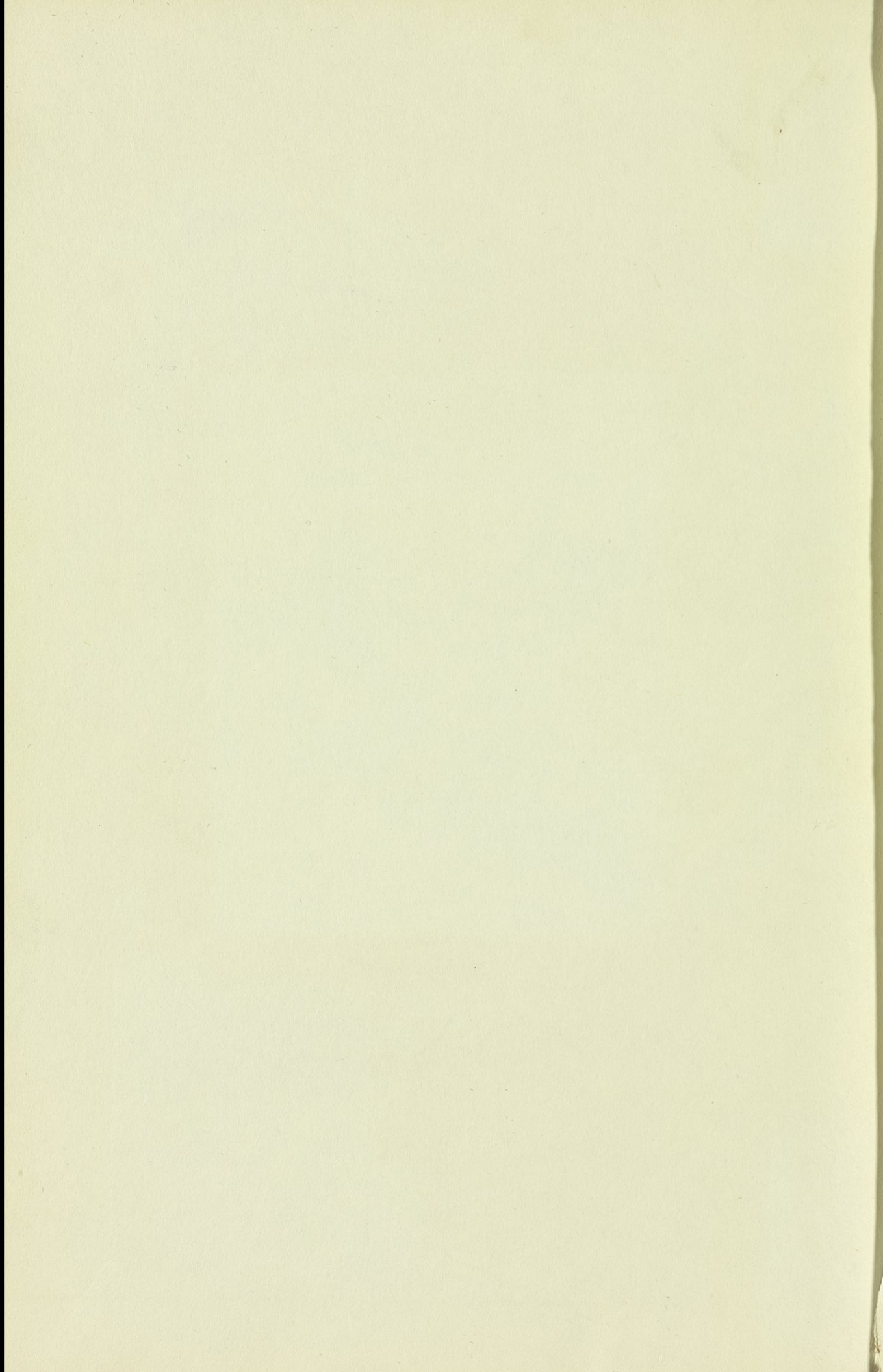
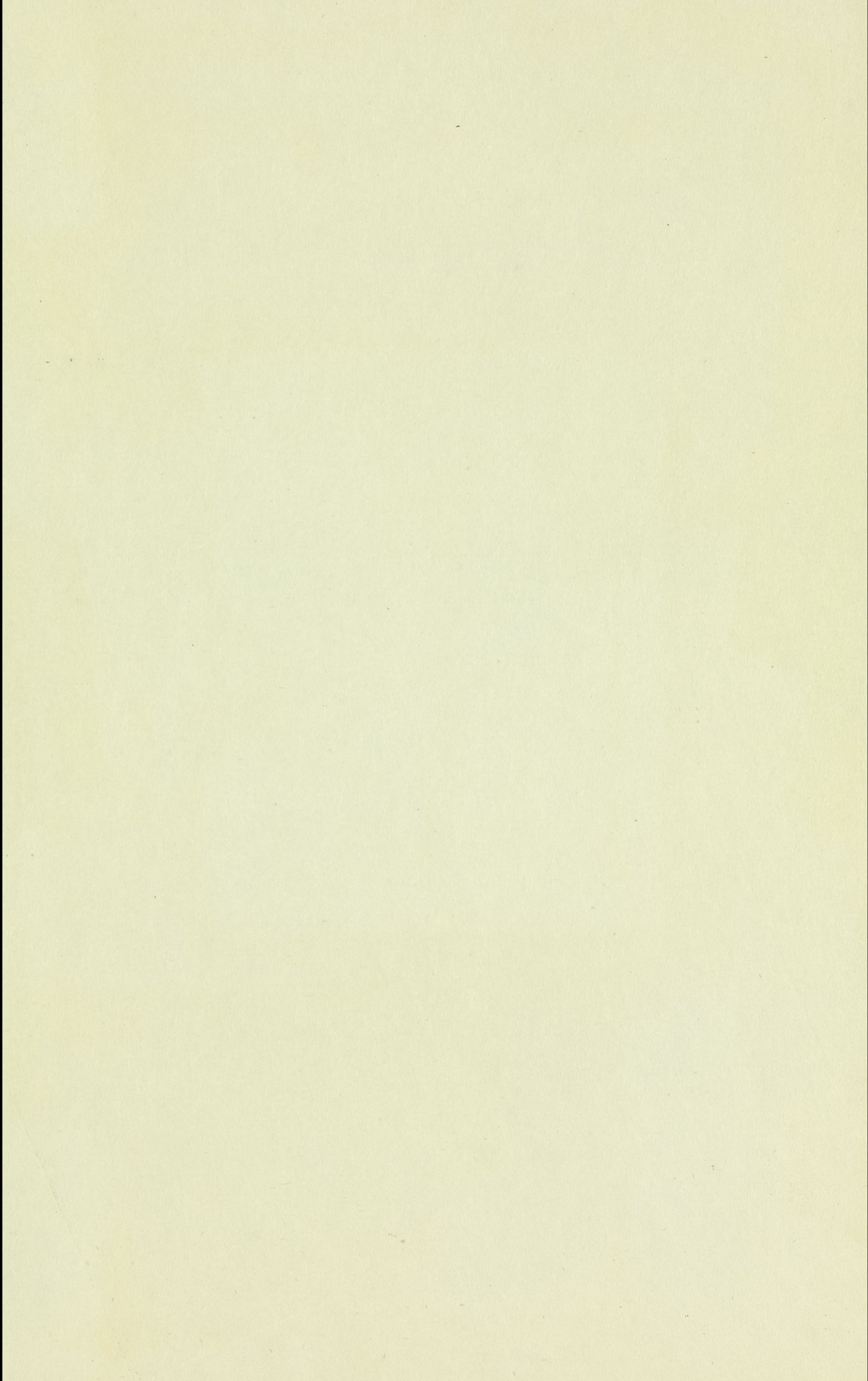


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY







مديرية التأليف والترجمة

وزارة الثقافة والإرساء القومي

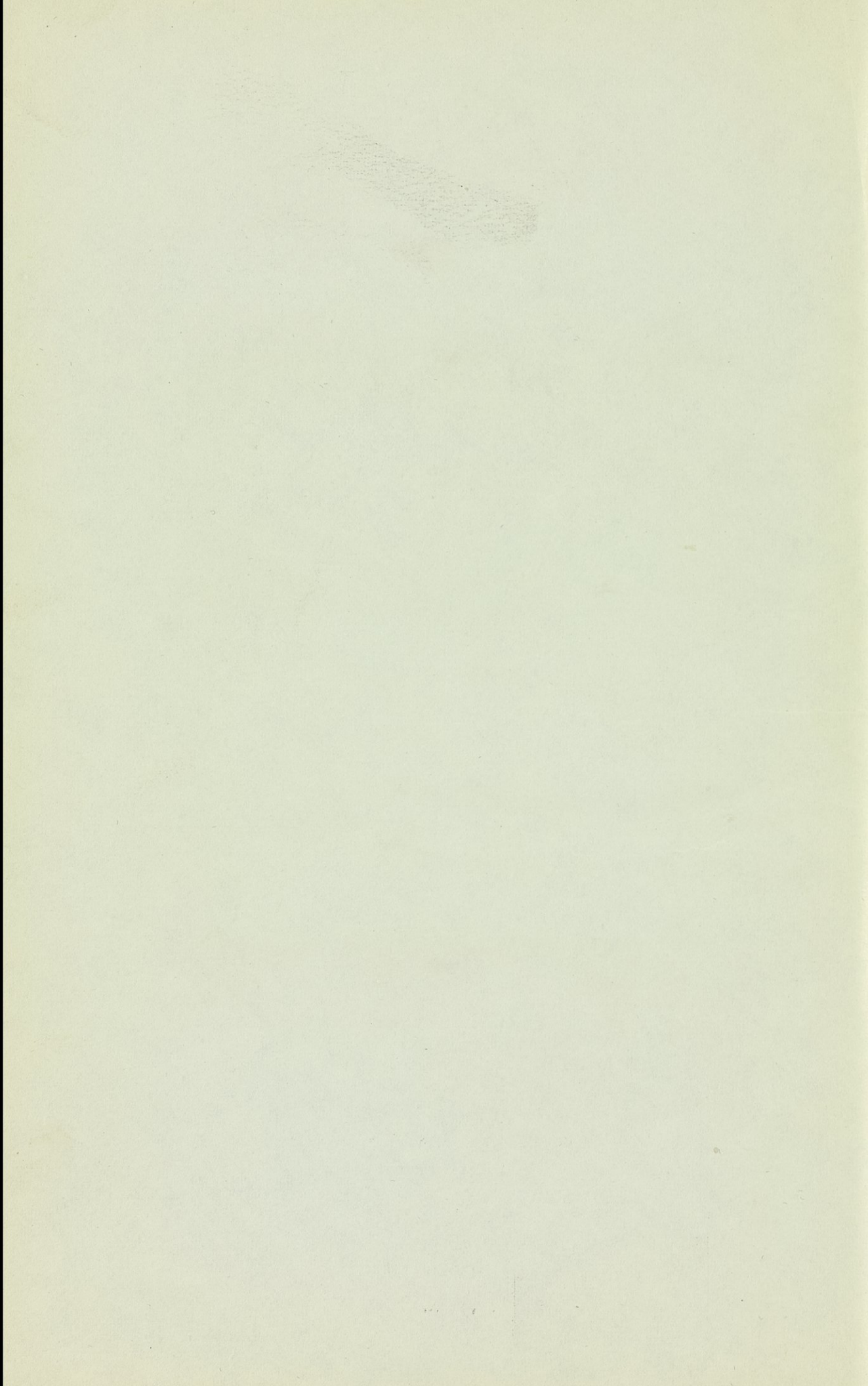
انطباعات مفترَّب في سورية



تأليف

عبد المسيح حداد

دمشق ١٩٦٢



مكتبة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

انطباعات مغترب

في سورية

تأليف
عبد المسيح حداد

دمشق

١٩٦٢

956.9
H118

مقدمة

عندما سأل أحد الصحفيين العرب الاستاذ عبد المسيح حداد عن شعوره اثر عودته لوطنه العربي الاول صيف السنة الماضية بعد غياب خمسين سنة اجاب : « انه شعور من استطاع استتزال كوكب من السماء الى جيبه » وهذه العبارة البليغة تلخص في رأيي أروع تلخيص فصول هذا الكتاب القيم وما انطوى عليه من مشاعر نبيلة لمغترب وكاتب كبير وانطباعاته وتأثراته ببلاده .

واستتزال كوكب من السماء الى قبضة اليد صورة شعرية ملهمة نادرة تعكس حسا مرهفا مثقلا بأسرار النفس والروح وروعة الحياة والوجود . وواقع الامر أنك حين تقرأ هذا الكتاب فكأنك تقرأ قصيدة طويلة تخرق مع صاحبها حجب الزمان والمكان فتعود القهقري الى الوراء خمسين عاما أو يزيد ، حين اغترب أدينا الكبير عن وطنه سوريا العربية ، وهو فتى في مطلع الحياة ، وفي وقت كانت فيه

البلاد رازحة تحت نير الحكم العثماني ، وكابوس الجهل والمرض والطائفية والفقر • وعاد اليها الصيف الماضي فاذا به يرى بلاده دنيا جديدة : جديدة بمدنها وابنتها وشوارعها ومدارسها وجامعاتها ، جديدة بعزيمتها وشبابها وروحها المتدفقة الساعية الى تثبيت دعائم الحضارة الثلاث الحق والخير والجمال • مدفوعة ومندفعة بروح عربية قومية صادقة تسعى لان تعيد الى العالم الجديد صور الماضي العربي المجيد وماثره وأمجاده • ولان تفرض احترام العرب على العالم اليوم كما فرضته في الماضي بما ساهمت من مآثر حضارية وعلمية تخدم الروح وتوسع آفاق الفرد وتسعى الى رفعة الانسان العربي الجديد وتحقيق وجود أملاً وحياة أفضل • ويشع في الكتاب بكامله شعور غبطة فائقة اذ يجد الكاتب بلاده حرة بعد أن كانت مستعبدة • وسيدة نفسها بعد أن كانت مكبلة بالقيود • ومستيقظة متحركة بعد أن كانت نائمة راكدة • يذكر الماضي كما عرفه قاتماً مظلماً ، ثم يرى الحاضر كما شاهده فيجده نيراً مشعاً • ويبدو وكأننا هو في حلم جميل يحرص أن ينقل تفاصيله • والكتاب من هذه الناحية - أي من ناحية تصوير انطباعات مفكر عربي يشاهد بلاده بعد غياب نصف قرن من أروع ما في الادب العربي في المهجر كأثر بليغ يربط الحاضر بالماضي من جهة ويكون صلة وصل روحية بين الحاضر والمستقبل • انه اختراق الزمان الى الوراء وانطلاقة بديعة الى المستقبل •

ان من يدرس دقائق الهجرة العربية الى العالم الجديد شماله وجنوبه واحوال المغتربين ليأخذ العجب من المآثر الكثيرة التي حققتها الجاليات العربية في المهجر من اقتصادية واجتماعية وادبية • ولا ريب في أن طبيعة هذه المآثر الحركة الادبية التي بلغت أوجها في الرابطة القلمية في نيويورك والتي عرفت بين قادتها مؤلف هذا الكتاب الاستاذ

عبد المسيح حداد وجبران والريحاني ونعيمة وأبو ماضي وعريضة وندرة حداد وغيرهم • ولا نبالغ ان قلنا ان هذه المدرسة الادبية العربية في المهجر تكون ظاهرة فذة فريدة لا في النهضة الادبية العربية الحديثة فحسب بل وفي تاريخ الاداب العالمية اطلاقا • ذلك اننا نجد هنا وهناك ادبيا يرتحل لبلد ويعيش وينتج فيه • اما ان نجد مدرسة ادبية بكاملها تنشأ في تربة أجنبية وفي بيئة غير بيتها ويكتب قادتها بلغتهم الاصلية فينشؤون مدرسة جديدة مجددة بروحها واسلوبها وتؤثر في ادب البلاد الام فهذه الظاهرة لم توجد الا في الادب العربي في المهجر • ان جاهلا فقط ينكر ما كان لهؤلاء الادباء من أثر عميق بليغ في تطور الاساليب العربية الحديثة او ينكر اصلتها العربية • وان دل ذلك على شيء فانما يدل دلالة قاطعة على عمق الروح العربية في المغتربين اجمالا وفي قادتهم المفكرين خاصة وتمسكهم ببلادهم وتعظيمهم لتراثها واملهم بمستقبل مشع لها • انها برمتها ظفر الروح المتوثبة وانطلاقها من قيود الزمان والمكان لتدرك ببصيرتها ما وراء الزمان والمكان وما تحبل به الاحداث وما تتمخض عنه • فادباء المهجر والاستاذ عبد المسيح حداد من أكبرهم وبين أول قادتهم كانوا بين الاوائل الذين رأوا الرؤيا : رؤيا عالم عربي موحد متوثب متغلب على ضعفه • انها رؤيا انبعثت من آلامهم الصارمة وآمالهم الحرة وسجلت بادبها نثرا وشعرا دستور الفئة العربية الواعية للمستقبل العربي • « وانطباعات مغترب » حلقة أخيرة في هذا السجل المجيد الخالد •

ولئن كان يحز في نفس كل أديب عربي أن تنطفئ هذه الشعلة المقدسة المباركة التي كانت الرابطة القلمية منبرها للعالم وان يطوي الابد بين طياته زفرات جبران ونعيمة وحداد وعريضة فمن نعم الحياة الادبية العربية ان يضع اليوم الاستاذ عبد المسيح حداد - الذي سجل

في ما مضى على صفحات جريدته - السائح - توثب الروح العربية وشوقها
وحيرتها وألمها ورجاءها ، والذي شارك في كل أزمة من أزماتها
والذي خلد في كتابه « اقاويص المهجر » تفاعل المغتربين مع البيئة
الاميركية الجديدة - اقول من نعم الادب والفكر أن يطلع علينا اليوم
بكتابه الجديد « انطباعات مغترب » فكأنه الجدوة الاخيرة لشعلة
ملتهبة لئن خف ضياؤها لكن ومضات نورها لا يمكن أن تغيب . وهل
اقدس من الكلمة سجلا خالدا لتوثب الروح .



لقد اتاحت لي الظروف بحكم عملي أن اعيش بضع سنوات في
المهجر وان أعرف عن كثر حياة الكثيرين من المغتربين وان ألمس عن
قرب بين الفئة الواعية منهم حبهم لبلادهم وتعلقهم بها وحينئذ لها
وغيرتهم على مصالحتها . ولكم تكتحل عيون الكثيرين منهم بالنور
عندما تذكر بلادهم لهم ولكم تطفح قلوب الكثيرين منهم بالشوق
عندما يسمعون عن جهاد بلادهم وكفاح قادتها في سبيل انطلاق الشعب
العربي من أغلال التقاليد وتحريره وتوحيده . وقديما قال الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيتها

واتاحت لي هذه السنوات أن أتعرف الى الاستاذ عبد المسيح حداد
وان تجمعي اليه صداقة فكرية وقرابة روحية عميقة . فعرفت فيه
صفاء الروح كأكثر ما يكون الصفاء ، وتوقد العروبة الحية كأكثر ما
يكون التوقد ، والايان بمستقبل امته كأقوى ما يكون الايمان . كل
ما ذكرت ، كل هذا الصفاء وذاك التوقد ، الذي لا أظن أني وفيته حقه
في ما قلت ، ينعكس في أبعاد وسيعة وتصوير ممتع في كل صفحة من
صفحات « انطباعات مغترب » وكل فصل من فصوله . انه حديث من
وحي المحبة ، محبة الاديب المغترب لبلاده ووطنه ، وجولة روحية في

احداث الزمان وتطوراته ، تعكس فهما عميقا لمشاكل البلاد وقضاياها
وعوامل التقدم والتطور فيها وعللها وادواتها • وللروح حديث يتبدى
ولا ينتهي • وما تحسبه أو تظنه نهاية فهو ليس الا أول البداية •

جورج طعمة

مكتبة طعمة

مكتبة طعمة
بناية طعمة
شارع طعمة
بيروت

مكتبة طعمة
بناية طعمة
شارع طعمة
بيروت

كلمة المؤلف

قيمة الكتابة ولا سيما عن الرحلات هي في استطلاع وجوه المستقبل من وجه الحاضر .

اذن فوضع كتاب مهما يكن موضوعه ، لا يكون ذا فائدة ان لم تكن له هذه القيمة التي تصل الحاضر بالمستقبل وتضع نور الاختبار والاستنتاج والتحليل على الاشياء المجهولة او الغامضة لفائدة القراء التائقين الى ادراك المصائر من حساب الدهر بوقوفهم على الادلة الثابتة في توجيه حاضر حالهم أو من التكهن الذي له عادة أكثر من وجه .

لذلك أراني أمام أمر هام ، وهام جدا ، في عزمي على وضع كتاب عن رحلة قمت بها في صيف ١٩٦٠ الى الوطن بدعوة من وزارة الثقافة والارشاد القومي وأنا حيال عزمي هذا أكون رهن بصري - وسمعي وضميري وقلمي الذي لا يسطر الا حرا جريئا في قول الحق

وفي ابداء الرأي بعد درس وتبصر شاملين ♦

ولقد جاءت رحلتي الى الوطن الاول بعد اغتراب طال ثلاثا وخمسين سنة وكنت هجرته وأنا في مطلع الشباب ولما عدت اليه كنت محاطا بأصفاد الشيخوخة الا انه لم يكن طول اغترابي الا ساكنا في وجداني محتلا آفاق خيالي وملازما جناني وقد حملني هذا كله على أن أخدمه وأنا مغترب عنه بقلمني فأنشأت في نيويورك جريدة « السائح » لتكون عدتي في الوفاء بعهد وطني الاول وكنت حينذاك في مطلع السنة الثانية والعشرين من العمر وظللت على اصدارها حتى بلغت عتبة الشيخوخة لا يحلو لي من الاعمال العالمية غير الانشاء وغير العمل في سبيل تحرير وطني الاول واستقلاله من أي نير خارجي أجنبي أو داخلي أناني ♦

وأقول « وطني الاول » لانني تعلقت معه بوطني الثاني وما هذا الوفاء مني بعهد الاول الا ما يجيزه لي الدستور الديمقراطي الذي لوطني الثاني الاميركي فهو الذي سمعته من فم القاضي الذي تكلم في جمهور امثالي عند تسلمنا ورقة الجنسية الاميركية اذ قال :

« ان من لا يتعهد وطنه الاول بحبه وغيرته وميله الى عضده لا يمكن أن تثق بحبه وطنه الثاني وغيرته عليه وميله الى عضده فهو قد تألف من امثالكم المهاجرين اليه من شتى بلدان العالم فكونوا بعد انخراطكم في جنسية هذا الوطن الثاني أوفياء مخلصين بعهد اوطانكم الاولى » ♦

وقبل أن أرسم خطوط الرحلة في وطني سورية وتدوين ما ابصرت فيه عياني من تغييرات زمنية وسياسية ارغب في نشر بعض ما نشره قلمي في بعض الصحف السورية خاصة عن عواطف الوطنية التي صحبتني طوال حياتي فأبدأ بمقال لي نشرته جريدة « الايام » الدمشقية لصاحبها الأستاذ نصوح باييل عميد النقابة الصحافية وهو ما يلي :

وطني الحبيب مهد صباي الفالي

قال قلم الجريدة في مطلع المقال هذه التقدمة :

الاستاذ عبد المسيح حداد صاحب السائح ، الشاعر الناثر ، وبقية
الرابطة القلمية في نيويورك ضيف دمشق بعد اغترابه الطويل ، سجل
عواطفه ، عند وصوله الى الوطن بعد ثلاثة وخمسين عاما من الاغتراب ،
في هذا المقال الممتع ، نشره مثنى على جهاده في سبيل العروبة وفي سبيل
لغة العرب) ♦

قال أبو جرير :

« خلته لا يعرفني بعد دهر طويل من تغربي عنه ♦ فاذا بي أرى نفسي
على مرآة روحه الزكية ، فاهتز طربا ونشوة وأقول — هذا هو وطني
وانا ابنه على أرضه الان ، والله ما اطيب ترابه !

اما انا فلم أنسه ولن انساه ، فقد حملت صورته بين أضالعي اطلع
عليها كل يوم — كل ساعة — فتلذذ لي ذكراه ♦ ثم تفتح شفثاي عن ألف
آه وآه ♦♦♦♦

يا وطني الحبيب — يا سورية أم الامم — ها أنا ابنك المغترب قد
عاد اليك وجلا حائرا في ذاته فهل تعرفيني بعد ثلاث وخمسين سنة ؟

اوه ما اصعب الاغتراب عن الام الحبيبة ! ولكن لله ما أحلى العودة
الى احضانها ، وقد شاخ الابن مثقلا بهموم الشواغل ، وفي نفسه ما
يزال أمله باجتماع الشمل !♦

وانا ان اخترت وصفا لعاطفتي نحوك يا سوريا — يا أمي
الحبيبة — يا غادة احلام الصبا وعروس الشباب وقبلة العين والقلب
— لا أجد في حافظتي ما ينطبق عليها غير بيت من قصيدة عاطفية نظمها
أخي الحبيب المغفور له ندره وهو :

لا زار جفني الكرى لاهزني الطرب ان كنت يوما لغير العرب اتسب

كثيرا ما حاول اصدقائي في نيويورك اقناعي للقيام بزيارة الوطن القديم فكنت أتردد عند الافتكار بأني اصبحت في دنيا ذلك الوطن نسيا منسيا • وكثيرا ما كنت اذكر في مجال ذلك افراد الاهل وأوضاع الزمان والمكان مما لم يفارق حافظتي فأقول في نفسي :

« ما لي ولزيارة سورية بعد طول اغترابي - لم يعد لي فيها من اذكرهم - لا أبوان ، لا اخوان ، لا اتراب ، لا اصحاب - الدار مهجورة ، وتوتتها الكبيرة الوارفة الاظلال ، واليزفونة ذات الازهار المعطار ، والدالية الحانية بعناقيد الحصرم والغنب - كلها ذهبت في طيات العدم ، فمالي وللرجوع ؟ » •

لكنني رجعت ، وها أنا اجدني عارم الصدر فرحا بما رأيت ومترنحا بما سمعت وبما وعيت • هذا وطني الفقير قديما أصبح غنيا باصلاحاته ، متطلعا الى المستقبل بازدياد عمرانه ، وبالاكثر بحرصه على الخلق العربي الكريم الفريد - ذلك الخلق الرضي المتمك بالطيب منذ أن عرف الانسان انسانيته - الحب في صميمه وقلوب أبنائه ، والضيافة، التي لا تدانيها مدهنة ، والاخاء الصحيح الذي يجمع المقيم بالمغترب مهما تباعدت الاوطان وآفاق الهجرة •

عليك السلام يا وطني الحبيب ، واليك بواسطتي السلام المبارك الوافر طيبه من جميع الذين انجبتهم وودعتهم بطرف باك • هم حملوني اليك هذا السلام مما تحت شغاف قلوبهم •

وأنا بعد هذه الرحلة سأعود لاخبر الجاليات السورية بأن أمهم سورية لا تزال أمهم الحنون • وأن اخوانهم بنبيها المقيمين هم اخوانهم الذين لا يحول لهم لون اخاء ، ولا يتغير له وضع ولا شكل ، على الرغم من كل تغير زمان وتوارد نواشيء تتلاحق وأزمات تتعاقب •

سأعود بعد الجولة لهذه الرحلة لاخبر عن اختبار ، انكم أيها

المغتربون اخواني الاعزاء ، مثلي تذكركم أمكم سوريا ، وسأحدث
عنكم لها في مقال آخر أو أكثر عن ثبات عواطفكم نحوها وعن افرادكم
المجاهدين في تاريخ اغتربكم ، وعن أولئك النفر الخالدين بأثارهم
الادبية الذين بدأ أدبهم على أساس تعلقهم باللغة العربية - لغة
آبائهم وأجدادهم وميلهم الى تعزيزها تحت كل سماء .

أما أتم يا زعماء سوريا فما لي الا أن أضرع اليه تعالى أن يحفظكم
لهذا الوطن الذي سعد بخدماتكم واصلاحاتكم . سلمت أيديكم
يا أرباب الوفاء بعهد سوريا العربية الفخور بفنونكم وأعمالكم في سبيل
رقيها ورفع اسمها عاليا بين جميع الامم » .

ونشرت جريدة « النصر » الدمشقية مقالا لي اقترحه عليّ مراسلها في
حمص وهو ما يلي :

وطني الحبيب

بعد اغترب طويل عنه في المهجر

شاهدت منزلي بعد فراق طال ثلاثا وخمسين سنة ، فرأيته أولا غريبا
ثم وجدته قريبا ، اتلمس فيه روح الوطن الذي منه هاجرت ، ولكنه لم
يفارق نفسي كيفما اتجهت وسرت ، وقد تزاومت ذكرياته بين الضلوع ،
ولا سيما منها ما يكون عن حوادث جسيمة ، وتقلبات عظيمة طرأت
عليه ، فتمثلت فيها ادوارا كنت عندها افرح للمفرح واحزن للمحزن منها ،
كأني حامل جميع وطني في نفسي المحدودة الصغيرة ، وكأن الوطن
نفسه كان لي الزم من خيالي في جميع ضروب تغربي وترحالي .

انا الآن في هذا الوطن الذي لم يغب عن فكري وضميري طوال غربة
عديدة السنوات ، وقد شاهدت فيه تجديدا وتجويدا آخذين
بتطويره ورفع مستواه أكثر مما كنت أتصور وأحسب فيما كنت
بعيدا عنه .

ولدت تحت سماء سورية ، وعلى أرضها شبيت ، وواسفي لاني في

سواها شبت فلم يكن لي حظ الجهاد مع أبنائها في تطورها المتسارع ،
الا بالقلم والا بالتحرق والالام •

وسورية وطني العزيز في التاريخ أقدم بلدا عمرا ، وأكثر بلدان
العالم تجارب ومصائب • الا أنها أثبت ، مما ذكره التاريخ عن سواها ،
على وطنيتها ، ومن أرضها وروح عمرانها بدأ ما ندعوه تمدنا عالميا
على الرغم مما فوجئت به من غزوات ، وما منيت به من فتوحات
وانقلابات كانت جميعها غذاء للحياة فكانت تبقى حائزة فتحا بعد فتح ،
وانقلابا بعد انقلاب ، على اعجاب التاريخ وكتابه وقرائه بقوة
حياتها •

وهي كما أراها اليوم تلفظ عنها الاطمار ، وتمزق أغلال الاسار ،
وتفتح العيون والاجفان ، لتأخذ شأنها بين أمم العالم شابة مهابة ،
وناشطة وثابة لا كما زعم الاعداء عنها انها قد شاخت وهرمت •• بل كما
هي اليوم كما تراها عين مغترب مثلي • عروسا وضاحة المحيا • جذابة
خلاصة تجرر اذيالها هازئة بوحوش الاستعمار • ساخرة بقواهم المخدولة
بضعفها • تستدعي اعجاب ارباب البصائر والابصار بمقدرتها على أن
تولد من جديد بعد انطوائها حيننا بعد حين تحت اثقال المعتدين ومظالم
القاتحين •

هذه هي سورية التي كانت مطمع الساميين والاوروبيين والفرس
والاتراك استعمرها الاتتداب الفرنسي أخيرا فدفعته بعزمها وقوة روحها
الى القاتحين القدامى مخدولا يعض ذنبه مقهورا لتستعيد حرقتها ، صلبة
العقيدة في الحياة مهما تعاضم عليها طغيان الظلم والعدوان • ومهما
تألب على اذلالها من مطامع المعتدين الظالمين •

وهؤلاء بنوها ، كما شاهدتهم ، فازداد فخري بهم وأملني بنهوضهم •
يعملون ويعملون جادين واعين لحياة بلدهم بشبابهم العليم وأملهم
النشيط القويم •

رأيت في سورية الخلق الذي عرفته في ناسها الشم الانوف وعنها
وعنهم قبسته وادخرته وفاخرت به • لا يزال حيا وناميا • لا يزال ناسهم
له كيفما بلوتهم • فهم للقري وحفظ الدمام ورعي العهود بهذا فقيرهم
اغنى من غني بمادته وغنيهم يغني الحياة باحساناته وعواطفه وليس
كغيره من اغنياء الدول المستعمرة ينهب ليكبر • وفقير سورية وغنيها •
قويها وضعيفها • العامل والمعمول له ، الحاكم والمحكوم منه ، لا يعرفون
لهم ربا غير خالقهم المعجب بحياتهم ، وبأجيالهم السادة النجباء •



تسمية هذا الكتاب

اطلقت على كتابي هذا اسم « انطباعات مغترب » وهذا الوضع للاسم يعود فضله الى ذكاء الصديق الاديب العربي الكبير الاستاذ حبيب جاماتي احد محرري مجلة « المصور » القاهرية فقد قرأت له في عدد من المجلة صدر في اثناء وجودي في القاهرة الكلمة التالية :

نسيم الوطن

« عبد المسيح حداد ، الكاتب الصحفي المغترب ، مر بالقاهرة في طريق العودة الى مقر عمله في نيويورك ، بعد أن أقام بضعة شهور بين سورية ولبنان ...»

هذه أول زيارة له ، بعد هجرته منذ ٥٣ سنة وصحبته عقيلته الفاضلة ، التي غابت أيضا عن الوطن الاوّل ٢٨ سنة .

قال عبد المسيح ان كل شيء قد تغير ، ليس في مسقط رأسه ومهد أسرته « حمص » بل في كل مدينة وكل قرية .

دنيا اليوم غير دنيا الامس في بلاد العرب

ولكن دنيا اليوم خير الف مرة من دنيا الامس ، لان الشعوب العربية تنعم الآن بحريتها واستقلالها في ظل أعلامها الوطنية ، بعد أن طويت معالم الطغيان العثماني ، ثم أعلام الاحتلال .

الاماني التي طالما تغنى بها عبد المسيح حداد على صفحات جريدته « السائح » في ديار الغربية ، أصبحت الآن حقائق ملموسة ، وقد رآها ولمسها ، وعاد يحمل - كما قال لنا - في طيات صدره تفحات من نسيم الوطن ، وفي ذهنه ذكريات سوف يدونها في كتاب قد يكون عنوانه « انطباعات مغترب » .

ظلت جريدة « السائح » تصدر مدة ٤٥ سنة . ثم احتجبت . ولكن صاحبها لا يزال يوافي القراء بنفثات قلمه الرائعة ، في جريدة « البيان » التي تصدر في نيويورك .

وسيصدر عبد المسيح حداد ذكرياته عن جبران خليل جبران . فقد كان زميله ورفيقه في « الرابطة القلمية » التي ضمت في وقت من الاوقات ألمع أدباء المهجر وشعرائه .

جهاد مستمر في سبيل الابقاء على الادب العربي ، واللغة العربية ، والصحافة العربية في بلاد الغربية . ولكن هذا الجهاد - جهاد الافراد - لا بد أن يدعمه تشجيع مادي وأدبي ومعنوي من الحكومات العربية ، وعلى الخصوص من حكومتي دمشق وبيروت .

أطال الله في عمر عبد المسيح ، ورفاق عبد المسيح ، من العاملين في حقل الادب والصحافة ، فقد صنعوا العجائب ، ومجرد بقاء صحفهم في الميدان معجزة من المعجزات .

ونحن في انتظار « الذكريات » وفي انتظار « الانطباعات » .

هذا ما جرى به قلم أخي حبيب جاماتي ومنه انتصبت أمام مخيلتي

« انطباعات معترب » التي جاءت لتفكيري بمثابة مفتاح الالهام فقررت
تسمية الكتاب بها وشعرت في الحال بانجلاء الطريق أمامي الذي اتقي
منه تلك الانطباعات كأنها سبقتنني اليه وكان الفضل للحبيب « حبيب »
في التسمية والتدليل على الطريق نفسه فأشكره الآن وبعد الآن مثنيا
على فطنته وهدايته ♦



عودة الى الوطن

بعد غربة ثلاثة وخمسين سنة

لا يخفى على كل ذي حجي ان لأي مغترب طال اغترابه ثم عاد الى وطنه ، وجهين من الانطباعات - هما : الوجه الذي عرفه لبلده حين بدأ اغترابه ، والوجه الذي شاهده فيه بعد زيارته • فأنا المغترب العائد الى الوطن الاول بعد غربة ثلاث وخمسين سنة أكون مخضرمًا ووطنيا ، أي أمضى جزءًا من عمره في الوطن الذي ولد تحت سمائه ، وجزءًا آخر في بلد غريب توطنه مختارًا • ولا مرء في أن تكون له بعد عودته من غربته انطباعات خاصة ترسمها على صفحات نفسه تطورات اجتماعية استجلاها بسروره في ديار وطنه حرية بكشف اللثام عنها لبيان ما تجدد منها قياسًا على ما كان عليه حال وطنه قبل اغترابه عنه ، ولتحصيل رأي في ذلك بطرق التحليل والاستنتاج ، اللذين لا بد من أن يكون منهما تأثير على شأن بلده وشعب بلده •

على هذا ترتب عندي أن للمغرب حياتين : واحدة عبرت وأخرى
حضرت • وعلى الاخيرة أبدأ بمحط الكلام عن انطباعات الحياة الجديدة
وما رافقها من التطور في ظواهرها وبواطنها معا •

ولقد أدركت عند هذا أن العربي اليوم غائص في فترة انتقال من
حال الى حال ، الاولى حال تركت في نفسه أثرا سيئا لحلول احتلالات
متتابعة اجنبية على وطنه ، والثانية حال تحمله على الاطمئنان الى
المستقبل القائم على أساس الحرية والاستقلال ، وهما العاملان اللذان
سطر قلمهما على صفحات نفسي هذه الانطباعات التي سأحدث
القارئ عنها •

رحلت عن سورية في بدء شبابي ، لا كيان لها ، فقد كانت نهبا
للاحتلال العثماني ، وكان فيها كل شيء من عوامل النهوض والنشاط
أما نائما واما خائفا ، ثقافتها متعددة الالوان وجميع الوانها جامدة •
واقصادياتها أضعف وأجمد • أما اليوم في عهد استقلالها فهي على كثير
من النشاط ، ومدارسها عديدة تشمل المدن والقرى ، ومشاريعها
الاقتصادية وفيرة تتناول جميع نواحي العمل وآخذة بميول عالمها الى
مختلف النهضات العمرانية على وعي حر من أبنائها وادراك حر من لدن
الطامحين الى توفير خيرهم وخير بلدهم ، والى استكشاف طرق عديدة
نحو مستقبل بارع الامال ، رفيع المثال ، بميزاته وباقتباساته وانصهاره
على بوتقات الكد والجد ليستقيم شأنه في أسواق الرواج ، وفي تنقلاته
من حسن الى أحسن الى الاحسن لذلك حمدت الله تعالى لاني شهدت
في الحياة الثانية لوطني الاول صورا عديدة افهمتي أن اخواني المقيمين
أصبحوا لا يشكون حكما ولا يشكون بمقدرة حاكم واخلاصه ، بل
يشكرون سائحة استقلالهم التي أفسحت لهم مجالات الوعي والرقى
فانصرف كل منهم في طريق نهضته لتحقيق آماله فيما هو شاعر بزوال

الضغط الاستعماري على رغباته وتفكيراته وأحلامه وآماله .

وانه ليلدّ لي في صدد الكلام عن هذا أن اذكر مثالا رائعا لا تقساح
آمال الناس بالارتقاء نفسيا وعمليا ادركته من سائق سيارة تقلني من
بيروت الى حمص وفي الطريق حدثته وحدثني عن حاله فأخبرني أنه
حمصي بلغ من العمر أواخر كهولته ولكنه مضطر الى متابعة جهاده في
العمل جادا فيه ليله ونهاره ، لان عليه واجب اعانة ابنين له يتلقنان العلم
في احدى جامعات ألمانيا الغربية احدهما يدرس الطب والجراحة ،
والثاني يدرس الهندسة الكهربائية وسمعته يقول : اذا كان الزمان حرمه
من الدرس والعلم فهو لن يحرم ولديه منهما ولذا فهو يجد دون وناء
ويعمل دون شعور بالعياء حتى يكمل أبناؤه دروسهما وعندئذ يطل عليه
وعلى بيته نور المستقبل الزاهر فيلجأ الى التقاعد شاكرا الله على نعمته .
وقفت عند حديث ذلك الوطني وقفة مفكر فيما كانت حياة أمثاله عندما
هجرت وطني وفيما صارت اليه حياتهم في عهد الاستقلال وقد تفتحت
امامهم ابواب الوعي وادراك المسئولية لمستقبل ابنائهم ووطنهم مثل
هذا السائق المجتهد والعامل المفكر بالمستقبل ، الواضع حياته وقيدا
ليدفع بها حياة بنيه ، كثيرون تعرفت اليهم في حمص ودمشق وحلب
وكل بلد زرته ارتقوا في غضون سنوات استقلال سورية القليلة سلالهم
الطموح لاقتياد سوانح سياسية واقتصادية وثقافية ، ناشطين مجاهدين
لرفع مستواهم من الحضيض الى درجات رفيعة ، ومن الفقر الى الغنى ،
ومن الجمود الى بركات الحركة والاندفاع اللذين لا يقلان عن مثلهما في
اغلب المغتربات ، ولكم اجتمعت بحلقات في المنازل والمقاهي والحدائق
رأيت فيها جل احاديث المجتمعين بي عن هذا المشروع العملي وذلك
الثقافي ، وذلك السياسي . ووعيت آراءهم في كل ذلك تتمخض بأحلى
الآمال بسرعة رقي بلدهم وشعبه في كل مضمار اجتماعي .

ولكم اتسعت تلك الحلقات وأدركت فيها أن افرادها يثبتون
وطنتهم منزهة عن عوامل التفرقة اقليمية كانت أم طائفية مداورين
كاخوة بني وطن واحد ، حول اوضاع افتتحت أبوابها الواسعة أمام
تفكيراتهم ومطامحهم ليدخلوا منها الى مستوى حياة اسمر وأرفع -
حياة وطن أصبح حرا لوطنيين أصبحوا أحرارا لا يشكون أصفادا
ولا تعثر أقدامهم بعثار أي الاستعمارات الزائلة من تركية وفرنسية •
بل هم يفكرون بأمور المستقبل وما عليهم من واجبات لتحقيقها لخبرهم
وخير وطنهم •

هذه صورة خاطفة لاحدى الانطباعات الاولية التي لزممتني وعدت بها
من وطني الاول الى وطني الاميركي ، ولما كنت خلال قيامي في وطني
العربي زهاء خمسة أشهر قد تحدثت عن انطباعاتي مع عدد غفير من
رجال الصحافة في العالم العربي أرى لزاما عليّ أن أنشر من تلك
الاحاديث ما هو من الادلة على جوهر تلك الانطباعات ومنها ما يلي :

في دمشق طرح عليّ مراسل مجلة المصور هذا السؤال :

ماذا كان شعورك عندما صافحت عيناك أرض الوطن ؟ وكان جوابي
عن سؤاله ، وقد التمتعت الدموع في عينيّ ، حسب قول المراسل ،
هكذا :

« انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى جيبه » •

وفي حمص قلت لمراسل مجلة الجندي الدمشقية جوابا عن سؤاله :
ما هو أبرز برنامج في رحلتك ؟ ، هكذا :

« دعني أشكر بواسطتك وزارة الثقافة والارشاد القومي على هذه
الدعوة التي أتاحت لي تحقيق أمنية عالية طالما ارتسمت في تصوراتي
وتمنيت تحقيقها ، بأن أكحل عينيّ بأرض الوطن قبل انتقالتي من هذا
العالم • فقد خرجت من بلدي حمص فتى في السادسة عشرة من عمري

واليوم أعود الى أرض الوطن وأنا في حدود السبعين •

وطوال هذه السنين كان الحنين يلج بي الى الوطن الذي ولدت على أرضه وتحت سماءه ، وكنت خلال غربتي الطويلة أشعر بسعادة عظيمة كلما سمعت الاخبار المسعدة تترى عن الوطن الام تروي حكايات انتصاراته الباهرة في الميادين الداخلية والخارجية ••• وأشكر الله على أنني وجدت الوطن وقد أصبح دولة عظيمة تصنع تاريخا ماجدا • ولهذا سيكون برنامج رحلتي زيارة كل المحافظات السورية ثم زيارة لبنان ومصر ••••• « •

يرى قارئى العزيز وصفى للوطن الاول « بالدولة العظيمة التي تصنع تاريخا ماجدا » فقد طابق هذا الوصف شعوري بتقدير ما اخترته فيه من نهضات المواطنين المتسارعة في حقول الاقتصاد والثقافة وغيرهما • وفي اليوم التالي لحديثي مع مراسل مجلة الجندي وقعت على آية باهرة كانت تجيش في صدور العامة قبل الخاصة ، ويردّد معانيها الصغار قبل الكبار ، لؤلؤة مشرقة تتراءى في كل عين ، وتختلج في كل قلب ، وتلتصع على كل لسان عربي ، وفجواها :

« هدفنا قيام دولة قوية في هذا الشرق العربي هي أصيلة لا دخيلة ، حقانية لا عدوانية تكافح وتناضل وتهزم بحقها كل باطل ، وكل مغتصب مكابر ، هدفنا قيام دولة قوية توحد الصفوف والقلوب فلا يطمع في العرب طامع ، ولا ينتهك حرمة أراضيهم منازع ، دولة تصون التراث العظيم وتبني للحضارة صرحها العظيم ، وتنشر ألوية العدل والسلام وتوفر الرخاء لابنائها وللشعر جميعا بقدر ما تتسع صدرها من حب وسماحة » •

قلت في نفسي لما وقعت على هذه اللؤلؤة الباهرة : انها خير دستور لدولة مهما يكن حجمها صغيرا وعدد سكانها قليلا لا بد من أن تصنع

تاريخاً ماجداً حسبما قلت في جوابي لمحدثي مراسل مجلة الجندي •
وجاء في عدد السادس من تموز ١٩٦٠ من جريدة الاخبار الدمشقية
جوابي عن سؤال « ما كان من انطباعاتي النفسية الاولى لجولتي في
الربوع السورية » ما يلي :

« لقد وجدت كل شيء عربياً في وطني الاول والاخير •• الفندق
والشارع والناس ، ان مظاهر التقدم وال عمران بدأت تسود المجتمع
الجديد بشكل عظيم لم يسبق له مثيل •••• » •
وجاء في عدد الثاني من تموز ١٩٦٠ لمراسل جريدة الوحدة الدمشقية
قوله :

وتحدث الحداد عن انطباعاته عن دمشق فقال :

« انني اعيش في حلم جميل وليس في قدرتي أن أقارن بين دمشق
التي تركتها من ٥٢ سنة ودمشق اليوم ••• ان انقلاباً شاملاً وكبيراً قد
حدث فيها وفي مختلف المدن السورية الاخرى •• » •

« وأنا سعيد كما لا تتصور ، بهذا الانقلاب الاجتماعي والفكري •
وبارتقاء المواطنين بالثقافة والوعي •• انني لا آسف أبداً على زوال
الشكل الذي كان منطبعاً في مخيلتي » •

وقد عقب المراسل لجريدة الوحدة على ما ذكره من انطباعاتي

بقوله :

••• واذا سألت عبد المسيح حداد عن القومية العربية ومشاعر

الشباب العرب في المهجر •• اندفع يقول بحماسة :

« لقد كنا نعيش مع الوطن بكل معاركه القومية • وما تزال آمالنا
بالحرية والوحدة العربية التي حملناها معنا في سنوات الشباب تجري في
دماء أبنائنا هنالك جيلاً بعد جيل • ولعله ليس في قدرتي أن أصور لك
الايمان العميق ، وتعلق شبابنا الكبير ، بالقومية العربية التي نأمل أن

توحد بين مختلف أقطار الضاد لنصبح دولة قوية أهدافها المثلى من الحياة الديمقراطية الحرة ومكائنها المرموقة في المحافل العالمية وغدا حينما أعود الى الولايات المتحدة سأقل الى اخواني هنالك كل مظاهر النهضة التي يعيشها الوطن . سأقول لهم ، ان ما رأيته كان فوق ما أملت . . . رأيت التقدم والانتصار . رأيت الوعي والتفتح والسير في مضامير الحضارة » .

ما تقدم نقله عن أحاديثي مع الصحفيين في سوريا قبسة من مدّة او القليل من الكثير ولو أنني آتي على كله لاصلحت منه كتابا ضخما يوضح انطباعاتي عما شهدته من تقدم وطني الاول ، وحماسة الاخوان المقيمين فيه في نهضاتهم الاجتماعية والاقتصادية والوطنية .

والان اختتم هذا الفصل بمقال جريدة الاصلاح النيويوركية لصاحبها العلامة الدكتور الفونس جميل شوريز وقد نُشر في عدد اليوم التاسع من تشرين الثاني ١٩٦٠ أي على أثر عودتي من الرحلة وهو ما يلي :

حديث شاهد عيان

عن أقطار الشرق الاوسط

« عاد الاستاذ عبد المسيح حداد من رحلته الى أقطار الشرق الاوسط دامت اربعة اشهر ونصفا زار في خلالها سوريا ولبنان ومصر . فذهبنا للسلام عليه لسببين : الاول لانه صديقنا ومستودع لقربات روحية أدبية أودعه اياها رفاقه اصدقاءنا من أعضاء الرابطة القلمية أمانة يحق لكل أديب ان يعرف منها ما شاء ومتى شاء . فهو من هذه الوجهة ليس لنفسه بل لغيره ممن يحبون الارتشاف من منهل الادب - نظيرنا - والتقرب للتدفؤ من كانون الادب الذي لا زالت جمراته تستعر وتثير الغريب قبل القريب ممن يقصدون مكتبته الواقع على الجادة الخامسة في

قلب نيويورك العظمى •

والسبب الثاني هو الاستطلاع منه عما حل بسوريا بعد مغادرته لها منذ أكثر من نصف قرن أي من يوم كانت سوريا كغيرها من الاقطار العربية خاضعة للنير التركي الثقيل - وعما تم فيها بعد استقلالها - وأخيرا لنعرف منه - وهو السوري الصميم - ما يعتقده اليوم عن سورية ، أما لبنان فلم نشأ الاستعلام عنه لانه ، ككل بلد ديمقراطي يقرأ من عنوانه ، ليس من دفتيه بل في كل من صفحاته ، فليس ثمة ما يخفى عن أهليه ، ولا عن العالم المتمدن ، وليس اللبنانيون ممن يخجلون بدستور بلدهم وبكيفية تسيير شؤونه • فضلا عن أننا لم نشأ أن نسترخص وقت الاستاذ الكبير فنصرفه دون قيمة لمعرفة ما هو جلي واضح •

ولذلك تلتظف الاستاذ حداد وقال لنا أولا عن سورية مسقط رأسه ما يلي :

تركت سورية منذ ٥٣ سنة ولم أعد لها الا هذه السنة ولا أغالي اذا قلت انني وصلت الى مدينة حمص فكدت لا أعرفها لانها اليوم هي مدينة عصرية ، يبلغ عدد سكانها دون مبالغة ، حوالي مئتي ألف نسمة ، بينما على عهدي ما كانت تزيد على الخمسين الف نسمة •

والمنازل العصرية بطبقاتها الجميلة ، والفنادق المتعددة الغرف والاناقة تزينها من كل جوانبها ، وحتى نهر العاصي صرت ترى على جانبيه البنايات الفخمة ، وتلك البطاح ترى الناس مثل النمل يسيرون فيها قوافل قوافل الى أحد المعامل الضخمة الرابضة كمن يقول - أنا هنا وسأظل •••

الحركة في حمص حركة تجدد ، حركة عمل وانتاج ، اسوة بالبلدان الاوروبية والاميركية • والناس فيها متآخون متحابون ، لم اسمع نعقة

لنصرة ، ولا خطر بيالي انني لست في غير داري •

وما أقوله عن حمص أقوله عن حلب ودمشق ولكن على نطاق أوسع
وأكمل وأجمل • ولا يسعني وجداني أن اشمل مدينة حماه في هذا
الركب المتجدد المبارك ، فمدينة حماه جالسة هناك كالمضربة على نفسها
لا تود خلع الاسمال القديمة عن كتفيها • ففيها لا تزال البراقع والحجب •
أما أنا فأود أن أرى الاشياء الواضحة المتقدمة اليّ - من نفسها دون أن
أزعج أحدا ، أو أضطر أحدا الي أن يعمل شيئا ما لم يكن من تلقاء
نفسه • ولكن وضع حماه الفردي لا بد من أن يغلب عليه روح التجدد
الجماعي •

ويسوؤني جدا أن أقول أن هنالك مدارس طائفية خاصة هي على
تقهقر مستمر مزمن ، وبالتالي هي على عدم استعداد تام لمواجهة مقتضيات
الحياة الجديدة في سورية ، بينما يضطرنني الحق الى التصريح بأن
المدارس اليسوعية هي في أوج مجدها من عملها التهذيبي وخدمتها
للناشئة التي تتعطش الى انتهال العلوم من يبايعها الخاصة ، غير أن
الفضل في النهضة الثقافية الجبارة يعود الى وزارة التربية والتعليم التي
أنشأت ألوفا وألوفا من المدارس الابتدائية والعالية في ألوفا القرى
وعشرات المدن السورية وحسبك جامعة دمشق وجامعة حلب •

بنوع اجمالي لقد أفادتني هذه الرحلة من وجهات عديدة وأولدت
فيّ الأمل الوطيد ببلوغ الاقطار العربية أوج المجد المنشود » •

وختم محرر الاصلاح فصله هذا بما يلي :

« لدى هذه الخاتمة شكرنا للاديب الاستاذ عبد المسيح حداد
اعطاه لنا هذه المعلومات المفيدة التي نحن ننقلها الى القراء لنضم
جميعنا الاماني والتمنيات الصادقة الى تمنياته لرؤية أوطاننا الاولى في
أعلى قمة من الرقي والمجد » •

عوامل العودة الى الوطن

كان لي عونان في حياتي الادبية المهجرية وقد قضت الايام بأن
يسبقاني الى العالم الثاني الا انهما كلاهما تركا لنفسي من شعرهما ما
لم يفارقني معناه من اللوعة والحنين الى الوطن القديم الحبيب وكثيرا
ما وقفت عند توجه نفسي الى الشرق الذي منه هجرت على هذه
الآيات لشقيقي ندره فقيدي الاكبر وهي المقطع الاخير لاحدى
مخمساته :

هكذا كلما سررتُ بأمر لاح في الحلم رسم حمص لفكري
فتمنيت أن أرى في العمر تربة اشتهي تكون لقبري
عند لفظي الاخير من أنفاسي

كما لازلت اردد مع الثاني صهري ورفيق عمري نسيب عريضة
في مقطع من مقاطع قصيدته الشهيرة « أم الحجار السود » أي حمص
وهو ما يلي :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن

هل عودة ترجى وقد فات الظعن

عد بي الى حمص ولوحشوا الكفن

واهتف : اتيت بعائر مردود

واجعل ضريحي من حجار سود

رحم الله ندره ونسيباً وسقى الله ضريجهما في بروكلين بغيث رضوانه •
ولقد غادرانا ولم تتوفق لتحقيق وصيتهما بأن يكون مقرهما الاخير في
تربة الوطن - في حمص مستقط رأس كل منهما •

ويزيد على هذين العاملين ، اللذين حملاني على أن أزور الوطن
قبل اللحاق بندرة ونسيب فأراه بعيني عن عيونهما ، عوامل أخرى منها
الاحتكاكات والاتصالات بممثلي البلاد العربية الذين جاؤوا الى نيويورك
أو واشنطن بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت عن استقلال سوريا
ولبنان وارسال مندوبين عنهما الى الامم المتحدة وسفراء وقناصل الى
واشنطن ونيويورك وكانوا قريبين بروحهم من المغتربين وعاملين على
تجديد الصلات بين المغتربين ووطنهم الاول •

ولكم شعرت بجوع في النفس الى رؤية أرض وطني القديم وعالمه
الآخذ بالوعي والنشاط في سبيل رقيه وتجديد معاملة بعد زوال ظلمة
الاستعمار عن سمائه - أجل لكم شعرت بذلك كلما اجتمعت بفارس
الخورى وكلما طرق مسمعي صوته الرنان في منابر الامم المتحدة دفاعا
عن قضايا بلاده العربية ، ولكم شعرت بذلك الجوع النفسي عندما
صافحت السفيرين الاولين لسوريا الدكتور ناظم القدسي فالدكتور
قسطنطين زريق وانفتح القلب افتخارا بأننا قد صرنا في غربتنا الأميركية
نرى لوطننا القديم استقلالا يمثله بيننا اعلام كبار بنفوسهم وعلومهم
واخلاصهم كالذين ذكرتهم استرعوا انتباه العالم كله الى سوريا التي

ابتلعها الحوت التركي وظلت في معدته اربعة قرون ثم ابتلعها الاستعمار
الاجنبي لثلاث قرن خرجت اعجوبة حيويتها يبسم لها الزمان ويعجب
بقوة حياتها جميع العالم .

ولكم ازددت رغبة في زيارة وطني الاول كلما اجتمعت بالصديق
الحبيب الدكتور فريد زين الدين السفير الرابع لسوريا ورئيس وفدها
لدى الامم المتحدة وكلما سمعته يخطب في المجالس الدولية دفاعا عن
أمننا سورية . كذلك كان لي عامل قوي يغذي النفس وأملها المتنامي
لزيارة الوطن القديم بشخصية الدكتور فائز صائغ الذي اذهل سامعيه
خطيبا ومذيعا بدفاعه عن الوطن العربي وفقاً لأحضر الحصرم في عيون
الذين شنوا مختلف الدعايات ضد ذلك الوطن وضد رسله الاعلام
الكبار .

وأخيرا كان لي العامل الاكبر على القيام بزيارة الوطن الحاج الصديق
الكريم الدكتور جورج طعمة وهو الذي رأته في الجالية العربية
صورة تامة للوطنية وآية من آيات العلم والادب ورسم جليلا للعبقرية
العربية .

هؤلاء وغيرهم من رسل الاوطان العربية الذين رفعوا اسم العروبة
بالمعيتهم وبما توصلوا اليه في المجتمع الدولي بفضل عملهم ومروءاتهم
مما حبب الجيل الاول من المغتربين الى التعرف على الوجه الجديد
لبلادهم بعد استقلالها فتعددت الرحلات العامة الى الاوطان العربية
في السنوات الاخيرة وكان لي منتهى الغبطة أن أقوم برحلتني الى سورية
ومصر بضيافة وزارة الثقافة والارشاد القومي وهي الرحلة التي فيها
تمخضت قريحتي فوضعت هذا الكتاب وفيه الانطباعات النفسية لعلها
تنتقل من نفسي الى نفوس القارئ من اخواني المغتربين .

الوحدة العربية

لا خلاص للأمة العربية من آثار الاستعمار بعد اندحاره وتقلص
ظله في معظم أقطارها الا باتحادها وتوحيدها على نظام فدرالي يكفل
لكل قطر استقلاله الذاتي على مثال نظام الولايات المتحدة الاميركية .

ولا بد من القول بأن هذا التوحيد العربي يحتاج الى ثورات فكرية،
وهذه قد تتحول الى ثورات دموية لازالة الاستعمار الداخلي ، والا
فزوال الاستعمار الاجنبي وبقاء صنوه ووليدته الاستعمار الداخلي من
قبل الزعماء الوطنيين أرباب المصالح الفردية لا يفيد على مرور السنين
— لا يفيد الامة سوادها وخاصتها ، بل قد يكون لآثاره الباقية عوامل
ينتعش بها الاستعمار الراحل الذي عندما تراءى له قرب آجله عمد الى
الفرار ولكن على أمل استبقاء منازعه في بعض الاقطار العربية . وما انشاء
اسرائيل في قلب البلاد العربية غير تعبيره عن أمله بتركيز عشرة كبرى في
سبيل الوحدة العربية . وأقصى الغاية منها حمل الاقطار العربية المجاورة

لإسرائيل على بذل معظم مآليتها على الشؤون الحربية فلا تفكر عند ضعفها ماليا إلا بالاستقواء على إسرائيل منصرفة عن التفكير بالوحدة المنشودة ومن انصرافها هذا تشتعل نيران الخلافات بينها *

يجب أن لا نجهل أن دول الاستعمار الأجنبي تكره في الدرجة الأولى الوحدة العربية ، وهي ترتعد فرائصها إذا ما بدا لها مجموع عربي متحد يفوق عدد نفوسه سبعين مليوناً وقد نهض من غفوته مشمراً عن سواعد قوية للحاق بركب الأمم المتفوقة بمآلها واقتصادها وصناعاتها ، ولهذا نرى تلك الدول الشاذة بأزر إسرائيل تعكف على افهام العالم كله والعرب خاصة أن بقاء إسرائيل في فلسطين أمر واقعي يجب أن لا يقاوم على الإطلاق *

وإذا ما أدركنا أن سورية تنفق على قضية الدفاع من جراء وجود إسرائيل في جوارها خمسة وخمسين بالمائة من دخل خزينتها وهي ستستمر على هذا الاتفاق كل سنة ، تبين لنا أن الاستعمار الأجنبي لم يطلق لساقيه الرياح عن البلاد العربية إلا بإبقاء عونه على اضعاف الاقطار العربية فلا يؤمل منها تحقيق نهضة توحيدية عامة مستعينة بالملأجورين والعملاء الذين تنكروا لأوطانهم وخانوا شعوبهم *

لذلك ليس منا نحن العرب من يجهل الغاية الاستعمارية الأجنبية من الاصرار على التدخل في بعض القضايا العربية وظهورها بمظهر الحامية لبعض الاقطار والارتكاز على مخالفة بعض الأمراء الاقطاعيين وتثييت عروشهم ، على الرغم من ارادة شعوبهم العربية التي تحلم بالحرية والانطلاق وتبذل الارواح في سبيلهما *

لهذا يلوح لي أن بقاء إسرائيل في فلسطين يتعدى الاندفاع نحو رغائب الصهاينة ، وان حقيقته هي ايجاد العثار امام الشعوب العربية إذا توجهت عزائمها لتحقيق أمل الوحدة العربية الشاملة على أساس

الفيدرالية والدمقراطية والحكم الذاتي ♦

أجل هو الاستعمار الاجنبي الذي لم يندحر حتى استطاع تركيز غايته السياسية في الاقطار العربية وهو المسؤول عن ضم هذا الاتقباض الذاتي الذي سدّ على الدول منافذ التفكير في العمل على التمهيد للوحدة العربية ، فاستسلمت اليه دون ان تدرك مدى الخطر الاسرائيلي الذي يتهددها في كل لحظة ، فكانت من حيث اتقباضها السياسي الذاتي كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل هربا من الصياد الذي هو اسرايل المعتصبة الباغية التي يتوقف مستقبلها وحياتها على الفسحة الحيوية في الجوار العربي شمالا أو جنوبا أو غربا ♦

مع هذا نرى حكومات العرب جميعا يختلف بعضها مع بعض الا أنها جميعا موحدة الرأي وان مظهرها في عدائها لاسرائيل وهذا من أوضح الادلة على أن دول الاستعمار لا يهمنها مساندة الصهاينة في الابقاء على اسرايل أكثر من همها في ابقاء الاقطار العربية مختلفة فلا تتحد بحكومة واحدة بل تبقى نقفات تسليحها تتزايد فتلبث أضعف من أن تتبنى فكرة التوحيد ♦ ولكم يحز في نفس كل عربي مخلص للعروبة أن يسمع اذاعات الحكومات العربية تتراشق التهم الشنعاء وتعمد الى المهاترات والاهانات ! وكل هذه الامور من تأثير الاستعمار الاجنبي الذي رحل ولكن آثاره ورواسبه لا تزال عالقة ببعض النفوس الضعيفة التي تخدم المستعمر بالباطيل والافتراءات العنوية التي لم تكن الا أفضل السبل للترفة والهدم ، ثم كيف تقول انا عرب ، وان هدفنا جمع الصفوف وتوحيد الكلمة واعلاء شأن العروبة ، في حين انا انصرفنا بكل قوانا الى تفريق الصفوف وصرم جبال الود بين الاخوة العرب ، وشن الحملات الطائشة على كل من لا يسير في ركاب امارة موسوس فنقول انه خائن وعميل ورجعي ♦♦♦ متى كانت الافتراءات والشتائم

سبيلا الى الوحدة وسلما الى المجد؟ أم أن رواسب الحقد الأعمى
والانانية الطاغية هي التي يجب أن تسوس الدولة، وهي التي يجب أن
تحدد علاقة الدولة بسائر الدول العربية الشقيقة؟

ان الزعماء العرب أو من نصبوا أنفسهم زعماء، يحملون تبعات
ثقيلة أمام شعوبهم التي لا بد من أن تستيقظ وتتنفض يوما وتحاسبهم
حسابا عسيرا، هؤلاء الذين خدعوا شعوبهم بشعارات زائفة مستعارة
انما خدعوها بعض الوقت ولكنهم يعجزون عن خداعها كل الوقت •
وقد حان للمغامرين المغررين بشعوبهم أن يتعظوا بالتاريخ وأن يعتبروا
بأنه ليس في طاقتهم مهما أوتوا من قوة، أن يغيروا نواميس الحياة،
ولا أن يسحوا الآية الازلية القائلة: لا يصح إلا الصحيح ولا يبقى إلا
الافضل •

وخلاصة انطباعاتي عن هذه الحال السياسية المضطربة اضطراباغنيفا
أنانيا تحملني على أن أبدي رأيي فيها فأقول: العنف يولد عنفا ولا
يفيد الوحدة أية فائدة يتوخاها العرب المخلصون الآملون باتحاد جميع
شعوب الامة العربية اتحادا دوليا مكينا تهابه الدول وترتعد فرائص
الاستعمار الاجنبي منه ارتعادا يقضي على أمله ببقاء العرب اشتاتا
متنافرة تتضاءل عن مقاومة اطماع الاجانب الاستعمارية •

العدل أساس الدولة التي يكتب لها الثبات

قال ابن المقفع ، وان الحكمة لفي مقاله :
« ما دين الدولة الا العدالة التامة في معاملة الرعية ، وبصلاح
الرئيس تصلح الرعية ، وبفساده فسادها » ♦

أما أنا فأزيد على رأي ابن المقفع الكاتب العربي القديم بما يلي :
« العدل الدولي اساس الدولة المؤلفة من اقوام وطوائف وأديان ،
ولا يقوم لها نهوض شامل الا بعدلها بين الجميع كاخوان لوطن واحد
تجمعهم الوطنية على رغم اختلاف معنوياتهم فهو الاساس لصرح
حياتها » ♦

ان الله تعالى خلق الناس أشكالا ، وأجيالهم أغلب ما يكون ، تراث
عنهم نوعيات تلك الاشكال ، كالدين غالبا يأتي بالوراثة — هكذا شاء

عز وجل - ولقد أفصح القرآن الكريم عن مشيئته هذه بقوله : (لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الا أنه لم يشأ بل شاء أن يخلق الانام أشكالاً متنوعة تسر بصره الاسمى وقلبه الاعلم .

نيمَ اذن يتعصب مذهب ضد آخر ، في حين أن الله هو خالق الناس ومذاهبهم وأشكالهم ؟

اننا نستقضي شعورنا في بناء الدولة من رأينا في عدل ربنا ووجوب جعل هذا العدل دين الاديان وأساس العمران لمختلف أشكال وقوميات وطوائف الاخوان في الوطن العربي .

ولقد كان من أكثر الانطباعات أثرا طيبا في نفسي أنني لم أجد في سورية تعصبا كما كنت لا أعرف مسلما من مسيحي أو مسيحيا من مسلم . بل شهدت كلا المسلم والمسيحي أخوين يطويان الدين في قلبيهما ليأخذا من وجدانيهما ما يوثق العلاقة الوطنية بينهما ، ومن ايمانيهما املا برقي جميع الشعب في مجال العروبة الشاملة البالغة أعلى حد من الجمال برفقها وعطفها المتبادلين .

وتلمست شيئا من هذا في مصر ، على قصر مدة الزيارة ، فلقد أدركت ممن قابلتهم أن التعصبات الدينية تمضي الى الزوال شيئا فشيئا . ولقد سمعت بعضهم يشيد بفصل الدين عن الدولة على الرغم من أن عامة الناس هناك بقيات العهود البائدة ، وهذه العامة الامية لا بد من زوال ما لصق بصدور أفرادها من آثار التعصب للدين ، زوالا لا رجوع له ، فينعم الجميع بنعم صحة اجتماعهم بعد استئصال علة الانقسام منه ، وهو الانقسام الذي كان مطية الاستعمار لتوطيد طغيانه واثرتة ، فهو الذي كان حجة بريطانيا في احتلالها مصر عندما اتقلت ثورة أحمد عرابي باشا من وطنية الى مهاجمة دينية داخلية وقد يكون للاجانب اصابع في تديرها لاتخاذ حجتهم على الدولة

المصرية وشعبها بأنه غير صالح للاستقلال والحرية •
والعدل كان هدف كل الثورات التي استأصلت الملكية الجائرة
والتمييز بين الطبقات والطوائف والعدل هو الذي أطاح بصروح
الاقطاعية الداخلية والاستعمار الاجنبي حتى أخذ الشعب يرى أمله
بالحياة الحرة مطلا على بلده مشرقاً نوره ، وباسما محياه ، وباشا
ثغره ، مبشرا ببدء عصر جديد اساسه العدل ، ولا غير العدل •

ومن ذا الذي يستطيع أن يقف في وجه عجالات الزمن ، وأن يتحدى
بغرباله نور الشمس ليحجبه • ان التطور سنة طبيعية ، ولكل عصر
مقوماته واسباب نجاحه وما صلح في الماضي قد لا يصلح اليوم ، لان
العصر عصر العلم والذرة واكتشاف مجاهل الفضاء والعربي بسليقته
ذكي يعرف كيف يتجاوب مع ركب الحضارة •

ونحن نفهم أن الخلق في نظر العدل سواء فهو يمنح الجميع حرية
النهج ، وحرية الفكر ، وحرية الدين ، وحرية الرأي • واذا كان الشعب
العربي لم يبلغ من عدلها الاساسي جميع حرياته المذكورة حتى اليوم ،
فلا بد من أنها ستكون أجمع ، نصيبه ، لقمة لقمة أو خطوة خطوة ، في
تطور متحرك ، ان يكن بطيئاً في أول أمره فلا مرء بقوة استمراره بعد
حين ، والمهم أن نتحرك ونسير كما تحركنا وسرنا يوم كانت أوربا
غافلة غافية ، فأسهمنا خير الاسهام في بناء الحضارة ونشر العلوم
والمعارف •

بناء الوطن

كثيرا ما شعرت بانجذاب نحو هذا العنوان - بناء الوطن • رأيته عنوانا جذابا لمجلة ضخمة صدرت في القاهرة ، فصولها مشبعة بروح الامل بمستقبل باهر يبني على مشاريع الحاضر الزاخرة بنشاط وحماسة في جميع آفاق العمران والبنيان • وكثيرا ما قرأته على جلدة غلاف يتضمن جرائد يعرض بأبعوها نسخ ذلك اليوم منها في حمص ودمشق • وكان « بناء الوطن » قد احتل من نفسي ما احتل من نفوس جماهير الواعين لمستقبل أمتهم وبلادهم ، المتفنين على لحن العنوان - بناء الوطن - بإنشاءات دولتهم وآمالهم التابعة لها بنمو عمران بلدهم وازدياد خير سكانه • ولكن بعد اكتمال رحلتي الى سورية رحلت القي على نفسي أمثال الاسئلة التالية :

« هذه مصانع قائمة ، وورشات لقيام انشاءات ، واحداث اصلاحات ، في الشوارع والبنائات وحدائق وجنّات ومقاصف ومقاه

وملاها ، ولكن أين مثلها مما سيعنى بتجديد روح الامة ، عامتها
وخاصتها ، في مجال بناء الوطن ؟

« تشاد المعالم المختلفة ولكن لماذا لا يقوم بناء الروح في النفس
العربية فتظهر من ادران تقاليدھا التي لم يعد لها محل في العصر الحاضر،
فيتم بناء الوطن على الوجهين الجسدي والروحي في وقت واحد » ؟

« ألا يعوز العمل على بناء الوطن اكتشاف الهامات النفس العربية
التي نامت دھرا طويلا في عصر الاحتلال المنوع • أيكفي الاختراع
الاصلاحي لبناء الوطن دون الاكتشاف النفسي في سبيله » ؟ •

هذه وغيرها من الاسئلة كانت تتوجه الى نفسي كل ساعة اتفرغ
فيها من مقابلة زعماء ، أو زيارة أماكن صناعات ومشاريع ، أو رحلة
استطلاع ما يشير الى المستقبل على ضوء بناء الوطن في الوقت الحالي
أو بعد حديث بيني وبين مراسل صحفي •

أيقنت كذلك بأن العلم المدرسي قد أخذ شأنه المتنامي ولا سيما
في سورية فقد عرفت أنه يندر أن تكون فيه قرية أو مزرعة خالية من
مدرسة • وفي دمشق جامعة علوم وطنية كبيرة وكذلك في حلب وفي
حمص وسواها كليات مزدحمة بالطلاب • الا أنني لم أجد هنا وهناك
قلبا من قلوب ادباء الوطن مرتاحا الى نصيبه من دنيا أدبه وعلمه • وهم
إذا ما راعوا امر مستقبلهم اتصبت امامهم طرق الاغتراب لتعذر وضع
مواهبهم بين عوامل بناء الوطن المادية •

وهناك مجامع علمية تعرفت الى جمهور اساطينها وهم من أكابر
العلماء ، الا أنني لم أتعرف الى نتاج اهداف مجامعهم ، فكأنها أصبحت
كالسلام يحكى عنه ويرجى ولكن العمل به مقعد وجامد في نية الزمان
ومستقبل حكومته وأهله • مع هذا لا أجد فضل المجمع العلمي العربي
الذي تأسس بدمشق منذ ست وثلاثين سنة فكان أبا للمجامع اللغوية

في كل الاقطار العربية ، له مجلته الرصينة ، وله فضله العميم في احياء
تراثنا الفكري واللغوي العظيم •

سألت بعضهم هل تقوم الحكومة باعداد جوائز تلمذية لاذكياء
الطلاب الاحداث ؟ الجواب كان وجوما في حيرة • ولكنني علمت بعدئذ
أن المتفوقين من الطلاب ينالون منحا مدرسية عالية تفتح لهم آفاق
العلوم والمعارف • فعسى •

وسألت عما اذا كانت المجامع العلمية العربية قد قررت الاتفاق على
انشاء دائرة معارف اسوة بالامم الراقية ؟ الجواب أيضا كان وجوما
في أسف وحيرة • ولعلي أسرفت اذ سألت عن دائرة معارف عربية
حديثه ، وكان الاسهل أن أسأل عن معجم لغوي حديث على أساس
شبه علمي •••

وأدركت أن الشعب العربي أينما كان ، هو مثل أي شعب من
شعوب العالم المتمدن ، عامته ، أكثريته ، إلا أن أكثرية شعوبنا العربية
لا يزال سرح الكرى مستوليا على نفسها فهل فكرت الحكومة الآخذة
ببناء الوطن في أنه لا بد من أن يكون بين عامة شعبها من أبناء المواهب
العلوية اذا أزيل الصدا عنها ، كان من أربابها أمثال لنكلن أوفر نكلين
أو تولستوي أو صلاح الدين ، بل أمثال الفارابي وابن سينا وابن
رشد وابن المقفع ومعاوية وسيف الدولة وسواهم من عظمائنا •

ان الوطن لفي حاجة الى البناء • ولكن بناءه يجب أن يشمل
جسده ونفسه معا ، وأن يكمل به تعمير البيت وتعمير نفس ساكنه •

مضى على العروبة قرون عديدة بأجيالها المتلاحقة كادت في غزونها
تنسى نفسها وقد جعل منها الاستعمار مطية سهلة لاستغلال كنوزها
الطبيعية ولامتصاص خيراتها بمعاونة الزعماء الوطنيين الذين باعوا
أمتهم بالوظائف التي اسندت اليهم على عدم أهليتهم •

الا ان الاستعمار لم يبدأ برحيله حتى كان قد وضع عثرة كؤودا في سبيل الوحدة العربية ، وهذه العثرة هي ايجاد دولة اسرائيل في فلسطين - في قلب الاقطار العربية - وهو أي الاستعمار الاجنبي مصر على اعتبار اسرائيل أمرا واقعيا فلا يحق للعرب الانتفاض عليه فدون ذلك قوات الدول الكبرى والامم المتحدة ، كما قلنا في فصل سابق ♦

مع ذلك لا يزال الاستعمار الاجنبي قائما في أجزاء عربية عديدة في عدن ومسقط وعمان وحضر موت وقطر والبحرين والجزائر التي تنافح عن استقلالها بشجاعة تحير العقول ♦

وما هجوم بريطانيا وفرنسا على مصر عام ١٩٥٦ ، مسبقا بهجوم اسرائيل على سيناء ، الا الدليل الاوضح على أن الاستعمار الاجنبي لن يرضى عن الوحدة العربية وأنه وضع اسرائيل في فلسطين كعثرة قوية تترد عنها الدعوة العامة لتأليف الوحدة العربية من جميع الشعوب والاقوام والقبائل ♦

لذلك يحسن بنا القول أن الله كان مع العروبة عندما اعربت بلسان زعمائها المخلصين الذين خاضوا معارك الاستقلال عن شعورها الكلي بالتححر وتجنيد النفس العربية اينما كانت لتحقيق الوحدة ، واذا كانت لم يكتب لها تمام النصر فلا بد من أن تبلغ كمال تحقيق حلمها ، وأن غدا لناظره قريب ♦

وللقارىء أن يتفهم أني أجد كل الجدّ عندما القي على رؤساء الحكومات العربية والملوك والامراء وسائر الزعماء تبعة المستقبل العربي والمصير ♦ انهم مشتركون في حمل الدعوة العربية ، ومسؤولون أمام شعوبهم وأمام التاريخ عن نجاح أو اخفاق هذه الرسالة العليا التي تشبه من حيث هيكلها المادي والقومي دعوة الرسول محمد

عندما جمع شتات العرب تحت راية الدولة الاسلامية العربية ، فسارت هذه الراية المشرقة من نصر الى نصر ومن قطر الى قطر ، لتبني للعرب أمجادهم ، وتوحد قبائلهم وآحادهم ، تحكم بالقسطاس • وتعديل بين الناس •

ان كل واحد من هؤلاء الرؤوس العرب يحمل بحكم مركزه شيئا من نفحات الرسالة القومية التي انطلقت مع رسول العرب منذ أربعة عشر قرنا تقريبا ، وهيئات أن يتصل واحد منهم من هذه التبعة الثقيلة التي لا يضطلع بها سوى المخلصين الاقوياء الذين لا يركضون وراء الفخفة والبهارج ومظاهر الفخمية • ولا يهرجون ولا يستخفون بشعوبهم فينصبون أنفسهم أشباه آلهة والويل لمن ينظر اليهم شزرا • انه متأمر أو رجعي أو عميل للاستعمار ، وكأن التحرر يعني فرض العبودية ، وأي مجد لزعيم يجعل من شعبه عبيدا مطأطين مصنفين ؟ لا يرضعون في أفواههم من الكلام غير كلمة الزعيم ، ولا يسلكون في طريق الارادة غير ارادة الزعيم ، ولا تغشى عيونهم من صور الجمال سوى صورة الزعيم •

ولقد قلت في نفسي لماذا يقوم مئات الوف السكان لدى كل رحلة يقوم بها هذا الزعيم أو هذا الحاكم في احدى مهمات دولته بمثل تلك الحفاوات البالغة اسمى المظاهر ؟ وكأنه عاد مكللا بغار النصر ، من معركة تاريخية حاسمة ؟

وأغرب ما كان مما اطلعت عليه في صدد ذلك ، أن حاكما عاد من رحلة استغرقت أقل من اسبوع ثم بقيت الصحف تنشر رسائل أفراد وشركات لاكثر من اسبوع في تهنتته برجوعه سالما معافى ومنتصرا ذا عزة وجلال !! وما كنت أرى في تلك الصحف خبر غاية تلك الرحلة ولا ما كان انتصار الحاكم فيها •

وهي انطباعة وقفت عندها حائرا مستغربا كيف أن الصحافة لا تزال تجري على أساليب قديمة في المغالاة بكل أمر وكيف أن الشعب نفسه لم يطلّق بعد تحرره ، ميله الى المغالاة العاطفية مما لم يعد له في هذا العصر محل عند الشعوب الراقية . ففي أمريكا كثيرا ما يقصد رئيسها بلدا لغاية حكومية خطيرة . ثم يعود الى عاصمته وقد لا يدري الناس ماذا كان منه الا من الصحف المحلية ، فمن هو المسؤول . أهى الصحافة ، أم هو الشعب أم هو الحاكم الذي يطالب بمثل هذه المظاهر السخيفة التافهة للدلال بمحبة الشعب له ؟

ومن العادات الباقية في المجتمع تلك الالقاب التركية تفخم بها الاسماء في المخاطبات على الرغم من أن الحكومة قررت الغاء تلك الالقاب - باشا وبك وأفندي - أما في الصحف والرسميات فيراعى قانون الغاء الالقاب ، ولما لم يرفع الشعب حتى اليوم القانون المذكور في محادثات أفراده ، وخصوصا مع الموظفين وكبار الوجهاء ، فلا مندوحة من لقب « بك » .

ولكم أفهمت كثيرين من الاصحاب الذين اجتمعت بهم أن لا يسندوا الي لقب البكوية فما نجحت في طلبي الا قليلا حتى أن بعضهم رغب اليّ في التناضي عن الامر بدعوى أن سنتهم تعودت استعمال اللقب التركي فلم تعد قادرة عن تناسيه واهماله .

وأكثر ما وعيته من هذا التلقب كان في سوريا ولبنان ، ولكن اذا استسغنا بعض الشيء هذا اللقب في أقواه العامة فكيف نستسيغ في ظلال الحكم الجمهوري الديمقراطي القاب فخامة الرئيس ومعالي الوزير وعطوفة المحافظ ، وسعادة السفير أو القنصل تنقلها الاذاعات وتشرها الصحف ؟

أما لقب « أفندي » فقد تبع تركيا في الزوال عن أقطارنا العربية

فما بال « الافندي » زال ولكن « اليك » لا يزال ؟ •

ولقد حرت في أوائل رحلتي فيما عساني أصدئ من يلقبني بالبيك •
وكم تملمت من سماع اللقب وكم امتعزت منه ، وأنا الصحافي العربي
الاول في العالم العربي ، الذي أنادي بتسفيه الالقاب التركية منذ سنة ١٩١٢
أي منذ اصداري جريدتي « السائح » وصدور الامر الشاهاني في
الاستانة بمنع الجريدة من الدخول الى بلاد السلطنة العثمانية لانها
عربية النزوع تدعو الى تحرر الامة العربية من النير التركي وألقابه
السخيفة •

أما كان أولى بالشعب العربي افهام العالم بأنهم أصبحوا أحرارا
من كل شيء تركي ، وأنهم صروا الالقاب التركية ورموا بها في أثر
تركيا قائلين لها : « بضاعتك رديت اليك » ؟

التطور بين القديم والجديد

كثيرا ما شئت الانصراف عن ابداء النظريات الى التغييرات السياسية في أحاديثي مع مراسلي الصحف واذاعات الراديو ، لاعتقادي بأن الحديث غالبا ما يكون ذا شجون وما عليّ وأنا ضيف على الحكومة ، الا أن أبتعد عن السياسة وشؤونها واطرها جميعا لغيري من الذين برعوا في أمورهم • ولكنني مع ذلك كثيرا ما وجدتني مضطرا الى الاجابة عن سؤال بسيط يُعدّ على هامش السياسة وهو :

« ما رأيك في الاصلاحات الجديدة وأثرها في نفس الامة التي فتحت عينيها للشمس » ؟

وأذكر جيدا فحوى جوابي عن السؤال بما ألخصه الآن في ما يلي :

« لكل جديد وجهان عند الناس : واحد يصفه الراغبون فيه

بالجمال المتناهي ، بينما الآخر يصفه بالتبجح المتناهي • ولكل من الفريقين رأيه وحججه وهذه كلها تبدو من تأثير الجديد على مصلحته • وما من مصلح ، في شتى شؤون الحياة كشف الغطاء عن رأي جديد ، أو اختراع جديد ، واكتشاف جديد ، الا وكان في البدء بين مجذوم مسفه في قومه • هكذا أخبرنا التاريخ عن قيام الذين يقدسون القديم ويحاربون كل جديد ولا يزالون ينوشونه سهامهم حتى يغلبوا على أمرهم •

« ألم تثر الجماعات المدنية والدينية والطائفية على مكتشف حروف الطباعة ؟ ألم يثر حتى زعماء البلد والكنيسة على مكتشف مصل الجدري ؟ وهل في طول العالم وعرضه اليوم من ينكر فائدة الطباعة ومصل الجدري ؟ »

« لذلك لا أرى ما يبعث على التخوف من أي اصلاح جديد أتى به التطور الحديث ، فالذين خسروا أجزاء من أراضيهم هكذا شعروا أنهم خسروا ، ولكن سواد الامة العاملة والمزارعة ، وهم الاكثرية الساحقة ، ربحوا ولم يخسروا وربحهم تقدم باهر لسير أمتهم ورفع معنوياتها ومستوى أفرادها • ولا بد عند ذلك من أن يقتنع المعارضون وأن ينكفئوا عن مواقفهم اذ يرون الحق أبلج ، وأنه أغلب وهو يعلو ولا يعلو عليه ، وما عليهم الا أن ينظروا بأعين العدل والانصاف الى التجديد يتبع بعضه بعضا لخير الامة وأبنائها ، فلا بد من التطور ولا مهرب من مسامرة ركب الحضارة •

ولكم سمعت من جماعة الاعتراض على فوائد الاصلاحات ، قولهم أنهم لم يروا منها بعد أية فائدة ، فكنت أبتسم من قولهم ثم أقول لهم المثل العالمي : « ان رومية لم تثبَنَ بيوم واحد » وأن الطعام لا يصلح غذاء حتى يتم طبخه ، فاصبروا تروا أهداف الاصلاحات تتحقق شيئا

بعد شيء من وقت الى آخر ، وينبغي أن تدركوا أن التطور الشعبي لا يقاس بمقاييس الناس ، وأنه ليس الا أساسا يأتي بعده وعليه الصرح المنشود ينشأ حجرا بعد حجر حتى يعلو بناؤه .

أما من ناحية تأليف الوحدة العربية ، فعندي أنه تأليف لا غبار عليه الا أنه البداية لهدف عميم شامل في تقوية الامة العربية التي لعبت بعد نشوء الاسلام أدوارا جلية في التاريخ حتى بلغت المكانة الاولى بين دول العالم ، ولم تزل قدمها عن تلك المكانة الا عندما تراخى شأنها وتعددت زعاماتها فتمزق شملها وصار أشتاتا عديدة ، في العراق والشام والحجاز والاندلس وفارس وغيرها من الاقطار التي دانت للفتح العربي الاسلامي ، فأخذت تلك الامة العملاقة الجبارة بالضعف والتقهقر حتى خسرت أمجادها ومنها الاندلس بعد تمكنها فيها أكثر من سبعمائة سنة ، ثم تحول تمزقها الى عقر دارها فطغت عليها فتوحات المغول والبربر الى أن استهانت للاستعمارات الاوروبية واستعبادها حتى الامس القريب .

اذن ما لا بد منه في مجال تمنينا الاستقواء للامة العربية الا أن تجتمع أقوامها وأقطارها في نظام وحدة شاملة . لكننا نرى دون شك أن الاتحاد ليس الا النواة لتحقيق الهدف الاعظم الذي هو الوحدة العربية على الرغم من كل مقاومة له الآن فهو لن يتجلى بنصاعته وعظمة فوائده حتى يدرك كل عربي أينما كان واجب التوحيد السياسي ، ولكن يجب أن لا ننسى أن الزمان الكفيل بتحقيق هذا الهدف لا يأتي قرنه بسنة ولا سنته بشهر ولا شهره بيوم ولا يومه بساعة .

على هذا أرى الوحدة العربية بين صراع القديم وصراع الجديد ، ولكنه صراع سينتهي عند الامة العربية اليقظة في هذا العصر ، باقتبالها من يد الحياة هديتها العظمى جائزة جهادها فليصبر العالم العربي الآخذ

بنشاط وطني مع تفتح وعيه ليرى يوما بعينه وروحه فوائده وعيه وسعيه
للوحدة الشاملة ، ويؤمن بقلبه ووجدانه بأن سيره في هذا الطريق
سيسعده بقيادة روح التطور الى الميناء الهاديء ، والى المكانة التي
كانت لاسلافه بين دول الارض ، ليلعب دورا يزداد به على ما لعبه
القدامى في سبيل الامة العربية ، فلكل حال دولة ورجال • والامل
بالدولة الجديدة ورجالها معقود على أن تبلغ الامة العربية قوتها بضم
شتاتها لتحقق بذلك لها مكانا دوليا عزيزا مكرما بين دول هذا العصر •

بلد جديد بهيات جديدة

من أجلّ الانطباعات التي حزتها ما شهدته في الوطن الاول من
اسناد وظائفه الى رجالات علم ووعي ونشاط - رجال كفاءات للمراكز
التي يشغلونها - رجال سداد رأي في نشاط وحماسة *

رأيتهم جميعا في محافظات سورية شبانا مثقفين مرنين في مداورة
شؤون الوظائف التي اسندت اليهم ، حازوا الشهادات العلمية من
جامعات العلوم * وشهد لهم بالامانة والاخلاص والنشاط * وهم
يقومون بأعمالهم دون ملل ، ولئن اضطرهم بعضها الى مواصلة النهار
بالليل * بينهم كثيرون ممن كان لي حظ سعيد بمرافقته في بعض الادوار وشهدت
اندفاعا في الاصلاح وتوفير أسباب التقدم والنجاح *

تعال معي ، يا قارئ العزيز ، لاصور لك ما كانت عليه حمص مسقط

رأسي قبل اغترابي ، وما صارت اليه في عهد الاستقلال بقوة الجهد الصادق ومضاء العزيمة وعلو الهمة والاخلاص في الخدمة •

تركت حمص العزيزة أشكو منها ، كما يشكو كل من اغترب عنها من أبنائها ، كثرة الذباب حتى كان يغطي ثيابنا ونحن عائدون من ناحية بستان أو متنزه ، فاذا به اليوم أثر بعد عين • وكنا نشكو كثرة الكلاب تملأ الأزقة تعوي في النهارات وتعثر بها في الليالي ، فاذا بها كذلك قد زالت من الوجود كليا • وكنا نشكو كثرة الشحاذين عند مداخل الكنائس والجوامع حتى اذا أقفلت أبوابها داروا على أبواب المساكن يزعجون السكان باسترفادهم واحد بعد آخر ، فاذا بهم غير موجودين اليوم الا في معهد انساني كبير لجمعية البر والخدمات الاجتماعية لمساعدة المرضى والفقراء •

كانت المراكز الحكومية في العهد التركي تؤخذ بطرق الرشوة والمحسوبية فلا أثر لذلك على الاطلاق فالمراكز الرفيعة والتي دونها يشغلها أكفاء من الشبان علما ومداورة واندفاعا يزينه نشاط الشباب واخلاص الموظف • وهناك النهضات والاصلاحات العمرانية • كانت منطقة (المحطة) حقولا زراعية ، وهي اليوم شبه مدينة صغيرة مبنية على الطراز الحديث ، تزين دورها الحدائق ، وتخرقها شوارع مستقيمة عريضة ، وفي ضواحي المدينة بنيت أحياء جديدة تحتوي على ألوف الدور ، كما قامت في الشوارع الوسطى مبان ضخمة فخمة تضم عشرات المحال التجارية والمكاتب وسواها كبنية الميتم الارثوذكسي ، وبنية الميتم الاسلامي والهلال الاحمر ، وبنية الاوقاف ، وأكبرها بنية جوزيف زيتون واخوانه أمام حديقة البلدية • ومن الاصلاحات العمرانية التي تلفت النظر توسيع طريق دمشق بعرض مائة متر ونقل المقابر وغرس الحدائق الواسعة وتزويدها بالألعاب المتعددة لترويض

الاطفال وتسليتهم • أما الإصلاحات العمرانية التي تستحق أعظم الاعجاب فهي تلك التي قامت في منطقة السيد خالد بن الوليد فقد كانت المقابر التي ارتفعت على هضبة أمام جامع السيد خالد ، تحجب ساحة الجامع عن الانظار ، فاهتم المحافظ رئيس البلدية بتمهيد هذه الهضبة ونقل القبور الى مقابر جديدة ، ثم شق الطرقات والحدائق أمام الجامع فبرز بأجل مظهر وتحولت تلك المنطقة الى أجمل ما تقع عليه عيون المسافرين من الجنوب الى الشمال، ومن الشمال الى الجنوب ، بعدما كان منظرها يصدم العيون والقلوب •

وهنا كأيضا طريق طرابلس الذي يشق حي المحطة من الشرق الى الغرب وعرضه مائة متر وقد قامت حوله الحدائق المتعددة •

وكانت شوارع حمص مرصوفة بالحجارة المدببة المستديرة التي لا تسلم الاحذية والاقدام من أذاها ، فانتزعوا هذه الحجارة وعبدوا معظم الشوارع على الطراز الحديث ، واهتمت البلدية بأمر النظافة العامة وقطع دابر الحشرات فعمدت الى الغاء العربات التي يجرها الخيل بعدما عوضت على أصحابها ، وكانت خيول هذه العربات تملأ الساحة الكبيرة بالاقذار التي تنبو عنها العيون والانوف وتجتمع حولها جحافل الذباب والهوام •

وكان في حمص ثلاث أو أربع مدارس اعدادية للمناهد العليا وهي طائفية ، ونحو عشرة كتاتيب ابتدائية ، أما اليوم فقد أصبحت حمص بفضل ما أنشأته فيها وزارة التربية والتعليم من المعاهد العالية التي تمنح البكلوريا ، المدينة المثقفة الاولى في كل سورية ، ورجال الفكر والادب الذين يفدون اليها لالقاء المحاضرات والقصائد يحسبون لها حسابا بعدما ارتفع فيها المستوى الثقافي • وللمدينة مركزها الثقافي

القائم الى جانب مبنى البلدية وهو يضم دار الكتب الوطنية وبهوا
واسعا للمحاضرات والتمثيل والموسيقى ، وقد أنشأته وزارة الثقافة
والارشاد القومي فكان لحمص ندوتها ودار ثقافتها وفكرها وفنونها ،
وسد هذا المركز فراغا كبيرا طالما شعر به الحمصيون • ويعود الفضل
في فعالية هذه « السوق العكاظية » الى نشاط مديره الاستاذ عبد
المعين الملوحي •

وفي حمص ناديان كبيران للموسيقى والغناء وهما دوحة الميماس ،
ونادي دار الالخان ، يقوم عليهما نخبة من رجال الفنون الموسيقية
والغنائية ، وآية هذين الناديين أنهما يأخذان بالطابع الموسيقي العربي
الاصيل ، ولا يتعرفان بالهجين الذي أبوه غربي وأمه شرقية ••

ولا نستغرب بعد هذه اللوحة الوجيزة عن حمص أن تلقى فيها
مئات الاطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين وعشرات الادباء والشعراء ،
وألوف من حملة شهادة البكلوريا بينهم مئات من الجنس اللطيف ،
وقد تعرفت بالكثيرين منهم ، اذكر من المحامين الاستاذ فيليب فركوح ،
وقد عهدنا اليه في حل بعض القضايا الارثية المعلقة فقام بالمهمة
على أحسن شكل •

وجه المستقبل للوطن العربي الجديد

قيل الامور مرهونة بأوقاتها وعلى هذا المقول الحقيقي أرى من واجبات كل وطني مخلص أن لا يستسرع بناء صرح جديد على أساس وطنه العربي الجديد • أما السليبيون الذين اعتادوا أن ينظروا بتشاؤم الى كل ما يقع تحت أبصارهم ، فهؤلاء لا وجه لاقتناعهم لأن الحجة مهما تكن قوية لا تستطيع أن تغير من طبيعة الاشياء والرجال • ان البناء كما يعلم الجميع لا يأتي عفوا ، والظفرة أضعف من أن تذلل النواميس الطبيعية • بناء الاوطان والشعوب يستغرق وقتا طويلا كما يحتاج في الوقت نفسه الى تفاعلات شتى على صعيد الوعي الاقتصادي والاجتماعي والعلمي ، ولا غنى لنجاح البناء العظيم عن تجاوبات عميقة في الداخل تذكر كل واحد بواجباته •

ان من يعدل في رأيه وينصف في تفكيره لا بد من أن يرى وجهها

حسنا لمستقبل باهر يطل على الامة العربية بروعته وجماله • نرى هذا الوجه في امتداد المشاريع الاجتماعية والاقتصادية في الاقطار العربية وخاصة سورية حيث قامت مصانع جبارة مختلفة الانتاجات اثارت الحركة العملية في البلاد وأشعرت دول العالم بأن سورية زال عنها شبح الاستعمار البغيض وعوامل ظلمه وضغطه حتى جرت في ميادين الحياة كالامم السعيدة بحرياتها ، السعيدة بدمقراطيتها ، السعيدة بأحلامها وآمالها •

من المظاهر العمرانية التي انطبعت في صفحات نفسي في تقدير واعجاب كثيرين ، ما شهدته في مدن سورية من تحف التجديد والتجويد، سواء ذلك أفي الشوارع أم المنازل أم الفنادق ومن ضخامة المصانع المنتجة أكبر انتاج وابدعه • وتأتي في الطليعة مصانع المنسوجات القطنية والصوفية والحريية التي تضاهي بجودتها ومتانتها وتزويقها وتلوينها أفضل ما تنتجه المعامل الاجنبية ، وهناك معامل السكر والاسمنت والزجاج ومواد البناء والادوات المنزلية والتخمير وحل الحرير والدباغة الجلدية والمعادن والمطاحن والالبسة والتبغ والاحذية والمواد الغذائية والسجاد ومحالج القطن والمناشر الحديثة والزيوت والاسمن النباتية وسواها • وقد سارت شوطا بعيدا في صناعة المعادن ومشتقاتها فاستطاعت أن تصنع البرادات والغسالات والمدافئ على الطراز الاميركاني ، وهناك أيضا الصناعات الحربية المتعددة التي لا سبيل الى تعدادها ، أضف الى هذا الصناعات الأهلية التقليدية التي اتخذت طابعا عصريا ، وهناك مشروعات خاصة شتى تطرح أسهمها على الشعب كمصانع السماد وعجلات المطاط للسيارات والحديد • أما مصنفاة البترول في حمص فهي ركن اقتصادي خطير • وفي طليعة القضايا التي تعالجها الحكومة في سورية ، قضية ري الاراضي وتخزين المياه في

السدود الصناعية كسد بحيرة حمص (قطينة) وسد الرستن ، وسد محردى واستصلاح أراضي الغاب الخصيبة علاوة على سدود أخرى في مناطق متفرقة • وقد اهتمت مؤخرا بإنشاء أعظم سد في العالم العربي وهو سد الفرات الذي سيروي من الاراضي الزراعية في منطقة الجزيرة ، ما يفوق نسبة ما يرويه سد اسوان • وتبلغ نفقات سد الفرات أكثر من مليار ليرة سورية وستمول هذا المشروع الجبار ألمانيا الغربية التي أرسلت الى سورية المهندسين والخبراء الفنيين لمباشرة هذا المشروع العظيم •

وشهدت ما يقرب من هذه النهضة الصناعية في لبنان المزدهر اقتصاديا كل الازدهار ، غير أن المواد الأولية التي تستهلكها المصانع اللبنانية يستورد معظمها من الخارج باستثناء معمل الاسمنت والتبغ وسواهما مما يتغذى بمواد أولية لبنانية •

وفي مصر مصانع كبيرة للمنسوجات القطنية في الدرجة الاولى ، والاقطان المصرية مشهورة بجودتها ، كانوا في الماضي يصدرونها الى انكلترا وسواها ثم يستوردونها أقمشة مضاعفة الثمن أضعافا ، والفضل في هذه النهضة الصناعية لطلعت حرب مؤسس الصناعة المصرية وباني الاقتصاد المصري ، ثم اتسعت هذه الصناعات وشملت ميادين أخرى وخصوصا بعد اكتشاف مناجم الحديد ، وقد أنشأوا له في حلوان أفرانا كبيرة تصهر الحديد وتسكبه في قضبان وصفائح وسواها • وهناك معامل أخرى ولكن موادها الخام مستوردة من الخارج •

ونلاحظ أيضا في الاردن شيئا من هذه النهضة الصناعية على ضيق هذه المملكة وضعف استعدادها ، ولكن بروزها يعني التفاؤل بالمستقبل •

ومع بناء المصانع والاسداد والمنشآت الاقتصادية والعلمية
والاجتماعية تبنى النفوس والاخلاق ، والنفس العربية من الجواهر
الثمينة بطبيعتها ولكنها تحتاج الى الصقل والعناية فتصفو وتلمع ،
فاذا لمعانها يعانق دخان المصانع ، واذا شدوها الانساني يرافق قهقعة
العجلات والآلات ...

موجب الرقى قوامه الجنسان

عندما هجرت وطني العربي كان المجتمع الانساني جامدا ضمن قيود التقاليد البالية وكان نصفه مغطى فلا حرية لعيونه أن ترى الاشياء كما هي ولا تراه عيون الآخرين كما هو ، فلما تبكّدت نيويورك واستوطنت الولايات المتحدة ، بدأت أدرك أن تقدم وطني الثاني يرجع بنجاحه واستعلائه الى اشتراك الجنسين في العمل ، كما أدركت أن جمود الوطن الاول سببه الجذري تخلف المرأة عن الاشتراك مع الرجل في معظم التوجيهات المدنية ، فقد كان رجلها يحسبها متاعا لا معوانا ، يأمرها بالتستر ولا يميل الى تعليمها ولا الى مرافقته في أي من أطوار اجتماعه ، غير فاهم أن العلاقة الصحيحة بينه وبين زوجته هي علاقة روح بروح تتقوى باستناد احدهما الى الاخرى — علاقة تقوم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات وتتطلب أن لا يكون بينه وبينها أي

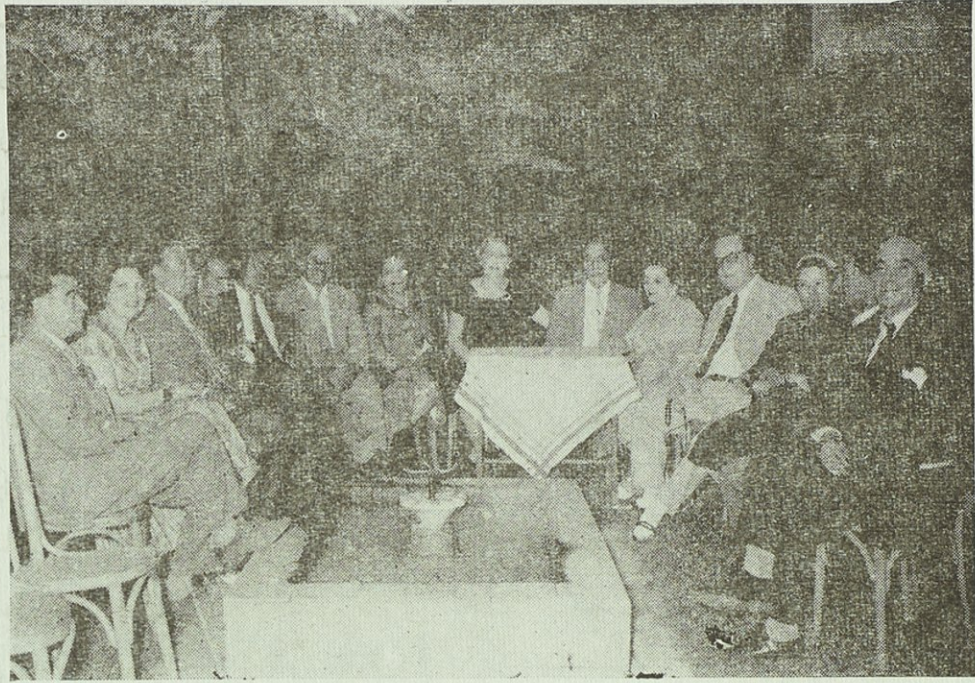
تميز ، ولا سيما في عصر كهذا انحسرت فيه مظاهر الضعف عن المرأة فظهر الخطأ الشائع منذ أول أزمنة التاريخ عن أن الرجل أقوى من المرأة، ولهذا وجب أن يكون سيدها لا زوجها فقط ، وأن تكون هي في كل حال تابعة له في جميع طرق معيشته وضروب تصوراته وأهوائه ومنازع نفسه ♦

ولكم وجدتني سعيدا في دمشق خلال حفلتين اقيمتا لاستقبالتي وكانت المرأة السورية العربية تسطع أنوار معارفها واختباراتها وخيالاتها فيهما ♦ الاولى جرت في دار السيدة سارة مشاقة قرينة الاديب السيد شاكرا ديب ورئيسة الجمعية النسائية الادبية ، وهي الجمعية التي عرفت فيما بعد ، أن أديبة دمشق ماري عجمي جاهدت لانشائها وترأست عليها في بدء انشائها ♦

رأيت في الحفلة أدباء من الجنسين وشعراء من الجنسين - ادباء وشعراء لا من الجنسين فحسب بل من مختلف الطوائف والمذاهب التي انحلت ظلمة فوارقها على أنوار الادب الصحيح والوطنية المنزهة عن كل ما يؤثر على علاقة اديب بأديبة الا ما يوجه تلك العلاقة في طرق الاجتماع المتحرك نحو محجات الرقي العقلي والروحي معا ♦

والحفلة الاستقبالية الثانية لا تقل عن الاولى روعة وجمالا واستخلاصا لروح الامة العربية الناشطة لتمزيق التقاليد التي أصبحت غير متفقة مع الآمال بنمو الروح العربية على عناية بذلك من قبل الجنسين معا ♦ وهي الحفلة التي دعنتنا اليها الادبية المجاهدة السيدة ثريا الحافظ رئيسة منتدى سكيينة وقد أقيمت في دارها العامرة وجمعت جمهورا كبيرا من سادة الفكر والقلم وسيداتنا ، ولكل منهم ومنهن نهج عصري في الادب العربي ينم عن وعي ناشط ووطنية خلابة ♦

هنالك اتسع المقام لابداء صفحة رائعة من أدبنا العربي العصري



أخذ هذا الرسم في حديقة السيدة الفضال سارة مشاقة نعمة رئيسة الجمعية الأدبية النسائية في دمشق لرهط من المدعوين منها لاستقبالنا من قبل جمعيتها الكريمة . ويظهر من اليمين الاستاذ نظير زيتون فالسيدنجيب حرب صاحب جريدة الجبل سابقا فالكاتبة الشهيرة السيدة ودادسكاكيني فالسيد خليل نبكي فالسيدة سارة ربة البيت فعبد المسيح حداد فقربنته حفيظة فالادبية السيدة ثريا الحافظ رئيسة منتدى « سكينه » فزوجها الاديب السيد منير الريس فالاستاذ سعيد الجزائري فالاديب المشهور الاستاذ سعد صائب فالسيد عبد الله عبود فالسيدة أولفا قندلفت فالدكتور عبد السلام العجيلي .



قرأناها سمعا بالسنه الادباء - قصائد من الشاعر محمد الحريري الحموي الاصل والدكتورة طلعت رفاعي الحمصية الاصل وغيرهما من شعراء الفيحاء وشاعراتها وادباء الجيل المتفتح لمحجات التقدم الروحي وأدبياته المجاهدات مع زعيمة نهضة سكينه السيدة ثريا الحافظ وعلى أثر ذلك تقدمت الادبية الآنسة عنايت رمزي وهي التي وصفها قلم جريدة النصر الدمشقية بالادبية المطبوعة المتمكنة واحدى فضليات

العاملات في الحقل التربوي فألقت الخطبة التالية في تقديم المغرب
ضيف دمشق مؤلف هذا الكتاب :

« لعلني وأنا أقدم ضيف المنتدى الكبير ، الاستاذ عبد المسيح
حداد أحد رواد الطليعة من فرسان الادب العربي في المهجر . . . أكون
أقرب ما أكون ، الى تهمة الضيف في الاطلاع على ماثر هذا الفارس
وكنوزه ، وكيف لا أكون كذلك وفضله في جريدته (السائح) وفي
(الرابطة القلمية) ، في حمل الوية العروبة في تلك الديار الامريكية ،
قد اقتحم كل قلب عربي نأت به الدار أم قربت ، حتى غدت أقواله
شعارات للأمة ومصدرا من مصادر يقظتها وحيويتها وانطلاقها
وتجددها . »

لقد كانت كلماته ومقالاته قنابل وقذائف تارة . . . ووردا وأناشيد
أخرى سكبتها حنجرته وقلمه واستطاع بايمانه واخلاصه أن يربط
ماضي العرب بالحاضر ، والشرق والغرب ، وحقق لامة العرب اندلسا
جديدة في أمريكا تفتح آفاقا جديدة في أذهان الغربيين . »

لقد غنى الاستاذ آمال أمته منذ مطلع القرن العشرين هذا وما زال
يعنيها الى اليوم فكان زيتا في مصباح شعلة الامة ، بل دما حارا قويا
دافقا في عروقتها ، وصوتا داويا في ضمائرنا وأسماعنا . »

ومن مثله ومثل زملائه أعضاء الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية
من حملة مشاعيل قد غنى أمتهم وبلادهم ، بايمان وصدق وعقيدة
واخلاص . »

من مثل الاستاذ حداد ورفاقه ناصب المستعمرين والطغاة العداء
وما زال يناصبهم وهم الذين نزحوا عن ديارهم أما فرارا من جور واما
طلبا للرزق . »

ولكنهم سرعان ما تجاوزت في صدورهم آلام امتهم فنظموا

أحاسيسها وخلجات وجدانها شعرا وأدبا ملؤها الحياة والامل والكبرياء
الوطني ، واذا كلماتهم تجتاز المحيطات الى معازل المجاهدين ، لترمي
بهم في اللهب وعلى شفرات السيوف ، واذا العصبيات والاقليميات
والانهازمية عندهم خيانة لكل وطن من الاوطان العربية وعبودية
للمستعمر الدخيل ♦

ومن كالاستاذ حداد ورفاقه نحسبهم رصيذا ضخما لوعي هذه
الامة وفكرها وادبها وتراثها العظيم ♦

ومن كالاستاذ حداد ورفاقه ذكر الربوع والاهل والعشيرة والوطن
والامة كلها ، فكان كالام الفاضلة همها كل همها أن ترى وحيدها رجلا
سيدا عزيزا حرا ♦ لقد فتح الاستاذ عبد المسيح حداد ورفاقه اعينهم
على ماضي أمتهم المضيء ، فانتشت نفوسهم طربا وقلوبهم ايمانا
وعقولهم اجلالا ولكن واقع أمتهم يومذاك المظلم المرير قد هزهم من
الاعماق ، فاذا النشوة العارمة حسرة في النفوس ، واذا الايمان بالامس
الدابر كفر بالحاضر ♦

وانتفضت نفوسهم كبرياء وزهوا فاذا بالغرب الذي رادوه مرتزقين
يغدو تحت أيديهم اندلس جديدة وعندما هتفت الرابطة القلمية في
شمال أمريكا بدعوتها وتليها العصبة الاندلسية في الجنوب اندفعت مع
العربية في زحفها وبنائها ، فاذا روابط الفكر تقوم هنا وهناك ، واذا
الصحف والمجلات ، وفي مقدمتها جريدة السائح للاستاذ حداد ، ومن
ورائها أقلام اليقظة والنهضة ، دعوتهم جميعا فيها حيّ على العروبة حيّ -
على التآخي والتصافح ، حيّ على حرب الطغاة والمستعمرين - حيّ -
على الثورة والاستقلال ♦

لقد انطلقت النداءات محلقة من تلك الاجواء البعيدة فاذا هي برد
وسلام في أرض الوطن الام على قلوب المؤمنين المخلصين واذا هي

حجارة من سجل على رؤوس المارقين والمستعمرين ♦

لقد هزت صرخاتكم يا سيدي مضاجع النائمين في دنيا العرب ودوت صفوفهم فاذا اليقظة والحيوية واذا النخوة والاريفية واذا التضحية والفداء ، واذا الثورة العاصفة في كل صدر وقلب ، واذا هذه العاصفة كالنار الآكلة لم تستكن حتى طهرت ارض الوطن من المستعمرين وأذئاب المستعمرين ♦

ولا أود أن أترك مكاني هذا ، قبل أن أذكر فضلك الجليل على الادب والادباء فلقد سننتم لهم في الرابطة القلمية السنة الاولى في جمع الشمل وتوحيد الكلمة وفي الثورة على الوقوفيين، نعم لقد كانت رابطةكم ثورة في الادب العربي وتنظيم النشاطات ، ثورة أضمرت النفوس وبهرت العيون وأعظمت شأن الرسالة التي لا بد للاديب من تأديتها ولو بشق النفس لان الادب الحق هو ابداع وهو دعوة ♦

وكنا نذكر عطفك على الادباء وفتحك صدر صحيفتك لتنمية قرائحهم فعندما احتجبت مجلة الفنون التي كان يصدرها المرحوم نسيب عريضة عام ١٩٢٠ لعجزها المالي ، وكانت يومذاك مسرحا لا قلام النخبة من رجالات الرابطة القلمية ، وملتقى الاقلام المتعطشة الى الادب الحي ، فتركت بتوقفها فراغا ، بدأ الادباء يتحولون الى السائح جريدة الاستاذ عبد المسيح حداد ، فينشرون فيها بعض ما تنتجه قرائحهم ويتناولون في مكتبه شؤون الادب والفن بأحاديث التشويق الى آفاق أجمل وأبعد ، وفي العشرين من نيسان عام ١٩٢٠ أحيى الاستاذ حداد واخوانه في ادارة المجلة ليلة ضمت جبران خليل جبران ونسيب عريضة ومخائيل نعيمة ورشيد أيوب وغيرهم تقرر فيها تأليف الرابطة القلمية ووضع قانون لها يحدد أهدافها ، وأنه ليشرفنا أن تكون أهداف منتدانا هذا مشبهة كل الشبه بأهدافكم التي جعلتموها دستوراً لا للرابطة يومذاك فحسب

بل دستوراً خالداً لكل تجمع أدبي ، من اهتمام بنشر مؤلفات أعضائها
ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين وترجمة المؤلفات الهامة
من الآداب الأجنبية ومن منح جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة
تشجيعاً للادباء ، وابتداءً من ذلك التاريخ راح أعضاء الرابطة ينشرون
مقالاتهم في الجرائد والمجلات ، ويصدرون من جريدة السائح في رأس
كل سنة عدداً ممتازاً زاخراً بمقالاتهم ، وأخذوا اسم الرابطة بالانتشار عن
طريق السائح في الاقطار العربية ، وراح الادباء على اختلاف منازلهم
يحسبون لها حساباً ويترقبون صدور مجموعاتها فيتلقفونها بشوق ولذة .

وإذا كان الحظ لم يسعفنا بأن نعلم بقراءة كل ما كتبتم في جريدتكم
الغراء هذه ، فلا أقل بأن نعلم اليوم ، وقد اسعدتنا الايام بلقائكم على
أرض وطنكم العزيز ، بعد أن أصبح قويا عزيزاً مهيب الجانب ، لننعم
بكم ملء العين وملء القلب ، نعم لا أقل من أن نعلم في هذه الدقائق
بحديث منكم لا أندى منه ولا أعقب ، فننعم منه بطيب المبدأ وشرف
المعتقد ، ونعيم الرأي الحق ، والتوجيه المخلص والعاطفة المضمخة بشرف
العروبة وطيب ريحها » .

الوعي الشامل طبقات الناس

بعد عودتي الى نيويورك كثيرا ما طرّح عليّ سؤال عن امتداد
الفكرة الشيوعية في سورية خاصة • وهو الاساس في اعتقاد السائلين ،
للدعوة الى توحيد الاقطار العربية في دولة واحدة •

أما أنا فلم أر في سورية ما يدعم ذلك الاعتقاد بأية
حجة وكثيرا ما حاولت استخراج ما تكنه ضمائر الذين جالستهم والذين
حادثتهم عن الشيوعية فكنت أجد منهم ميلا عنها واستهجانا شديدا
لاعتقاد الناس خارج البلاد بأن الدعوة الى انضمام الاقطار العربية في
دولة واحدة كان عاملها الاول للتخلص من سيطرة الشيوعية على مرافق
البلاد •

ولعل السائلين عن ذلك هم من الجموع العالمية التي يذهب أفرادها الى اتهام الشيوعيين بكل ثورة تحدث في أي من بلاد العالم ، وبكل اضطراب يحدث في أي بلد تفتحت عيون أهله على الوعي الوطني لطرده اشباح الاستعمار والاقطاعية منه ، وللعمل على رفع مستوى الشعب برمته بجميع طبقاته على أساس العدل الانساني وفكرة تعميم حقوق هذا العدل بين طبقات الشعب وطوائفه وأجناسه .

ولست ألوّم الذين طرحوا عليّ ذلك السؤال ، فقد عملت الحرب الباردة بين فريقَي العالم الديمقراطي والشيوعي على توجيه كل سبب لقلق واضطراب أو ثورة داخلية في أي بلد من بلدان العالم الضعيفة الوعي والقاصرة عن مجاراة المواقب التمدنية في سيرها للحاق بها الى محالفة الدول الديمقراطية من قبل الدول الشيوعية والى هذه من قبل تلك ، حتى سئم العقلاء هذا الاتجاه الخاطيء على ضوء تفكيرهم في أن الشعوب الضعيفة القاصرة لا بد من أن تتخطى مضاجعها في عصر كهذا وتهبّ هبّة مباركة لاصلاح حالها دون التفاتها الى مذهب أي من الفريقين .

وما لا بد من الاشارة اليه هو أن كلاّ من الفريقين العالميين ، لا يترك البلدان التي تفتحت عيون شعوبها على الوعي خشية أن يكون الفريق الآخر يمد يده لكسب الشعب الضعيف التائر على ذاته ، الا أن حالا كهذا قد أخذ يلمّ أذياله ولا يمضي حين طويل حتى يستقر الفريقان معا على التعايش المزدوج فيترك عندئذ للديمقراطية وللشيوعية أن تتجنب كل منهما أي تدخل لا يعينها في نهضات تلك الشعوب الآخذة بالوعي بعد عبوديتها لشتى ضروب الاستعمارات .

ويجب أن لا يذهب عن تفكيرنا أن تلك الشعوب الآخذة بالوعي والناهضة بعد سبات طويل الامد ، هي نفسها أيضا تعرّض بعض

المفكرين الاجانب للافتكار بأن نهوضها نتيجة عمل أحد الفريقين العالميين • ولعل هذا ما عمل على اتهام سورية بالشيوعية • فقد شاعت حكومتها في البدء الاستعانة بالغرب فلما قضت الحال لوجود اسرائيل في فلسطين وميل الغرب الى عضدها الكثير وجد أولو الامر في سورية الباب موصدا بينهم وبين الدول الديمقراطية وأيقنوا أن حاجتهم أصبحت الى التوجه نحو الشرق الشيوعي لاستمداد عضده • ولما آنسوا منه ميلا الى السيطرة على بلدهم ، مالوا عنه وتخلصوا من نزوعه لضمه الى أقطار القناع الحديدي كما سمي بذلك مجموع الدول الخاضعة للنير الشيوعي •

واني لقائل الآن أنه لو لم تكن الشيوعية لعدمت الشعوب الضعيفة القاصرة أن تفتح عيون وعيها ، فما هو جار في أقطار عديدة كالجزائر والكونغو ولاوس وعدن وغيرها من الاضطراب لا يمت بأي سبب الى أي من الغرب أو الشرق ، بل ان سببه الاصل هو اندفاع شعوب تلك البلاد الى التحرر من الاستعمار الاجنبي والاقطاعية الداخلية ، والى النهوض بحالتهم وحالة بلادهم لاقتناص العدل الانساني وحقوق ذلك العدل المساوي بين جميع الطبقات الاجتماعية التي للشعب •

لم أر في سورية أثرا بائنا عن ميل الى الشيوعية او الى الغرب انما رأيت دعوة الى التحايد في الميل عن أي من الفريقين العالميين الغربي والشرقي مع بقاء المعاملة مع الاثنين على أساس العدل والمساواة •

وعندي أن أساسا كهذا على رغم جلاء حقيقته في الشعوب لا بد من أن يطول الزمن لتدعيمه وارتفاعه ، وذلك من جراء وجود فريقين عالميين يتنازعان عليه لان كلا منهما يريد القضاء على الآخر ، ولان كلا منهما يخشى من الآخر تدخلا في شؤون الشعب الذي كان نائما وقد استوعى ونشط للحاق بركب الشعوب الحرة • وان العدل لا بد من أن يتغلب

غلى الحالة الحاضرة ، ولكنه اليوم بالنظر الى كثرة طالبيه وقيام دول
الاستعمار المنحدرة والدول التي تتخذ حجة لها للتدخل في شؤون
الثورات العالمية يرى نفسه تجاه صعوبة شديدة لشد أزر الشعوب
الراغبة فيه ولسان حاله اليوم هو : « صبرا أيتها الشعوب الناهضة
سأكون لديك ولك عندما يسهل طريقي اليك الا صبرا وان الله مع
الصابرين » ♦

اقدم مدائن العالم

دمشق أقدم مدائن العالم ، فيها يلتقي موكب العصر الحديث بمواكب العصور من أول التاريخ القديمة الباقية آثارها شهودا على حوادث عديدة لها قيمتها في تطور البشرية ، وعلى فتوحات غربية وغارات دموية لا عدّ لها تشير الى امتداد الحسد في نفوس أساطين دول الزمان القديم لتقدم مدائن العالم واعتبارهم أن احتيازاها يضعهم في أعلى مراتب الفاتحين المسكين بزمام العالم كله • وكل هذا انتهى ، حمداً لله ، عن استقلال عربي كامل فأصبحت دمشق عاصمة سورية وعاصمة الحرية والعروبة والوحدة العربية الكبرى •

ودمشق المحافظة على آثارها القديمة والعصرية ، هي بمثابة متحف عظيم يرى فيه الزائر مختلف الصور لكل زمان ولكل غارة من غاراته • يرى فيه آثارا رومانية واغريقية ومسيحية واسلامية • يرى فيه الجامع الاموي العظيم الذي يحمل الزائر مهما يكن دينه على

التخضع • وقبر صلاح الدين بطل الحروب التي نشبت بين قواته العربية مع جيوش الصليبيين الذين اندثر طغيانهم فأعيد حق البلاد الى سكانها الاصليين العرب والذين من أصل عربي • وفيها يرى الزائر بلدا عصريا من أروع ما يشاهد في بلدان الغرب على الرغم من أنه طبع على غرار الغرب نفسه • وفيها الحداثق العديدة ، فلا يتطلع الزائر من نافذة الفندق الا لتقع عينه على حديقة أو أكثر • وفيها اليوم النشاط البارع على أيدي الناشئة المتعلمة المثقفة بشتى ضروب العلوم والفنون • وفيها الجمعيات من الجنسين آخذة بدوافع الوطنية الجديدة للعمل على تنشيط كل سبب للرقى الاجتماعي • وفيها الجامعة السورية وغيرها من المدارس الحكومية الابتدائية والتجهيزية ترسل طلابها المنتهين ألوفا ومئين كل سنة مستعدين لتولي شؤون البلاد بمقدرتهم العلمية وعاطفتهم الوطنية المتنامية في صدورهم والمحقة لآلامهم ولآمال وطنهم بهم •

عندما هبطت وقرينتي دمشق للمرة الثالثة والأخيرة لنتقل منها الى القاهرة عرفت أن نسيبي الحبيب السيد احسان مراش تعين مديرا لهيئة الدعاية والانباء • وقد حاولت الاجتماع به للتعرف عليه فكنت أرتد عن ذلك لمضيه في شغله الذي قيل لي أنه لا فراغ بين ساعاته فعقدت النية على أن أقصده في منزله في الليلة الاخيرة • وكان أن الاستاذ وجيه الحفار الصحفي والكاتب الرشيق الذي تعرفت اليه في نيويورك منذ بضع سنوات ألح عليّ بدعوة للعشاء في أحد مقاصف دمر فشكرت له دعوته وسألته أن يعفيني فلا وقت لدي لزيارة نسيبي احسان المراش الا تلك الليلة فابتسم السيد وجيه وقال لي أن احسان سيكون معنا فهو لا يستطيع الاجتماع حتى بوالديه لكثرة ما لديه من الاعمال وقد دعوته ليكون معنا فحمداً لله لانه سيجتمع بك فتتعارفان بادبكما ونسابتكما أيضا •

وخلال الاسبوعين الأولين من آخر شهر تموز ، وهما الاسبوعان اللذان اعدتهما مديرية الدعاية والانباء لاستضافتنا الرسمية ، كان فندق سميراميس تمتلئ قاعته كل يوم من الصباح الى المساء بالقادمين للتسليم علينا من اعلام ادباء ووجهاء وزعماء وشيوخ وشبان وسيدات وأوانس نلتقيهم بلهفة ومحبة وتتبادل مختلف الموضوعات في الاحاديث ولا سيما مع مندوبي الصحف العربية الممثلين لها في شتى الاقاليم والبلدان •

ومنهم كان الاستاذ ميشال الله ويردي صاحب كتاب « الموسيقى والسلام » وهو شاعر وكاتب قدير ، وكان يأمل بأن ينال على كتابه جائزة نوبل ، وكنت له عوناً في جريدتي السائح عامئذ بعد اطلاعي على كتابه دون ان أعرف واضعه الكريم شخصياً •

جاء ميشال بسيارته قائلاً أنه يرغب في زيارتنا معه دير صيدنايا لتغيير الهواء ولاستراحتنا من عقد الاجتماعات في الفندق فركبناسيارته وذهب معنا الاستاذ نظير زيتون الاديب المهجري المشهور وشقيقته الآنسة جوزفين وكانا قد رافقانا من حمص الى دمشق كما رافقانا في معظم الحفلات والزيارات •

وصيدنايا بلد عربي عامر يحتوي على أكثر من دير وأكبر ديارها وأقدمها دير راهبات الطائفة الارثوذكسية ، وهو قائم على أعلى هضبة كأنه قلعة عظيمة ، يشرف على جميع جهات البلد من عل وعلى جميع مبانيها • وقد استقبلتنا بوجهها الباش ، كأنه رقعة من ايقونة مقدسة ، الحاجة الام مريم حسون المعلوف الوافرة الفضائل النفسية والمرشدة المدبرة بأدبها الرائع ومداورتها شؤون الدير ، وليست هذه الشؤون بما يستهان به ، وهي شقيقة الاديب المهجري الاستاذ جورج حسون المعلوف نزيل البرازيل وقد طافت بنا الحاجة الام مريم على مباني الدير وكنيسته

واغدقت علينا من تحفه هدايا تذكارية لرحلتنا تلك • وعند الغداء على مائدة الدير ، وكان اليوم يوم جمعة وهو يوم صيام فيه ، تطلعت الينا بوجه ظهرت عليه علامات الكدورة فذكرت لنا أن مائدتها اليوم صائمة عن اللحم ولهذا فألوان طعامها زيتية ولكن في مستطاعها أن تضيف الى تلك الالوان شيئاً من اللحم المشوي لان ادارة الطبخ تذبح الآن الخرفان لليوم التالي •

فابتسمت أنا لوداعتها وشعورها اللطيف وقلت لها اني وقرينتي لسنا بصائمين ولكننا نرحب بمثل ألوان المائدة لاننا تعبنا من طعام اللحوم • وهكذا قال الجميع مثنين على كلامي الا (نظير) فلم يشن لأن معدته لا ترتاح الى الزيت والنواشف ولكنه لم يعترض • الا ان الحاجة الام ، على رغم ما قلته لها ، أمرت بأن يؤتى باللحم المشوي لمن يريد منا •

وعلى أثر ذلك الغداء ودعنا الدير ومديرته شاكرين ممتنين مضيفين الى خبرتنا عنه أنه يحتوي على ميتم كبير تعد أيتامه بأكثر من مئة يربون فيه ويتعلمون • وعندما تنتهي سنو تربيتهم وعلمهم يأخذون طرق حياتهم العلمية • ومنهم عديد من البنات يبقين فيه اما راهبات واما معلمات واما راغبات في الاقامة لانه أصبح لهن بيتا لايردن غيره تحت ادارة تلك الام الصالحة المفضل •

حمص ثانية قدمي مدائن العالم

تعد حمص المدينة الثانية بعد دمشق بأقدميتها وهي الثالثة اليوم في سورية بكبرها ، فعدد نفوسها صعد الى مائتي الف نسمة • وماكبرها هذا الا نتيجة النشاط الذي أنعم به عليها الاستقلال والاستقرار ، فقد تعددت مصانعها وازدحم العمال عليها يريدون عملا • وقد قيل لي أن أكثر من أربعين ألف عامل هجروا جبال العلويين الى حمص فتبيلدوها لانهم وجدوا فيها كل مجال للارتزاق • والقادم من دمشق الى حمص

يرى لهؤلاء اضافة كبيرة لحمص عند قلعها حيث يشاهد بلدا كبيرا
سكن فيه أولئك العاملون المجتهدون الذين هجروا أريافهم للعمل
وطلب العلم .

وفي حمص جامع خالد بن الوليد القائد العربي العظيم وأحد أصحاب
النبي العربي ، وهو جامع قد تجدد بناؤه على غرار الجامع الاموي في
دمشق منذ أكثر من نصف قرن ولا يزال التجديد فيه عاملا . زرناه مع
العزير نظير زيتون واعجبنا ايما اعجاب به وبفنون بنائه وبالخفاوة التي
يقدمها القائمون على ادارته لكل زائر لا فرق ان كان وطنيا أو أجنبيا ،
مسلمًا كان أم مسيحيا . وقد علمنا أن همة محافظ المدينة منصرفة الى
توسيع حدائق الجامع ليصبح من أكبر مزارات البلاد وأروعها .

وحمص بلغت منذ استقلال سورية أوج الصناعة ، ففيها اليوم مصنع
السكر الكبير المستخرج من الشوندر الابيض الذي دلّ الاختبار على
أن أرض ضواحي المدينة صالحة لزراعة واتيانه بالسكر من أحسن
أصنافه . كما تقوم فيه مصانع كبيرة للنسيج والاحذية والسجاد
والسمنت . وفيها مزارات دينية عديدة مسيحية واسلامية كما أنها كثيرة
الآثار التاريخية القديمة ومنها آثار معبد الشمس الروماني الا أن هذه
الآثار لذلك المعبد قد أزيلت في العهد الأخير وكان أولى بذوي الامر
الاستبقاء عليها . ومنها أيضا قبر القديس ايليان الشهيد الروماني وهو
قبر من اروع أصناف المرمر يقيم في مؤخر هيكل الكنيسة .

وحمص بلد النوابغ منذ أقدم الازمنة ، ومن أبنائها الرومانيين
الفيلسوف كاسيوس لونجينوس ، ومن ابنائها العرب الشاعر الشهير
ابن رغبان المسمى بديك الجن . ومن أبنائها الذين نبغوا منذ نحو قرنين
الشاعر الملهم أمين الجندي . ومنهم في مستهل القرن الحالي الشهيدان
الوطنيان العلامة عبد الحميد الزهراوي والاديب رفيق رزق سلوم وهو

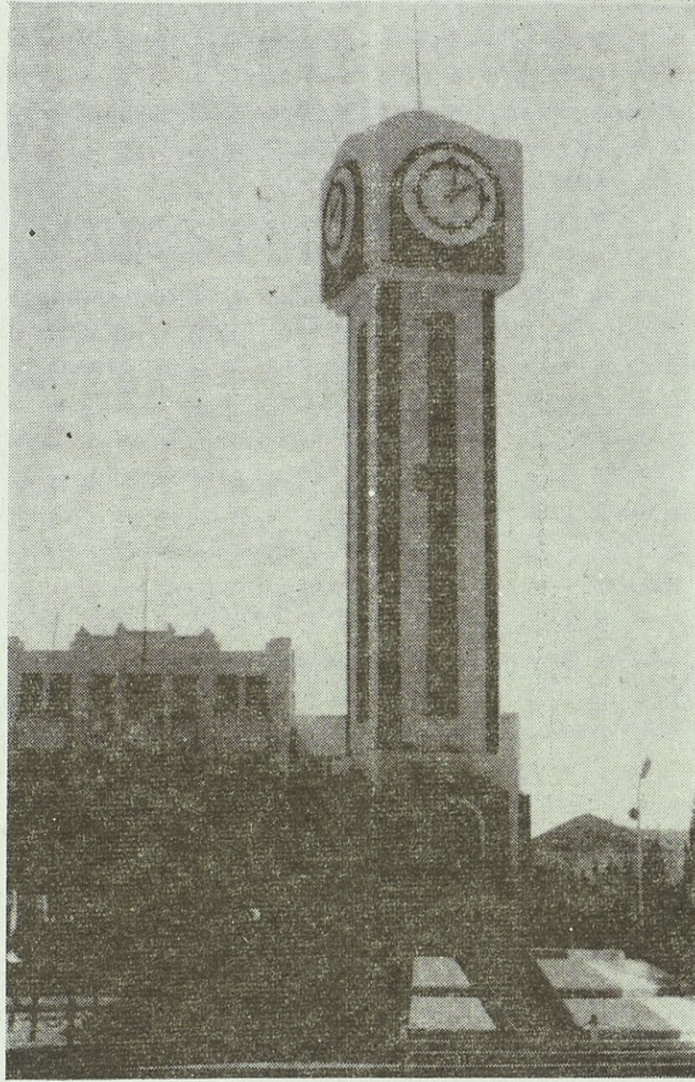
رفيق صباي على مقاعد المدرسة الابتدائية ♦
أذكر هذه الاسماء لنفر من نوابغ حمص العزيزة مع الاسف الشديد
لان المدينة لم تحفل باستطلاع مساكنهم أو أضرحتهم لتقوم عليها
صروح التقدير فيؤمها السياح ليذكروا على الدوام أن حمص كانت
وما زالت بلدا منجبا لاعلام نوابغ في كل عهد من عهودها التي تقلبت
عليها منذ بدء تاريخ العالم ♦

وحمص العصرية تفخر بشباب نبغوا بعلمهم وبينهم الشاعر البارع
محي الدين الدرويش والشاعر الرقيق رفيق الفاخوري والشاعر البليغ
رضا صافي والشاعر المجيد وصفي قرقلبي وموريس قبق ، عدا جمهور
كبير من أصحاب أقلام بارعة وشعراء تفتحت قرائحهم على نظم المعاني
بأسلس مبانيتها وأروع مجاليتها ♦

ساعة لذكرى أسعد عبد الله الحداد

في ساحة مدينة حمص أمام سراياها تقوم ساعة كبيرة على برج مرتفع
هي هدية ابنة العم المحسان المفضل السيدة كرجية أرملة ابن العم
المغفور له أسعد عبد الله الحداد الحمصي العصامي الكبير في سانباولو
البرازيل ♦

هي هدية قدمتها المهديّة الكريمة تذكارا لحياة زوجها أسعد الذي
ما جمع مالا في غربته الا ليفيض منه تبرعات كبيرة لمشاريع خيرية للجالية
العربية السانبولية ، كما جاد بماله على الانشاءات العمرانية في سورية
وطنه ♦ ولما عاجلته المنية حفظت أرملته ما كان يجول في نفسه من تقديم
احساناته لمشاريع حمص وغيرها فعكفت على تحقيق أحلامه بعد وفاته
فقامت برحلات الى سورية حيث تبرعت عن روحه بسخاء للجامعة
السورية في دمشق وللمياتم والمدارس في حمص ودمشق وغير ذلك كثير
يؤلف جميعه ثروة كبيرة ذهبت كلها لذكرى الرجل المقدم الصالح
الجواد ♦



برج الساعة الذي شيده المحسنة الجليلة السيدة كرجية عبد الله حداد وقدمته هدية الى مدينتها حمص .

أرى الواجب يدعوني الى عرض هذه السطور عن اثنين من أبناء عائلتي الحدادية المرحوم أسعد وأرملته كرجية فلقد أحسست الفخر ترتكض عوامله في نفسي حينما وقع بصري على ساعة كرجية في ساحة حمص الكبرى أمام سراياها فذكرت ولست بالناسي فضائل الرجل الذي أكبر اسم العائلة وأعظم شأن الاحسان في جالية سانباولو وفي وطنه

الاول سورية ثم فضائل أرملته التي انظقت نفسها بأحلام زوجها في تعهد
مشاريع وطنه الاصلاحية الخيرية باحساناته فعكفت على تحقيقها لذكرى
روحه الطيبة ♦

الساعة في حمص لذكرى رجل عمل كثيرا وأنفق كثيرا في سبيل
المشاريع العمرانية في حياته وقد أكملت أرملته تمنياته لوهب احساناته
بعد مماته ♦

أجل هي ساعة تحمل الناظر اليها على أن يسأل عنها ليعلم أن التي
تبرعت باقامتها هنالك وهبت الكثير الكثير عن نفس قرينها الراقد بسلام
في أحد مدافن سانباولو البرازيل ♦ وعندما يسأل الناظر الى تلك الساعة
عنها تتوارد على سؤاله الاشارات الى أعمال أعظم منها وأوفر حسنا
واحسانا لعدة مشاريع عضدها أسعد عبد الله الحداد المغترب الذي أسعده
الله بنجاح كبير وبزوجة عرفت بعده كيف يجب أن تعبّق بخور ذكراه في
مغتربه ووطنه الاول كما أسعده بخير الابناء السائرين على خطه ومبادئه
السامية ♦

مباركة هي روح أسعد فقيدنا الكبير ومباركة هي نفس أرملته التي
أتمت موحيات زوجها حتى بعد رقدته الأخيرة وأطال الله بعمرها لتكثر
مفاخرنا بها وبعائلتها الكريمة ♦

الطواف على محافظات سورية

كانت حرارة الصيف لدى ابتداء الرحلة الى سورية مزعجة جدا وقد اضطرني ذلك الى أن أطيل المكث في حمص بين الاهل والانساب لاعتدال صيفها ، وتحرك هوائها ولا سيما عند الامسية • ولكم ألح عليّ رفيقنا من قبل مديرية الدعاية والانباء ، السيد عبد الله عبود بمباشرة الطواف على محافظات سورية فكنت ألح عليه أيضا بالتمهل حتى قدوم شهر تشرين الاول ، لأن الحر أعدى أعدائي وأخشى أن يسلبني رغبتي في
الدرس والاطلاع •

في الاسبوع الاول من ذلك الشهر قدم علينا السيد عبود من دمشق الى حمص ، فودعنا الاهل وسارت بنا السيارة الى مدينة حماه مدينة أبي الفداء وهناك زرنا محافظها فأخبرنا أنه علم قبل قدومنا بزيارة حماه ، ولهذا أعد لنا غداء في الفندق دعا

اليه رهطا من وجوه المدينة عند الساعة الثانية ، وكان لدينا زهاء ثلاثة ساعات حتى موعد ذلك الغداء ، ولهذا طلب منا المحافظ أن نزور معاهد المدينة خلال هذه الساعات فقمنا بزيارة قصر آل العظم الذي هو أثر عظيم من آثار البناء العربي البالغ أوج الفن وابداع بنائي القرن السابع عشر في النقش والتركيب والتنسيق والرسم الموشى بالذهب على حيطان القاعات الرحبة وما في البناية من تحف ومفروشات محلى معظمها بالنقوش المذهبة وغير ذلك من برك الماء وباحات الاستضافة وقاعات الاجتماع الموشاة بالذهب والاصباغ المختلفة . وقصر آل العظم هذا تحول منذ عام ١٩٢٠ الى متحف بطريق الشراء من قبل دار العلم والتربية الاهلية وما بقي من قاعاته أصبح لصفوف مدرسة تجهيزية تحيط بها الحدائق الغناء وكذلك الابنية الفخمة التابعة لها ، وقمنا بعد ذلك بزيارة مكتبة حماء العمومية التي كان يتولى ادارتها الاستاذ سامي السراج رحمه الله ، وهي مكتبة يستعين الطلبة بالاطلاع على ما يريدون استكشافه من العلوم . وقد حدثنا الاستاذ السراج عن سير المكتبة المتتابع وعن أمله بصيرورتها وافية بحاجات الطلبة الى الاطلاع وحاجات الراغبين من الوطنيين في تحصيل الفوائد العلمية خلال ساعات فراغهم .

ولما انتهينا من زيارة معالم المدينة رأينا أنه لا يزال لدينا بعض الوقت لغداء سيادة المحافظ فاقترح دليلا أن نزور سيادة المطران اغناطيوس حريكة ، قائلا انه من أكثر الزعماء الدينيين وفاء بعهد العروبة . فرحبت باقتراحه ورجوت أن يخاطبه بالتلفون ففعل فسمعنا سيادته يقول أنه منذ الصباح يتوقع زيارتنا فقد سار في المدينة خبر قدومنا الى حماء وزاد على ذلك قوله أن عنده الآن أحد أنسبائي السيد ناظم مرهج ينتظر أن يجتمع بنا . فأسرعنا الى دار المطرانية الارثوذكسية وكان اجتماعنا بسيادته وبالسيد مرهج من أبهج الاجتماعات ، فقد عرفت سيادته في

سنان باولو البرازيل سنة ١٩٤٨ ، حين زار الجالية العربية الموافق لحين
زيارتي لها . وقد سبق لي في الرحلة الى الوطن أن اجتمعت بسيادته في
دير القديس جاورجيوس منذ بضعة أسابيع اذ علم من سيادة رئيس الدير
أزماينا زيارة ديره للاجتماع برفيق العمر الاستاذ اسكندر اليازجي
العليل في بلدة مرميتا . وقد قام بعقد هذا الموعد العزيزان جدا
السيدان عبد الباسط وفرحان أتاسي نجلا السيد الجليل عبد الهادي
الاتاسي فخطب في الحال أخاه مطران عكار والحسن سيادة ايفانيوس
زائد وحضرا الى الدير قبل وصولنا حيث أخبرنا رئيس الدير أنه لم
يستطع احضار اسكندر ولان الدير لا سيارة لديه فاقترح عبد الباسط
أتاسي أن نذهب الى مرميتا بسيارته فنحضره ليتناول الغداء معنا .

وهكذا قصدنا مرميتا ودخلنا فجأة الى منزل آل اليازجي فدهش
اسكندر أيما دهشة واندفعنا نعاثقه وهو يذرف دموعه بكثرة ونحن
نذرف دموعنا كذلك بكثرة وأقمنا معه نحو ساعة . ولما رغبتنا في
اصطحابه معنا استعذر عن ذلك لانزعاجه ولصعوبة السير على الطريق .

وقد وعدناه بزيارة ثانية بعد حين الا أن وعدنا حالت دون تحقيقه
شواغل عديدة .

وقد سبق لنا أن قمنا قبل ذلك اليوم ببضعة أسابيع بزيارة غير
رسمية لمدينة حماه دعانا اليها من حمص أديب حماه وأحد عيونها الدكتور
أديب نصور فأرسل سيارته الى حمص لنقلنا اليه مع الاستاذ نظير زيتون
ونسبية الدكتور نصور السيدة نظيرة وقرينها السيد شوقي الحموي
شقيق حفيظة قرينتي مضيفنا في منزله أيام استراحتنا في حمص .

وهناك في منزل آل نصور جلسنا الى مائدة كبيرة التف حولها
رهط من أرباب الهيئات الادبية في المدينة بينهم شاعرها الكبير الاستاذ
بدر الدين الحامد الذي فتح علينا احاديثه الطلية وهو من أبرع المحدثين

في غزارة علم وقوة الهام في ذكاء وجرأة كثيرين • ومنهم الصحفي الرصين
الاستاذ محمد الحافظ صاحب جريدة (الفداء) •

في مكتب سيادة المطران حريكة علمنا منه أنه مدعو من محافظ
المدينة لتناول الغداء معنا ، ولهذا ودعناه على أمل الاجتماع به في
الفندق ، وودعنا نسيبنا الحبيب ناظم مرهج على أمل أن نجتمع به وشقيقه
السيد فريد في حمص لدى عودتنا من محافظات الشمال •

وعند الساعة الثانية قصدنا فندق أبي الفداء حيث أعد غداؤنا مع
سيادة المحافظ ومدعويه من وجوه المدينة وكان اجتماعنا من
أغنى الاجتماعات الادبية الوطنية • ولما انتهى غداؤنا ودعناهم جميعا
وسرنا الى سيارتنا التي أخذت طريقها بنا نحو مدينة حلب الشهباء •
وقد مرنا بمعرة النعمان وشاهدنا ضريح فيلسوفها الشاعر رهن المحبسين
أبي العلاء المعري • ثم تابعنا السير الى محجنتنا في ذلك النهار أي حلب
الشهباء • وهي كبرى مدائن سوريا وأعرقتها في التجارة والصناعة اللتين
كانت حلب عقدة الوسط لهما بين سورية والانضول والعراق وغيرها •
أما بعد الاستقلال فقد خسرت أسواقها تلك الميزة التجارية الصناعية ،
الا أن نشاط أهلها فتح عليهم أبوابا أخرى لمد تجارتهم وصناعتهم
الضرورية التي تغني البلاد عن أسواق أوروبا ففيها اليوم مصانع كبرى
للسيج بفنونه العصرية وللسماد والاحذية وغير ذلك مما تحتاج اليه
سورية وغيرها من الاقطار العربية •

وحلب مدينة يرى السائح فيها ازدهامات شتى رائعة في أسواقها
القديمة والجديدة حتى ليضطر الى السير على مهل بين الجماعات المزدحمة
ليجتاز من سوق الى أخرى • وقد أمضينا بعض الساعات مع الاديب
الكبير الاستاذ محمد علي الكحال صاحب متحف كبير للمخطوطات
العربية القديمة وكان اعجابنا عظيما باختباره الكثير للمخطوطات وبولوعه

بتجميعها وفيها الكثير من أغلى وأثنى ما يباع ويشرى *

واتفق في أثناء أقامتنا في حلب أن دعينا الى حفلة اعطاء الشهادات للطلبة المنتهين في مدرسة الضباط * فليينا الدعوة بسرور اذ يتاح لنا حضور مثل هذه الحفلة العسكرية النادرة وقد دامت من ساعة قريبة بعد الظهر حتى ساعة متأخرة من المساء ، فبعد اعطاء الشهادات لمستحقيها ، قام طلاب المدرسة بألعاب عسكرية تفننوا بها ما شاء تفننهم على ارتياح النظارة واعجابهم الكثيرين وكان الحشد الناظر ألوفا عديدة * وقد شاقنا أن نرى الضباط السوريين يظاهون بتدريبهم العسكري أحسن الضباط الاجانب *

وفي حلب وفد علينا جمهور غفير من سكان المدينة للتسليم علينا وللتعارف ، وكان في مقدمتهم أديب حلب الكبير وصحافيتها الاستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد ، وهذا الاديب الموهوب له عطف خاص على أدباء المهجر الكبار كالقروي ونظير زيتون والياس فرحات وسواهم وللمغتربين في نفسه مكانة رفيعة *

وكان هذا الاديب خير رفيق لنا وقد عقد لنا سهرة في منزله العامر حيث تعرفنا الى عائلته المباركة بسيدتها الادبية وأولادهما الاذكياء اللبقين * ولم يكتف عبد الله بتلك السهرة الزاهرة بل دعانا لقضاء سهرة اليوم التالي في حديقة المسبح العائلي * وهناك جلسنا الى مائدة تحت ظل شجرة باسقة الاغصان * وقد اثقلت المائدة بعديد الوان الاطعمة والتوابل اللازمة للكؤوس وأماننا مسرح للرقص العام ينتهي بدكة الغناء والعزف * وقد تشكل العزف من جوقة بارعة في الموسيقى العربية ومحافظة على الالحن القديمة التي كان يلقيها غناء بعض ذوي المواهب بجميل أصواتهم ، فكانت سهرة من أجل السهرات بين مئات عديدة من الموائل التي اجتمع حولها جماهير الحلبيين وأصدقائهم * والحلييون

مشهورون قبل غيرهم من سكان سورية بالميل الى الموسيقى عزفا
وغناء • ولقد كرهت نفسي بعد الساعة الاولى من صباح اليوم التالي
وأنا بمثل ذلك الحال اذ شعرت بالكرى يدنو من عيني ، واذا بي افتحهما
على سماعي اسمي من فم عريف الحفلة يقدمني للجماهير ، فوقفت على
تندية الاكف بالتصفيق أحبيهم بيدي الا أنهم ألحوا عليّ بالقاء كلمة
فألقيتها كلمة خاطفة أو بالاحرى كلمة ناعسة •

ولقد قمنا بزيارة محافظ حلب فرأينا فيه روح الشباب
متحلياً بآيات الذكاء والثقافة ، فحدثنا وحدثنا فانتشت
نفوسنا بخمر أدبه ووطنيته • كما زرنا قلعة حلب ودار كتبها وبعض
مصانعها الكبرى مما أثار فينا الاعجاب بهم أهلها ونشاطهم في حلبات
العمران من أية نواحيه •

وهناك قبل مغادرتنا المدينة دعينا الى مأدبة فخمة تقيمها السلطة
العسكرية في نادي الضباط في حمص • احتفاء بالمغتربين الحمصيين
الذين يزورون وطنهم بعد غياب طويل ، ورأينا عندئذ أن نختصر اقامتنا
في اللاذقية لكي لا نضطر الى السفر منها واليها مرة ثانية •

وبلغنا اللاذقية بعد ظهر اليوم الخامس فلم يشأ مرافقنا السيد عبد
الله عبود الا أن نستودع الفندق حقائبنا ثم نعود حالا الى السيارة تنهب
بنا الجبال والاوادية حتى بلدة كسب المصيف السوري الشهير القائم
بين الاحراش المكتظة الاشجار العالية والوارفة الاظلال لمسافات بعيدة
حتى حدود تركيا - واستغفر الله - فالحقيقة هي أن تلك الحدود سورية
تبدأ منها منطقة الاسكندرون التي سطا عليها الطمع التركي فتناولها هبة
لصوصية من يد الانتداب الفرنسي قبل الحرب العالمية الثانية • وكم
حزّت في قلوبنا مشاهدتنا الخفر التركي عند تلك الحدود المنهوبة ، وكم
تمنينا على عدل الله في خلقه أن يعيد حق سورية اليها ، على رغم معاطس
المعتدين الناهيين •

وأقمنا في كسب بعض ساعة في مقهى جميل يطل على واد ممرع
بالاشجار وذي مشهد رائع • وفيما نحن على أهبة مغادرة المكان اذا
بمدير الناحية وهو ضابط عسكري قد حضر لاستقبالنا فعادنا الى
مقاعدنا نتحدث معه عن جمال الطبيعة في كسب وصلنفة ، وتمنينا على
الله أن تزداد تلك المنطقة عمراننا لتصبح من أروع الاماكن للاصطياف •
ثم ودعناه على الرغم من الحاحه علينا بالبقاء في البلد ، مفهمين اياه بأن
الوقت لا يسمح لنا • وأسرعنا الى سيارتنا لان رذاذا بدأ يرسل قطراته
فسارت بنا عائدة الى اللاذقية •

وفي اليوم التالي نهضنا باكرا لنجعل ساعات نهاره كلها وقفا على
الطواف في منشآت المدينة وأخصها الميناء الجديد • فقصدنا سيادة
المحافظ في سرايا وهو شاب ضابط في الثانية والثلاثين تلتمع دلائل
الذكاء والنشاط على محياه • ولما أخبرناه بأن اقامتنا لن تطول في عاصمته
ظهر على ذلك المحيا علائم الانزعاج ، ولكنه نزل الى خطتنا مضطرا ثم
أخذ سماعة التلفون طالبا ادارة الميناء فأصدر أمره بأن يستعد لاستقبالنا
أحد المهندسين ومعه سيارة عند البوابة الثامنة وقد طلب من السيد
مصطفى عمران الكاتب الرئيسي الموظف في شعبة الدعاية والانباء أن
يرافقنا في الطواف على المنشآت والمصانع ثم ليكون رفيقنا في متابعة
سفرنا الى منطقة صافيتا فهو من أبنائها الاعلام ويعرف طرقها جيدا
وما فيها من الاماكن التاريخية التي نرغب في زيارتها •

سارت بنا سيارتنا الى مداخل الميناء وعند البوابة الثامنة تقدم الينا
شاب طلق المحيا فعرفنا بنفسه وأنه مستعد لخدمتنا في الاطلاع على
منشآت الميناء وطلب منا أن ننتقل الى سيارته ففعلنا • وللحال سارت
بنا تنقلنا من مكان الى مكان ، ومن بناية الى أخرى ، وما يتخلل كل
ذلك من المستودعات الضخمة والآلات العصرية الجبارة للرفع وللنقل ،

وما الى ذلك من لوازم الميناء الذي اكتمل بناؤه ، وأقبلت على الاتفاق مع ذوي الامر فيه شركات البواخر للرسو في حوضه وتفريغ محمولاتها من البضائع ومعظم هذه البواخر تجارية وقليل منها حتى الآن لنقل الركاب .

ولقد حدا بالشاب المهندس رفيقنا الى سؤاله لنا من أي البلدان نحن . فلما اخبرناه أننا من حمص تهلل وجهه وقال أنه أيضا حمصي ولما عرفنا بهويته اذا به من أنسباء القرينة ، فازددنا به استئناسا .

وعلى أثر ذلك انتقلنا الى يخت أعد لسياحتنا البحرية ، فطاف بنا أولا حول مدار الميناء حيث ترتبت فيه مبينات البواخر ثم مخر بنا الى خارج الميناء عرض البحر لسياحة جميلة اقتضت بعض الساعة ثم عدنا الى المرفأ وودعنا رجال ادارته لنعود الى سيارتنا التي نقلتنا على هداية السيد مصطفى عمران الى أكبر مصانع اللاذقية ألا وهو مصنع التبغ حيث يعمل ألوف العمال والعاملات على مختلف الآلات العصرية لتنقية أوراق التبغ وفرمها وتوضيبيها للصر علبا خاصة للتبغ (التنباك) المقصود به التدخين على الراكيل . وللصر علبا للفائف السيكرات .

وعدنا بعدئذ الى الفندق حيث تهيأنا للتجوال في بعض مناطق المحافظة فتحركت عجلات السيارة بنا من اللاذقية بعد الظهر ، وكان معظم الطريق على الساحل الذي قال لنا عنه مدير الميناء في اللاذقية أنه سيكون معظمه ميناء واحدا من اللاذقية الى طرطوس ، ولهذا فالادارة تعمل على اكثر عدد المهندسين المختبرين . وذكر عند هذا أن عددهم في سورية لا يزيد على خمسمئة فيما أن الحاجة الى أكثر من خمسة آلاف مهندس .

وهنا أرى من الضرورة أن أقتبس شيئا من نشرة للاديب مصطفى عمران رفيقنا في طوافنا على بلاد المحافظة جاء فيها ما يلي عن آثار المنطقة الساحلية :

« يتمتع الساحل باقليم لطيف وجمال طبيعي أخاذ وموقع استراتيجي محمي بالجبال مما جعل المنطقة منذ العصور القديمة مركز حضارة زاهية اشتغل أهلها بالزراعة والصناعة والتجارة ومهروا الملاحة فمخروا عباب البحر الابيض المتوسط وأنشأوا على سواحله مراكز تجارية كانت صلة الوصل بينهم وبين شعوب البحر » ♦

وما يلي أيضا قول الاستاذ عمران في رأس شمرة المدينة التاريخية التي اكتشفتها بعثة فرنسية :

« رأس شمرة مدينة فينيقية من القرن الخامس عشر قبل المسيح واسمها القديم (اوغاريت) وهي تقوم على مرتفع على بعد أحد عشر كيلو مترا من اللاذقية شمالا وتبعد عن البحر كيلو مترين ولها ميناء على البحر يسمى ميناء البيضاء كانت تجمع فيه البضائع لتصديرها عبر البحر ♦ وكان أكثر تعامل أهلها مع سكان كريت وجزائر ايجيه اليونانية » ♦

« قامت بعثة فرنسية برئاسة الدكتور كلود شيفر بالحفر وقد اكتشفت المدينة صدفة في سنة ١٩٢٨ وقامت أعمال التنقيب فيها سنة ١٩٢٩ وتوقفت بسبب الحرب العالمية الثانية ثم استؤنفت بعد الحرب ولا تزال أعمال التنقيب تجري في خريف كل سنة من قبل البعثة نفسها تتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف بالتنقيب في المدينة القديمة فكشفت حتى الآن عن القصر الملكي وتوابعه ويستدل بأعمال التنقيب أن المدينة كانت على صلة وثيقة مع فراعنة مصر ومع شقيقاتها الدويلات الفينيقية الاخرى الا انها كانت تعاني من تدخل الدولة الحثية في شؤونها مما اضطرها أحيانا الى الاستعانة بالمصريين وقد وجد في رسائل تل العمارنة في مصر ما يؤيد هذه العلاقات » ♦

« تقع الاحياء الشعبية شمالي القصر الملكي ويلاحظ أن المدينة

مقسمة الى أحياء تفصلها شوارع مستقيمة متعامدة ومتوازية
تقريبا » ♦

ومحافظة اللاذقية مررنا بعرضها من حلب الى قاعدتها وبطولها من
اللاذقية على الساحل حيث مررنا بعدد البلدان المطلة على البحر المتوسط،
أمثال بانياس وجبله ومنت عرنوق وطرطوس ، وأمام هذه الجزيرة أرواد
الصغيرة الحجم ، الكبيرة في أهميتها التاريخية ، فقد لعبت دورا كبيرا في
الملاحة والتجارة البحرية كما لعبت دورا في السياسة الخارجية القديمة
بين الحثيين والمصريين وقد سيطر عليها الصليبيون حينما انتهى في سنة
١٣٠٤ باخلائهم اياها ♦ وكما لعبت في العصر الاخير بعض الدور الحربي
عندما احتلها الاسطول الفرنسي في أول الحرب العالمية الاولى ♦ ولا يزال
قائما فيها بعض بقايا سورها القديم الذي يرجع الى العهد الفينيقي ♦

ومن طرطوس سارت بنا السيارة شرقا حتى توسطنا أرض المحافظة،
وقد وقفت بنا أمام دار الاستاذ عبد اللطيف اليونس في برج صافيتا
وحضرته من أعز الاصدقاء تعرفت به في سانباولو البرازيل اذ كان زائرا
الجالية العربية في سنة ١٩٤٨ وفي تلك السنة قمت بزيارة البرازيل مدعوا
من قبل صديقي الكريم السيد حافظ لبّان الصناعي الكبير في تشيلي
وكان هو أيضا زائرا مع قرينته المحترمة السيدة وجيهة الانسباء والاصدقاء
العديدين في سانباولو وهناك أقمت ستة أشهر ضيفا على نادي حمص
وهو من أكبر اندية العالم وأفخمها وأكملها ♦

وما أن وقفت السيارة أمام دار آل اليونس حتى نزل منها رفيقانا
السيدان عبد الله عبود ومصطفى عمران ، ولما دقنا الباب خرجت كريمة
الدار الادبية الانسة سميرة ترحب بنا قائلة أن أباهما الحبيب في دمشق
ولكن موعد عودته في تلك الساعة وطفقت تلح علينا بالدخول الى
المنزل ففعلنا ♦ ولكن الاستاذ عبد اللطيف لم يعد الا عند آخر ذلك

الليل غير أن شقيقه حضر إلينا من منزله مع عائلته الكريمة لينوب عن أخيه الأكبر في الاجتماع بنا واستضافتنا وقد كان حظنا عظيما ذلك، اليوم لاجتماعنا ضمن بيت له منزلته السامية في النبل والمروءات والادب والوطنية العربية النزينة .

ولقد اغتمّ الاستاذ عبد اللطيف أيما اغتمام اذ علم في الصباح أن قيامنا عنده لن يطول أكثر من الليلة الماضية وأخبرته عن شوقي الى بلدة مشتى آل الحلو للاجتماع بعميدها السيد جبرا . وللحال حاول بمنتهى جهده مخاطبة المشتى بواسطة مديرها الذي أخبره أن جبرا ليس في البلد . ولكم كان سروري عظيما بعد نصف ساعة اذ عاد اليّ الاستاذ يبشرنني بأنه تلقى هتافا بالتلفون من جبرا الحلو الذي بلغه وصولنا الى صافيتا فأسرع اليها للاجتماع بنا .

قلت أني تعرفت بالاستاذ عبد اللطيف اليونس منذ اثنتي عشرة سنة ، وعرفت به الاخلاص النبيل والادب الجزيل وصدق المودة عدا أنه من فطاحل الادباء وخطيبا عظيما على منابر الكلام بفصاحة وبلاغة تندران عند غيره فهو ممن ينثرون أفكارهم متلاحقة سهاماً تصيب كبد الحقيقة لساعات دون تلجلج لسان أو تعثر بهفوة أو ترديد ممل .

وفي اليوم التالي قمنا بزيارة سرايا البلد وبعض آثاره القديمة ومنها برج صافيتا . وهو من بقايا القلعة البيضاء الصليبية التي بناها فرسان المعبد وهم فرقة دينية عسكرية ظهرت في القرن الثاني عشر واشتركت في الحروب الصليبية ، وخاصة في فلسطين ، وقد أثرى أعضاء هذه الفرقة حتى أصبحوا من كبار المتولين اصحاب المصارف المالية . وقد توضع المدينة الحديثة على أطلال القلعة التي استخلصها نور الدين محمود أولا ثم أخلاها للصليبيين حتى استولى عليها نهائيا الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٧١ م .

وبرج صافيتا عال جدا وقد رقيت درجات سلمه الحجرية المتهرىء
أكثرها على احتجاج الرفاق خوفا عليّ من العياء ولكنهم تبعوني حتى
بلغنا سطح البرج فأطللنا على مساحات بعيدة للجهات الاربع ، وسرّت
عيوننا بأجمل المشاهد • والبرج هذا يبدأ أوله بكنيسة للطائفة
الارثوذكسية متوسطة الحجم ولكنها سالمة من التهدم رغم قدميتها •

أما قلعة الحصن فواقعة في محافظة حمص • وقد زرناها ثلاث مرات
وفي كل مرة كنا نزداد اعجابا ببنائها على الرغم من تهرؤ الكثير من أطباقتها
وحيطان دورها وسورها ، وهي حسبما جاء في نشرة الاستاذ مصطفى
عمران : « تقع على رابية منعزلة عن جميع المرتفعات بصورة طبيعية •
وهي في السفوح الشرقية لجبال العلويين لكن فتحة بين هذه الجبال
تنفرج أمام رابية القلعة فيؤدي النظر منها الى البحر كما تشرف على
سهل البقيعة من ناحية الشرق • أنشأ الصليبيون في القلعة مركزا اقطاعيا
سلموه الى فرسان المستشفى سنة ٣٥٧ هـ ١١٤٢ م • حاول نور الدين
محمود ثم صلاح الدين الاستيلاء على القلعة فلم يوفقا وظلت المعارك
قائمة بين الفرسان وأمراء حماه الايوبيين سنة ١٦٢٧ م • ثم استولى
على القلعة نهائيا سنة ١٢٧١ م الظاهر بيبرس نفسه وسمح للفرسان
بالعودة الى الديار المسيحية •

وقد أدخل العرب كثيرا من الاصلاحات في الواجهة والمدخل وأنشأوا
الجسر الموصل اليها وأضافوا في الداخل الجامع » •

« وتعتبر هذه القلعة أجمل القلاع الصليبية وأهمها • وحالتها
الحاضرة جيدة جدا بسبب الترميمات المتتالية التي طرأت عليها ولا تزال
المديرية العامة للآثار والمتاحف توليها عنايتها • وأجمل بناء فيها هو
الكنيسة والممرات ولا يختلف نمط البناء عن القلاع الاخرى » •

بعد الغداء على مائدة الاستاذ عبد اللطيف اليونس وقبوله رجاءنا

بالسماح لنا بالذهاب الى المشتى في صحبة زعيمها السيد جبرا الحلو ،
الذي عاكس كل معترض على قسوة الطريق لثلا نعدل عن الذهاب معه
الى بلده ، ودعنا رفيقنا السيد عمران ليعود الى اللاذقية كما ودعنا رفيقنا
السيد عبود ليسافر الى دمشق ثم حضرت السيارة لتقلنا الى المشتى •

وماذا أقول عن ذلك الطريق الا أنه طريق يريك الساعة شهرا ، وفي
كل دقيقة من دقائقه تصعد بنا السيارة فيه على صخرة ثم تنحط منها
بقوة فتخبط رؤوسنا بسقفها ثم تلويها الى جانبيها فلما بلغنا المشتى
حتى كدنا نهلك وعجبنا من قوة السيارة كيف بقيت سيارة لا أجزاء
سيارة ، وقد علمت فيما بعد أن وزارة المواصلات أصلحت الطريق
وعبدته على الطراز الحديث •

ودخلنا الى حمى جبرا الحلو فوجدناه غاصا بالزوار وبعدهما غسلنا
وجوهنا وأحسننا قيام أرديتنا علينا ، جلسنا في قاعة فسيحة وطفقنا
نحدثهم ويحدثوننا ، وكانت مائدة المائدة قد أثقلت بكاساتها ولوازمها
حتى جاء وقت العشاء الحلو فآكلنا وارتددنا الى مقاعدنا نتم
باحاديث وتنفكه بأعذب الفكاهات ، وقد ازدحمت القاعة بالضيوف
للتسليم علينا وبينهم شقيق جبرا السيد مصطفى والضابط سعيد الحلو
القادم من حلب في عطلة أيام يقضيها في بلده • وهو من أرقى الشبان
علما وأدبا وأكرمهم خلقا وشهامة •

أما المشتى فبلد جميل بحدائقه ومنازله وعيون مائه العديدة وكرم
أهله ، ولكنه خال من الكهرباء والماء في المنازل وقد بلغني أن سكانه
ملوا من الوعود باجراء الماء الى بيوتهم فألفوا لجنة تجمع المال الكافي
لهذا المشروع •

وبقينا في منزل آل الحلو تلك الليلة وشطر النهار التالي فبعد
الغداء حضرت السيارة لتقلنا الى حمص فودعنا أفراد العائلة الا ربها

وابن عمه سعيد ، لانهما شاءا مرافقتنا الى حمص ليظلا مطمئنين على سلامتتنا من عبث الطريق ، وهذا العبث انتهى ، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه الاه ، عند قرية كفرام ومنها الى حمص كان الطريق معبدا ومزفتا وقد راق الحال بنا وأصبح همٌّ جبرا أن تقف بنا السيارة عند أبيات أحد مشايخ القرى التي مررنا بها فيناديهم بأسمائهم ليأتوا لنا بالقهوة العربية المكررة والمتصاعدة منها رائحة حب الهال الطيبة .

وبلغنا حمص في مطلع الليل ووقفت بنا السيارة عند منزل شقيق قرينتي السيد شوقي حموي ، ولما نزلنا أسرعوا الينا مهللين وقد ألحوا على جبرا وسعيد الحلو بالبقاء للعشاء والسهرة على الاقل ، ففعلا وكانت لنا معهما سهرة غاية في جمالها والاستئناس المتبادل بيننا جميعا . وبعد ساعة أو أكثر ودعنا الضيفين العزيزين ليعود جبرا الى المشتى وسعيد الى حلب .

تكريم المغتربين الحمصيين وحفلة بلودان

وفي اليوم التالي عند الظهر قصدنا نادي الضباط لحضور المأدبة الباذخة التي أقامتها السلطة العسكرية تكريما للمغتربين الحمصيين القادمين من الأرجنتين وتشيلي والبرازيل والولايات المتحدة ومنهم نحن واشترك فيها عدد كبير من كبار الضباط ووجوه المدينة والصحفيين وسواهم ، وكان يرافق الاطعمة الشهية أجمل الاحاديث والمفاكحات التي أشبعت جو هذه المأدبة بالانس والاستمتاع . وقد دار معظم الاحاديث حول المغتربين السوريين وما أصابوه من النجاحات المادية والمعنوية في بلدان العالم الجديد ، فضلا عن تمسكهم الشديد بوطنهم وورعايتهم له كلما دعا داع ، وكلما نادى سورية أبناءها الطاعنين الى الاسهام في معاركها الاستقلالية ، ومؤسساتها الاجتماعية والثقافية والخيرية ، فكانوا في مهاجرهم النائبة حيث لا حكومة وطنية ترعاهم وتقود خطاهم ، سيوفاً

عربية صقيلة ، وألوية للعروبة ظليلة فاستحقوا شكر سورية الام التي
قدرت لهم وطنيتهم وحميتهم •

وتحدث الحضور عن المكانة المرموقة التي تسنمها المغتربون بفضل
اجتهادهم واستقامتهم واخلاصهم للبلدان التي أقاموا فيها ، فضلا عن
الرغبة العنيدة في تثقيف أبنائهم الذين لمعوا في كل الميادين وفي هذه
الفتوحات المهجرية أجلى دليل على ما يتحلى به السوري العربي من
المواهب الجسدية والدهنية البارعة • ثم انصرفنا معجبين شاكرين لضباطنا
البواسل حفاوتهم الرفيعة ، ولا بأس أن نصل هذه الحفلة ، بحفلة أخرى
أقاموها لنا في بلودان • وبلودان هذه أجمل مصايف سوريا وأعلاها
وفيها الفندق الكبير الذي يضاهي بترتيبه وجمال بنائه أفخم فنادق
أميركا وأوروبا • وقد كان لنا الحظ أن زرنا هذا المصيف بدعوة من
المجلس الملي الاورثوذكسي العام في دمشق لقضاء يوم أحد فيه وكان
معظم أعضاء المجلس معنا منهم الدكتور انسطاس شاهين والسيد
اسكندر كزما والاستاذ حنا مالك وغيرهم من وجوه الملة والمدينة •

وقد كانت مآدبتهم من أفخم المآدب التي حضرناها وتركت في
نفوسنا ، كسابقتها حفلة نادي الضباط في حمص أطيب الاثر اذ دللنا على
أن السوري العربي اذا بسط لك مائدته السخية فهو ييسط الى جانبها
قلبه وروحه ♦♦♦

جلسات مع بعض أعلام الامة وادبائها

لا بد لي من الاتيان على بعض انطباعات شخصية وتدوينها في جملة
الانطباعات الوطنية العامة فقد كنت قبل ركوبي متن الهواء للابتداء
بالرحلة كثيرا ما عضتني قلبي بنابه كلما خلوت به أحادثه عن ازماعي
السفر وكثيرا ما كان يؤلمني منه شعوره بما عساني سأرى في وطن نزلت
عنه في مطلع الشباب وقد أصبحت شيخا في عمري الآن لا أهل لي هناك
ولا أصحاب ولا أنسباء ولا أتراب أذكرهم ويذكرونني وأخشى أن أرى
نفسي في وطني الاول غريبا كما شعرت لأول فترة في أميركا عندما وطلت
أرضها قدماي؟

أجل ان القلب كان ينطق بالصواب ولكن الرغبة في السفر كانت
لدى الاخذ والرد بيني وبين قلبي أغلب حتى قلت - ما شأنني اذا سافرت
ولم أر خلا أو أهلا فأنا مسافر لاعود من سفري لاعود بانطباعات خاصة

كالسائح النأوي السفر الى بلد غريب عنه كل الغرابة لا بد من أن يجد في أرضه أو بين ناسه ما يضع على صفحات ذهنه شيئاً من الانطباعات المختلفة الالوان .

كنت أعرف أن ليس لي في حمص الا ابن عمه واحد وقد شاهدته وكنت كثير السرور بمشاهدته ولكني لم أكد انحدر من الطائرة في دمشق الا لأراني بين جمهور غفير من الناس جاؤوا من دمشق ومن حمص لاستقبالي عرفت أكثرهم بالاسم ، واقلهم بالمصادفة اذ لم تكن لي معرفة بهوياتهم ، وما أن فرغت من الاستقبال في العاصمة السورية واستأنقنا السفر الى حمص حتى رأيت أهلها كلهم أقاربي ، كلهم أصحابي ، كلهم اخواني ، وتعرفت الى جماهيرهم فيما بعد فاذا بينهم لا ابن عمه واحد بل ابناء ابناء أخوال وأعمام وخالات وعمات ومنهم ذوو شأن في بيئتهم وقد ولدوا بعد هجرتي وبينهم من أصبحوا أرباب عائلات وآباء وجدودا .

وبعد أيام طفقت صحف البلاد تذكر عن رحلتي وأني ضيف على الحكومة وانتشر الخبر حتى في صحف لبنان ومصر وربما سواهما وقد كان ذهولي عظيماً ذات يوم اذ جاءني البريد بكتاب من كوسبا الكورة في لبنان ففضضت غلافه واذا بي أقرأ أن مرسله هو الدكتور جورج جريج ، يقول أنه قرأ في احدي صحف بيروت عن وصولي الى دمشق وحمص ، ثم يسألني هل أنا هو عبد المسيح حداد صديقه القديم من نحو خمسين سنة تحت سماء الولايات المتحدة .

يا الهي ان الدكتور جورج جريج عاد من بوسطن ماس الى وطنه قبل الحرب العالمية الاولى بأشهر قليلة وسدت الحرب طريق المواصلة بيننا حتى سنة ١٩١٨ اذ جاءني منه كتاب من القدس يقول لي فيه أنه كان أحد الاطباء الذين جندتهم تركيا لمرافقة قواتها في الهجوم على قناة السويس في مصر ولكن الانكليز أسروه مع عائلته وعينوه طبيباً لبلدية القدس التي احتلتها قوات الجنرال اللنبي الانكليزي . ولقد كان

فرحي بتلك الرسالة عظيما جدا فأقرأتها جميع الاصحاب ، وهؤلاء عظم فرحهم بالخبر عن نجاة صديقهم ذلك الطبيب الحبيب ، وعن خلاصه من الحرب واسناد وظيفة خطيرة اليه من القوات البريطانية الآخذة بفتح سورية جميعا •

وبقي الدكتور يكاتبني من القدس ويبعث اليّ بأخباره وأخبار فتح القوات البريطانية مدينة بعد أخرى ، حتى جاءتني رسالته الاخيرة وفيها أن الهيئة العسكرية نقلته من القدس الى السودان بمثل وظيفته ، ولكنه أصيب بسقطة شديدة اضطرته الى ملازمة المستشفى العسكري من حيث هو يكتب تلك الرسالة الاخيرة •

ولا أدري كيف أن استقممنا الاخبار عنه من معارفه في بوسطن وجوارها أدى الى أن أعلم أن الدكتور جورج جريج قد توفي ، وقد أكد لي هذا الخبر المؤلم انقطاعه عن مكاتبتي فبكيت فيه رفيقا حبيبا ، وأسدل الستار بيننا وصار الدكتور جورج جريج ذكرى عاطرة لا غير عندي وعند جمهور محبيه في بوسطن ونيويورك •

عندما قرأت رسالته الى حمص كدت أجن في بادىء الامر ، وحسبتها من أحد أولاده سمي باسمه ، وأنه عرف من والده بصداقتنا •• ولكن الرسالة نفسها ، وقد قرأتها مرارا تخبر عن أنه هو هو لا ابنه ولا أحد غيره تنبىء عن حياته • وللحال بعثت اليه بجواب أقول فيه أنه كان ميتا عندي زهاء أربعين سنة وأنه قد استوفى مني خلال هذه السنين العديدة الحزن عليه فاذا مات قبلي بعد الان فما عليّ أن أحزن عليه ثانية ولكني سعيد جدا بأن خبر وفاته كان كاذبا ولهذا فهو سيراني وسأراه من غير بد بعدما انتهى من زيارة سورية •

بعد أيام أقل من اسبوع مضت على جوابي ، وفيما أنا في دار آل الحموي ، اذا بباب الدار يقرع • فأسرع أهل الدار ليروا من الطارق

وأذا بهم يرون أشخاصاً قادمين بسيارة يسألون عني • ولما سمعت اسمي
أسرعت الى الباب المفتوح لأرى من هم أولئك القادمون الغرباء فما
عرفت أحداً • ولكن ربة الدار ألحت عليهم بالدخول فدخلوا وأنا مثل
« الاطرش بالزفة » • واذا بأحدهم وهو شيخ جليل يقف أمامي ثم يقول:
« أنت هو عبد المسيح » •

فتفرست في وجهه دقيقة نبهت نفسي وازاحت عن عينيها ستور نصف
قرن فألقيت عليه وألقى عليّ وأنا أقول له « وأنت هو جورج جريج »
وكان عناق طويل وتلهف عميق وتناثرت من عيوننا دموع الفرح وأي
فرح أن يرى واحداً الآخر بعد فراق طويل وكنت منذ أوائله موقناً بأن
الدكتور غادرنا الى العالم الثاني ؟



الشاعر العربي اللبناني الاخطل الصغير

عندما زرت لبنان جاء رفيقي وأخي الاستاذ ميخائيل نعيمة بسيارته
لينقلنا من بيروت الى بسكنتا وكان اجتماعنا مغموراً بدموع الفرح
وعواطف الملتقين المشتاقين بعد زهاء ثلاثين سنة وقد أقمنا وقتنا وكل
منا يتطلع الى الآخر ليؤكد ان اجتماعنا كان في اليقظة لا في المنام • وبعد
دقائق أقبل علينا الصديق القديم الاستاذ فيليب كاتسفليس مدير دار
النقابة الصحافية في بيروت ، فتعاقنا وذرف كل منا دموع الفرح لهذا
اللقاء بعد فراق خمس وثلاثين سنة • ثم أقبل علينا الاستاذ ادمون وهبة
مستشار السفارة الفرنسية في بيروت وهو من أكابر الادباء وأولهم
بالتعلق بأدب المهجر ولا سيما بنوع جبران ابن مسقط رأسه •

وبعد اقامتنا اسبوعاً في بسكنتا حيث استأنفت الرابطة القلمية
بشخصينا ، أنا وميخائيل وذكرانا لبقية الرفاق العمال السابقين ايانا
الى العالم الثاني ، الاجتماع كل يوم (أفرد فصلاً خاصاً عن ذلك في

الحديث عن اثر الرابطة القلمية في العالم العربي) •
و شاء فيليب وميخائيل بعد رجوعنا من بسكنتا مرافقتي الى بعض
دوائر العاصمة اللبنانية ووزاراتها كما قمنا بزيارة الصحفي الكبير
الاستاذ عفيف الطيبي رئيس النقابة الصحافية وقد رحب بنا سيادته
ترحيبا جما ، وطلب اليّ السماح بأن يدعو الى حفلة استقبال لنا من
قبل الصحافة اللبنانية فشكرنا أدبه واعتذرنا من حفلة الاستقبال لاننا
لا نستطيع البقاء في بيروت الا لأيام معدودة فعلمنا أن نعود الى دمشق
للابتداء بالطواف على محافظات سورية حسب الدعوة لنا من قبل
وزارة الثقافة والارشاد القومي •

وهكذا اقتضت اقامتنا في لبنان لنعود الى حمص ومن أغرب وأذهل
ما وجدته سبقني الى حمص هو برقية من الشاعر المحسان الاستاذ
بشارة الخوري المعروف بالاخطل الصغير ، يذكر فيها أنه عرف بزيارتي
ليروت ، وأنه طريح الفراش فلم يستطع مقابلتي بل عرف أخيرا بمغادرتي
بيروت على عجل ولذلك فهو يرحب بمقدمي ويهنئي من صميم قلبه
بعودتي الى الوطن •

ولكم أثرت فيّ تلك البرقية من الاخطل الصغير الذي له في نفسي
منزلة عليا ، وكنت في زمن الصحافة واياها على علاقة احترام متبادل دون
أن يعرف أحدنا الآخر ، وكنت اسأل عنه بعد تقاعده كل من يعود من
لبنان فاطمئن لوجوده وحاله ، وكنت حينما بعد آخر أقرأ له قصائده
فتسكر نفسي بخمر معانيها • أما كيف غادرت بيروت دون أن اتصل به
فذاك أمر واجب أنسانيه تصميمي على الرحيل بصورة مفاجئة لسبب
عائلي اضطرني الى استحضار سيارة تكسي الى فندق نورمندي فأسرعنا
اليها بحقائبنا دون أن نودع أحدا من أصدقائنا أو نعلمهم عن اضطرارنا
الى الرحيل بالتلفون وقد ساءني ذلك وآلمني جدا ولكن ما العمل ؟ هكذا
جرى على غير حسابان •

وسارت السيارة بنا تنهب الجبال والأودية حتى وصلت الى دائرة الامن العام اللبناني عند حدود سورية فطلب السائق مني تذكرة المرور الاميركية ليدخل الى المكتب فيقدمها الى المدير • فسلمته اياها وبقيت وقرينتي في السيارة الواقعة • وما هي الا دقيقة ، وكان الليل قد أسدل خيمته على الارض ، فاذا بضابطين لبنانيين اقتربا من السيارة أحدهما علي مشورب يسألني اذا كنت أنا عبد المسيح حداد ؟ فأجبت بنعم وعجبت لسؤاله وحضوره لمشاهدتي ولماذا لم يكتف بالاحذ من التذكرة التي بعثتها مع السائق • ثم سألني ان أتفضل وقرينتي معه ومع رفيقه الى المكتب ففعلنا ولما صرنا في ادارته طفق يرحب بي أحلى ترحيب وجلسنا نرقب ما عسى يكون أمره منا فاذا به ورفيقه يطلبان أن تقبل دعوتهما للعشاء • ولما أخبرناهما اننا تعشينا من قبل ، ألحًا علينا بقبول ولو ضيافة بسيطة فنتناول معهما بعض المرطبات ، فقبلنا طلبهما • وبعد ذلك أعاد السيد مشورب الترحيب بلاء قلبه ، ثم ذكر أنه من جنود الرابطة القلمية ، وأنه في تلك الساعة يعد نفسه أسعد انسان بالاجتماع مع العضو الباقي من أثر تلك الرابطة ، وقال انه يود ان يبعث برسول الى أقرب نقطة ليأتي بمصور ليأخذ صورته معي •

عند هذا رأيتني في حيرة فان المصور لن يأتي قبل ساعة أو أكثر فقلت له اننا على طريقنا الى حمص ، وأن أهلنا يتوقعون وصولنا اليهم بعد ساعة ولهذا لا أستطيع البقاء في مكتبه لاكثر من دقائق معدودة ، ولكن معي في السيارة آلة تصوير صغيرة لا يزال فيها الفيلم الاخير • وللحال عدت الى السيارة وأحضرت آلة التصوير ووقفت أنا والسيد علي أمام السائق الذي سلمته الآلة وأفهمته كيف ينظر الينا على مرآتها ويديرها وهكذا فعل السائق وانتهت الزيارة بتوديع أديب ولع بأدب الرابطة القلمية •

وخرجنا من مكتبه يودع بعضنا بعضا بحرارة وعدنا الى السيارة
مستأنفين السفر ♦

وفي حمص بعث بصورة الفيلم الى مكتب تحميض الصور وبعد
يومين جاءني به الرسول ولكن يا للأسف لم تكن الصورة الاخيرة
محمضة لان الآلة التي كانت معي لا تأخذ الرسوم الا على ضوء الشمس،
وكان حزني عظيما لذلك وحررت بأمرى كيف اعتذر من ذلك الاديب المتعلق
بأدب الرابطة القلمية ♦ ولما عدت الى مكنتي في نيويورك بعثت اليه
برسالة أظهر فيها أسفي الشديد لعدم نجاحنا بأخذ الصورة ولكني اخبرته
بأنني باعث اليه بديوان ندره شقيقي وبمجموعة الرابطة القلمية لعلهما
يغنيانه عن الصورة ويبقيان عنده ذكرى لارواح نقر من أدباء العربية
المغترين النوابغ ♦

عصر الثقافة قضى على التقاليد البالية

عاش العرب تحت الحكم التركي ومختلف الاحتلال الاستعماري
تحت كابوس الزعامات الاقليمية فقد كان اسهل على الحاكمين الاجانب
جذب بعض زعماء العرب اليهم ، اما بالوظائف واما بالاقطاعات
والامتيازات التي تكثر ثروتهم ، ولكم حدثني بعض أوائلنا عن زعيم لم
يكن الا أميا نال حظوة لانتماؤه الى أصل نبيل أو ما شاكل ذلك ولكنه
بذل نفسه للاجانب لمصلحته الخاصة أما اليوم فلا تجد في المراكز العليا
والسفلى الا أكفاء لما يحتلونه من الوظائف في خدمة الدولة والشعب ♦

رأيتهم أكفاء لا بالعلم الذي يحملون شهادته العالية فحسب ، بل
بنشاطهم وجريهم في كل سبيل يكسبهم محمداً ويكسب وطنهم نجاحا
في تقدمه عمرانيا كما يضمن الشيء الكثير لرفع مستوى خلقه ♦

اجتمعت في دمشق الى معظم مديري الهيئات العليا - الى وزير

الثقافة والارشاد القومي ومدير الدعاية والانباء ، ومدير الاشغال العامة، ومدير الامن العام وغيرهم عدا الافراد العظام المسكين بأزمة الدولة من وزراء وأمناء عامين ورؤساء محاكم وقضاة وسواهم فرأيت منهم علما وفيرا وخبرة عظمى واندفاعا ونشاطا دون ملل واخلصا في النية والعمل وجميعهم اذكياء مثقفون ذهنيا وروحا بلغوا مراكزهم من ناحية الكفاءة لا من ناحية سواها .

الرئيس السوري السابق شكري القوتلي

زرته في قصره بدمشق يصحبني أديب المهجر الاول الاستاذ نظير زيتون والاديب السوري الكبير المرحوم الحاج رشيد الملوحي محرر جريدة الايام الدمشقية ومرافقنا الرسمي السيد عبد الله عبود للاطلاع على حالة البلاد وتقديمها ولا سيما في عهد الحرية والاستقلال .

ولقد جلسنا الى الرئيس القوتلي كأننا نعرفه ويعرفنا منذ زمن طويل فحدثنا أولا مثنيا على وطنية المغتربين واندفاعهم لعضد وطنهم كل مرة ينشدهم فيها كأبناء بررة أوفياء بعهدده ، وذكر لنا اسماء أشخاص من المغتربين لا تزال عالقة في ذهنه تطوعوا بنفوسهم وفلوسهم لنجدة وطنهم في فترات اتكابه مما أذهلنا كيف أن هذا الرجل الذي شغل وجدانه وزمانه برئاسة سورية مرتين لم ينس حتى أسماء اشخاص محسنين وهم يبعدون عن سورية الوف الاميال ومنهم من سار الى الحياة الثانية منذ أعوام .

وفيما يلي فصل نشرته جريدة الايام في الثالث من تموز ١٩٦٠ عن هذه الزيارة لسيادة القوتلي :

حماسة المغتربين العرب للوطن الام

صفحات مجد وفخار ينشرها الرئيس القوتلي

وزير التربية يرسل الكتب للمغتربين

قام الاستاذان عبد المسيح الحداد ونظير زيتون ظهر يوم الخميس

الفأنت بزيارة الرئيس السابق شكري القوتلي في منزله فرحب
بهما أجمل ترحيب ودارت أحاديث عن جهاد المغتربين ، و جهاد أبناء
الوطن ، فأطرى فخامة الرئيس عواطف المغتربين وحماستهم الوطنية
وكيف كانوا يجودون بسخاء بالاموال ابان الثورة لتأييد جهادالوطن،
وما تلقاه فخامته منهم من رسائل تفيض بالحمية والمروءة مع التبرعات
في سبيل اتقاذ البلاد من الاستعمار ، حتى تم بحمد الله الاستقلال ،
وقال نحن لا نطمع بأموال اخواننا المغتربين ، ولا ندعوهم
الى جلبها الى الوطن طمعا بها ولكننا نرجو وقد تحقق الاستقلال ، وتمت
السيادة أن يستفيدوا من نعمة الاستقلال والسيادة في استثمار أموالهم
ونجاح مشروعاتهم ♦

وتحدث فخامته عن موقف المهاجرين من اسرائيل ، والطمع بوطن
العرب وان هؤلاء الصهيونيين جعلوا دستورهم منذ مؤتمهم الاول
أنهم وجدوا لافساد أخلاق البشر ، بهذا دعاهم مؤسس الصهيونية
هرتزل ! وهم ماضون بتأدية هذه الرسالة ♦♦♦

وأشار فخامته الى انتشار ابناء هذه الامة في الشرق وفي الغرب ،
حتى أن فخامته عندما زار مدينة بنكالور في الهند جاءه أربعة من أبناء
دمشق مضى عليهم عشرون عاما وهم يعملون فيها ، وأن ذلك مما جعل
صوت هذه الامة مدويا دائما ♦

وأشاد فخامته بإمكانات هذه الامة اليوم التي أصبحت تقدر
بالمليارات ، على حين كانت الحال في عهد الانتداب الفرنسي تسير نحو
الفقر المدقع لان مهمة الانتداب كانت افقار البلاد ♦

شاطر الوطن أمواله :

وبدت الحماسة في محيا الاستاذين حداد وزيتون فقالا : ان نجاح

البلاد في معركة الاستقلال كان احدى ثمرات قوة الزعامة الوطنية التي تنهضون بأعبائها منذ نصف قرن وأشار الى وجوب استمرار صلات المغتربين بالوطن بطريق الاهتمام بتعليم ابناء المغتربين والنواشىء التي نشأت تحت سماء أميركا اللغة العربية وتاريخ الوطن وبطولات المجاهدين وأنه جند - ٤٩ - ألف جندي في قوات الولايات المتحدة من أصل عربي بينهم - ٨٠٠ - من أهالي جديدة مرج عيون ولعل من في الجديدة اليوم لا يزيدون على ذلك .

وأشادا بحماسة المهاجرين للوطن والتبرع بأموالهم للشورة فروى الاستاذ حداد أن جابر شقير من جبل حوران وكان يقطن ماتوكا في وست فرجينية قام بتقدير تجارته كلها وطلب الى المصرف اقراضه ثمن نصفها ملحا . . فلما حصل على المال تبرع به كله للشورة السورية .

وبعد تناول المرطبات والقهوة العربية وأخذ بضعة صور من فخامته ودعا فخامته شاكرين هذه المقابلة الابوية الكريمة .

وفي أثناء الزيارة التي قام بها الاستاذان حداد وزيتون لوزير التربية والتعليم ، رحب بهما الوزير ترحيبا حارا ، وعندما سمع الوزير من الاستاذ نظير زيتون عن حاجة أبناء الميتم السوري في سان باولو الى كتب للدرس قرر حالا تقديمها ، ثم بسط لهما قضية ايفاد اساتذة لتعليم نواشىء المغتربين العربية ورصد الاموال ، واتخاذ الاهبة، لولا ان اعترض السبيل ضرورة القيام ببعض المفاوضات الرسمية التي ما تزال دائرة وقال :

- ان الدولة تفكر بالمهاجرين وبمصالحهم كما تفكر بالمقيمين سواء بسواء ، وأنها لا تنسى لهؤلاء المغتربين مواقفهم المجيدة نحو الوطن الام ، ونحو امتهم الكريمة في كل مناسبة .

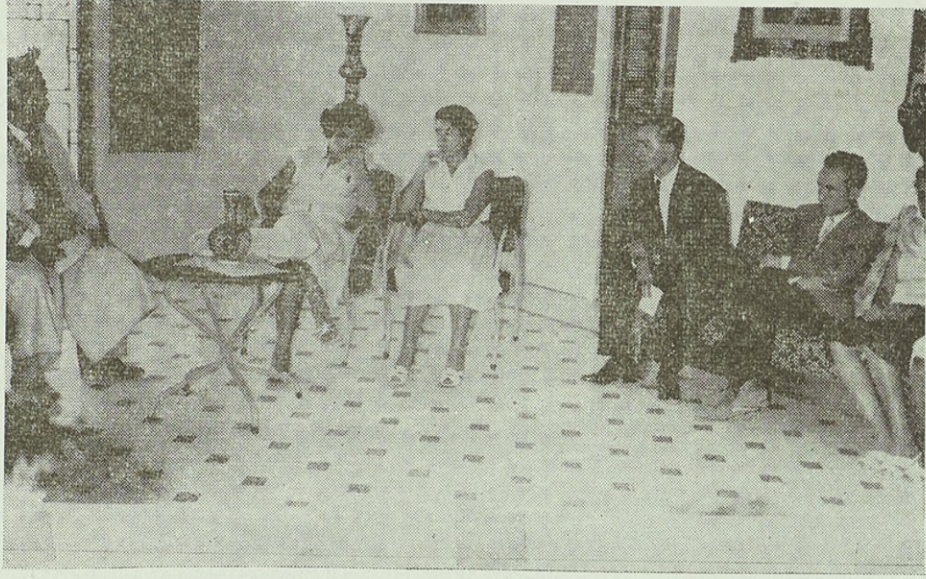
الامير سعيد الجزائري

هو حفيد الامير عبد القادر الكبير الذي حارب فرنسا وأغوال استعمارها ستة عشر عاما ونيفا ٠٠٠ وكانت فرنسا حينذاك أقدر دول العالم في الحروب البرية ، وقد شاء شيطان استعمارها انتزاع الجزائر من استقلالها لوضعها ضمن اسارها فما كان من الامير عبد القادر الا أن أصلاها حربا لا هوادة فيها للدفاع عن حق شعبه في الحياة الحرة ، ولكن ماذا تنفع الحرب وهي واقعة بين دولة كبيرة غنية وشعب ضعيف قليل العدد ضحى على نار كرامته بالالوف من أبنائه والكثير مما حواه من نفوس وثقائس حتى اعيبى الامير واستسلم للمغتصبين فخسرت الجزائر حريتها بخسارتها ذلك القائد الانساني الكبير وها هي الجزائر اليوم تسكب دماءها للتحرر من نير مغتصبي حريتها بعد مائة وستين سنة مضت على طغيانهم •

ولكن فرنسا التي ذاقت المرارة الكبرى في حربها مع أمير الجزائر عبد القادر ، والتي تذوق اليوم أمر المرارات في حربها مع أحرار الجزائريين أدركت أن روح عبد القادر الخالدة الآثار ، اذا ما أعيدت الى الجزائر أكبرت بلواها وزادت على نيران الحرب حربا سلاح الجزائريين فيها أرواح مجندة تفتح النار قائلة : « لبيك لبيك يا روح أميرنا القديم اتنا تقاتل العدو حتى الفناء » ولهذا عمدت فرنسا الى استبعاد روح ذلك الامير عن الجزائر المجاهدة باستبقاء نجل حفيده ابن الامير سعيد في باريس أسيرا لا تسمح له بالانتقال من دارها خشية منها أن يطير الى وطنه القديم لاهاجة احراره المجاهدين بمستوحى كلام أميرهم المغفور له عبد القادر الى خصمه الجنرال « بيجو » حيث قال له برسالة خاصة :

« ٠٠٠ أما بعد فقد بلغني أنكم جئتم من فرنسا الى الجزائر لقتالنا

بما ينوف عن ثمانين ألف جندي زيادة على عساكرهم السابقة فيها ،
 فاعلموا أنني بعونه تعالى وقوته لا أخشى كثرتكم ولا اعتبر قوتكم
 لعلمي انكم لا تضرونني بشيء الا ان يضرني الله به ، ولا يلحقني منكم
 الا ما قدر الله عليّ- وقضاه ♦♦♦♦ « ♦



لدى زيارتنا لسمو الامير سعيد الجزائري في قصره بدمر أرانا هذا
 الرسم المأخوذ لزيارة بعض أعضاء الوفد الجزائري للطالبات . وسموه
 ظاهر في آخر اليسار كما يظهر في أول اليمين السيد محمد الفسيري ممثل
 الحكومة الجزائرية الموقته .



ولقد دعانا الامير سعيد الى قصره القائم على تل عال في دمر وسموه
 لا يزال شابا هماما في أواخر شيخوخته ، وقرما عنيدا في الدفاع عن
 كيان وطنه الجزائر وأمته العربية ، حتى أنه لم يحفل بحرمان فرنسا
 المرتب المالي الضخم الذي عينته لجدده الامير عبد القادر وللذين في عقبه
 لوقوفه بالشعور النفسي مع المجاهدين من مواطنيه الجزائريين الثائرين
 عليها ♦

هنالك في ذلك القصر الكبير أرائنا الامير سعيد الكثير من ذخائر
جده عبد القادر وأنه بنى قصره هنالك لان جده كان يعشق جنات دمر
وأنه لذلك حريص في قصره على كل ما يذكره بجده ويذكي فيه نار
الحمية للدفاع عن الامة العربية .

ولم يشأ سموه بعد الغداء الا أن يتحفنا بهدية سنوية من بقايا ذكريات
جده العظيم الحافل بها قصره حفول الجسد بروحه ، وقدغادرنا ذلك
القصر وفي النفس انعكاسات لمروءات هذا الامير الكبير بقلبه والعظيم
بأدبه ووجه ووطنيته العربية .



فارس الخوري فارس العرب

في اليوم التالي لوصولنا الى دمشق للبدء بالرحلة الرسمية ، بلغني أن فارس الخوري الملقب عن كفاءة وتقدير بفارس العرب في مستشفى السادات ، فرغبت في عيادته في الحال بصحبة صديقي الاستاذ نظير زيتون الاديب المهجري المشهور ومرافقنا الرسمي السيد عبود ♦

دخلنا الى غرفة العليل فاذا بعقيته الجليلة وكنته زوجة وحيدة وبأحد أشقائه يستقبلوننا بحفاوة وفي عيونهم الدموع تتلمع وفي كلامهم الخشوعي ما بعثنا على الحزن وقادتنا الى مضجعه قرينته السيدة اسما وهي تقول له : هنا حبيبك عبد المسيح جاء يعودك ♦ وهنا صديقك نظير ♦♦♦

هذا هو الرجل المقدم الكبير والوطني الجليل الذي حمل قلبه منذ شبابه اعباء وطنه وسار في سبيلها مجاهدا ، هو اليوم جثة مشلولة

مجتمعة في سرير • وقد عرف الملاء العربي صاحبها رجلا كبير العقل والقلب تشع مبادئه في أجواء العرب فتبعث على نشاط التفكير والسعي نحو مواكب الاستقلال • واذا كان ليغضب بنفثات نفسه حاكما أجنبيا مستبد يأمر الحاكم الطاغية بسجنه أو تقيمه ، فانه كان يرحب قلبه بهذا القصاص على فضل وعفة عرفهما عنه بنو جنسه فأحلوه في قلوبهم معجبين بجهاده وبطولته •

ودخلت الى غرفة اعتلاله ، ولما كان لا يبصر قدمتي اليه قرينته فما كان منه الا أمسك يدي بيده اليمنى الصحيحة وأخذ يشد عليها شدا كثيرا مرحبا بي وقائلا انه كان يتمنى زيارتي للوطن منذ أكثر من عقد من السنين ولكنه الآن وقد أمسى في حالته الحاضرة يؤمن بأن زعماء الوطن يحسنون استقبالي عنهم وعنه • وقد أطال الحديث بهذا الصدد حتى عييت عن ايقافه عن الكلام ، وأخذت دموعي تتناثر من عيني فيما لاتزال يده شادة على يدي • فلحظت ذلك السيدة قرينته فأمسكت بيدي تسحبها على مهل من يده وهي تقول له أن زائرک وحبیبک عبد المسيح تعب ويجب أن يجلس ليستریح حیال سریرک •

واقبلت عن الاسد العليل وكلي حزن تحز سهامه في قلبي وودعته طالبا من الله أن يعينه ويشدد قلبه بالبصر ليقوى على مدافعة سوء حاله بايمانه بالله خالقه وشدة غيرته على أعز خلق الله الى قلبه أي أمته العربية •

أجل هذا هو فارس الخوري الملقب بفارس العرب ، هو اليوم كما غادرته في مستشفى السادات بدمشق ، جثة على سرير ليس فيها ما بقي سالما غير وعيه وشعوره ، وهذان الباقيان سيرافقانه الى آخر نسمة من نسماته الانسانية •

ولست أعرف القارئ بفارس الخوري فليس من يجهل تاريخ حياة

هذا الوطني الذي مثل أدوارا وطنية خلال أحلك الاحوال وخرج منها بطلا له في قلوب مواطنيه أعز المنازل ، ولكني أراني حيال زيارتي الأخيرة إليه تحت واجب الاشارة الى أفضاله على وطنه وأمته ، وهي مما استرعى انتباهي من مقال كتبه الاستاذ سامي السراج مدير (المكتبة العمومية في حماه) عن فارس العرب^(١) قال :

« ان فارس الخوري لم يدع برجا من أبراج المآثر الا استقله ، ولا فلكا من أفلاك المفاخر الا احتله ، فكأنه الرجل الذي عناه المتنبسي حين قال :

ويترك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء انماله العشر.

فقد ترك فارس دويا في الشرق ، ودويا في الغرب ، ودويا في العالم الجديد ، لم يتركه سياسي في العهد الحديث ، وقد يداخل الانسان العجب فيتساءل : « كيف تم له ذلك وقد درج من بيت بسيط ، في مزرعة متواضعة ، تحتضنه طائفة مذهبية عددها ندر قليل » ؟ على أن الاجابة على هذا السؤال هي في أطواء السؤال نفسه . فالبيت البسيط الذي درج فيه قد أمدّه بالقوة على تبسيط المرئيات وبلوغ أكتافها من طرائق غير ملتوية . والطائفة القليلة العدد قد باعدت بينه وبين العجب والاعتداد بالعشيرة دون مواهب الذات ومزايا النفس . والمزرعة المتواضعة قد أكسبه سناؤها عذوبة الروح وصدق الفراسة وصحة التخريج وسلامة الطوية . والماء السلسال الذي ارتشفه من مرافق قرينته قد حباه صفاء النفس وصفاء العقل ورقة الحديث . كما رفعت هذه العوامل كلها مجتمعة الى تكوين عصاميته وتكميلها بالعلم والدراسة والاستقرار والاستبصار . فما كاد يبلغ العشرين من العمر حتى صار

(١) من كتاب « فارس الخوري حياته وعصره » وضع الاستاذ حنا

خباز والدكتور جورج جداد .

مزيجاً من ثقافة و عرفان و اخلاق و ايمان .
وكان سبيل فارس الخوري في العمل أوصاف النبيل و الاتزان و حصافة
الرأي و حكمة التصرف » .

هذا هو الرجل ، فارس الخوري ، نابغة سورية بحكمته و حصافة
رأيه و كريم سجاياه . و قد رأيتنه على سرير مرضه لا يأمل له الاخصائيون
شفاء ، و قد قارب الخلاص من هذه الدنيا ، أو قل غلب عليه الفناء الا
قلبه السليم و عقله الواعي الناشط و قد كانت انطباعاتي عنه أشد و أروع
الانطباعات ، و فارقته و أنا شاعر بأن الامة العربية كلها ولا سيما سورية
ستفقد بفقده أنبع النابغين و أصدق الوطنيين و أحكم الزعماء العادلين
المقدمين نفوسهم ذبائح نبيلة عن وطنهم و أمتهم .

جامعة الادب لماذا لا تجمع العرب ؟

رأيت الادب زرعاً مخصباً في كل قطر عربي زرتة • رأيت موفور
الدمس في الذين تعرفت عليهم في مصر وسورية ولبنان الا أني بلوت في
بيئاته نمو زؤان البغضاء ولا سيما في لبنان وهذا ما يحملني الآن على
أن اعقد هذا الفصل لعل به هتفا نحو اخواني ادباء أقطارنا جميعاً
للمحافظة على صلات النسابة الروحية والوطنية بين جميعهم فهم هداة
أقوامهم ومصايحها المنيرة طرق الوعي والسلام •

رأيتهم ولا سيما في لبنان يحارون في أصلهم حتى لقد بدأ بعضهم
يستدعي النفور عن العروبة فيسطر قلمه ما يخالف حقيقة التاريخ من أن
أصل قومه لا يمت بسبب للعرب واذا سألتته عن أصله أو أصل قومه
أجابك بأنه فينيقي •

وليس عليّ أن أرد عليه بحقيقة ذلك الا أنه مقطوع من

صلب العروبة نفسها فالفينيقيون هم الكنعانيون الذين هجروا قديما الجزيرة العربية الى فلسطين ومنها الى لبنان حيث دُعوا فينيقيين - كذا يقول المؤرخ المدقق اللبناني العليم الدكتور فيليب حتي في كتابه « تاريخ سورية » وأيضا في كتابه « لبنان عبر التاريخ » .

ونحن أدباء العرب في هذا العصر يعزُّ على كل منا أن يتجنب لبنان أصلنا الذي هو أصله على مذهب نقر من أدبائه المعاصرين ، فلقد كان لبنان ولا يزال عجلة النهضة الادبية العربية التي ظهر فيها فرسانها العمالقة أمثال اليازجيين والبستانيين في عهد خلود العروبة واستكانتها الى الاحتلال التركي فأشعلوا أنوارها مكافحين مجاهدين وتركوا لاجيالهم مؤلفاتهم العربية القيمة فخطوا بذلك عصرا هو بدء النهضة المباركة لادب العرب .

الا ليأخذ أدباء لبنان لهدفهم الوطني السياسي ما يريدونه للبنان فلسنا لننقارعهم في ذلك الهدف اما ان يحددوا عن عربتهم فهذا مما لا يحق لهم بل يحق لنا أن نعاتبهم عليه وأن نصارحهم في أن لا علاقة للاصل في نزاع منهم حول استقلال بلدهم .

الادب جامعة روحية أولى في تاريخ انسانية الانسان تتمخض أن هي تنزهت عن الحوار الاناني بالمحبة والاخوة فان لم يكن هذا تمخضا فما هي بجامعة ولا أدبها بأدب محترم .

ولقد حزَّ في نفسي ما سمعته اذني من أكثر ادباء لبنان الذين تعرفت اليهم عن أنهم من العروبة لسانها فحسب اما اصلها فلا علاقة له بأصلهم حتى أن أحدهم احتدم في الحديث معه فاندفع قائلا أن لديه حججا على أن اللغة العربية اللبنانية هي لبنانية لا عربية . وكم أحزنتني قول ذلك الاديب وكم اسفت لشعوره القومي النابئ حتى ليرى الشيء على غير فحواه اندفاعا نحو هدفه الوطني المحدود اما بالدين والطائفة واما بالشذوذ الذي يعمي البصيرة .

لنغد الآن الى كتاب « تاريخ سورية » للعلامة الحتي فننقل من
حديثه عن سورية بما فيه لبنان وفلسطين - أنها أصل الاديان السموية
بل أصل كل تمدن بشري ظهر في العالم حتى قال ما حرفيته مترجما :
« ان معظم المتمدنين العصريين يحق لهم أن يدعّوا لهم وطنين ، وطنهم
الخاص وسورية » • فاذا كان العلامة الحتي المؤرخ الاكبر وهو اللبناني
الصميم يقول أن سورية وطن ثان لكل انسان متمدن أينما كان ولأي
أمة من أمم الارض ينتمي فما لاخواتنا ادباء لبنان يحاولون نزع رداء
الأصل الكريم - الأصل السوري - الأصل العربي - عنهم في هدفهم
استقلال لبنان عن سورية وهي أم لبنان وهي أمهم كما هي أمنا جميعا ؟

رد على لسبالي

فخري البارودي

عرفت السيد فخري البارودي في نيويورك حين زارها في سنة ١٩٣٨ موفداً من حكومته للعمل على اشتراكها في معرض نيويورك الدولي وتعارفت قلوبنا مع قلبه • وأقول قلوبنا بالجمع كناية عن بقية رفاقي من شعراء وكتاب أمثال المرحومين رشيد ايوبي وشقيقي ندره ونسيب عريضة • وكانت ادارة - السائح - ندوتهم ، وكنا كثيراً ما نوصلها باجتماعنا في احد المطاعم العربية حيث تليذ الكؤوس وتنعم النفوس وتنتشي الرؤوس من خمور أدب الضيف الكريم الجامع في صدره خلاصة الفنون وأهمها الشعر والموسيقى •

زارني في فندق سميراميس الدمشقي وقد وجدته شاباً كما عرفته منذ أكثر من عشرين سنة بروحه الطيبة ومروءاته الكريمة ، ولم يشأ أن يفارقني حتى أقنعني برد زيارته مساء ذلك اليوم • فسألت مرافقنا السيد عبد الله عبود عما اذا كان بالامكان قبول دعوة فخري العزيز فقال ان

وقتنا في ذلك المساء لنا وان زيارة فخري في داره العامرة تفوق زيارات
أخرى لما فيها من انسجام روحي وجمال لا يضاهيه جمال .

وعند المساء وفد علينا بسيارته فهبنا الى امتطائها انا وقرينتي ومرافقنا
وقد وقت بنا في طريقنا عند مدرسة التجهيز للبنات . فنزل من السيارة
وتبعناه بالنزول ودخلنا بناية المدرسة الكبيرة فوققنا عند مدخلها . واذا
بنا نرى نحو مائتي تلميذة قد اصطففن . وما هي الا دقيقة حتى أخذ
العزف يرسل لحنه المرقص ، واذا بالبنات ملائكة البلاد يقمن برقصة
السماح متفنات بضروبها بما يبعث في النفوس كهرباء الاعجاب . وعندما
وقفت رقصتهن سمعنا فخري يخاطبهن مثنيا على فنهن الجميل وأدهن
الاجمل قائلا لهن ان الذي يشاهدن الآن هو أديب المعترب فألهبن
أيديهن تصفيقا بينما رفعت يدي الى أعلى من الرأس أحييهن معجبا
ومقدرا لهن تقدمهن في مضمار العلم والادب والفنون ثم ودعناهن وعدنا
الى السيارة وبعد دقائق كنا في حديقة دار آل البارودي الغناء . وجلسنا
حيال دالية تتدلى منها عنقيد العنب بأكبر ما عرفناه ، الى مائدة معدة
لسهرتنا وقد سبقنا اليها عازفون ماهرون وضيوف ادباء أكارم . وقد
جلس المضيف الكريم ويده الدف ورحنا تهيم نفوسنا في واحة موسيقية
أدبية بجمال المكان ومروءة صاحبه المحسان الفنان حتى ساعة متأخرة
من الليل .

وعدنا من دار آل البارودي نتحدث عن نفسية فخري الجذابة
المشبعة بروح الجمال ، الناظرة الى الحياة بعين تجمع شمل الوطن وتكره
الفوارق وقلب يحب حبا صافيا ويكره النفور والبغضاء . وأذكر أن
مضيفنا الكريم في تلك السهرة نادى خادمه وطلب منه أن يحضر بعض
الكتب من تأليفه . فوضع بقلمه اذ حضرت أمامه كلمة عبهرية على أولى
صفحات كل كتات مهديا اياها الي . وكم اغتمت عندما وصلنا الى

الفندق وتلك الكتب لم تكن معي إذ نسيتها على المائدة الفخرية ، ولكن
حضرته أحضرها الى فندق سميراميس وأبقاها بأمانة المدير إذ كنا
غائبين في ذلك الحين •

أما كتبه فهي ديوان شعري له دعاه « تاريخ يتكلم » قرأت فيه
قصائده وموشحاته ومساجلاته فأعجبني أكثرها الا اني اقنعت نفسي
بأن فخري الشاعر محدود أفق شعره بالتقاليد القديمة المعروفة من زمان
بمدرسة صف الكلام على الوزن والقافية دون روح شعرية • ثم كتاب
« الصلح مع اسرائيل » وهو بجوهره يوضح تلك القضية المفهوم أنها
أعقد من ذنب الضب ثم كتابان صغيران بعنوان « مذكرات البارودي »
وهو يقول في أولهما أن هنالك تسعة أجزاء أخرى •

في هذين الكتابين رأيت فخري ذا قلم لا أبرع منه ولا أصدق في
توصيف حالات شخصية ونفس البيئات التي عاش فيها بلغة تفهمها نفس
القارئ فهما كلياً وتحمله على أن لا يترك الكتاب حتى يأتي على كله ،
وأنا لا أزال أعود الى قراءة هذين الجزئين من مذكرات البارودي
فأستفيد منهما المزيد المتزايد من بحوثهما الشيقة • وكم قلت في نفسي :
ليت فخري يزيد أمته من أمثال مذكراته فلا يحصرها بعشرة أجزاء بل
يتعدى العشرة الى العشرين أو أكثر لاني أراه فيها قد منحه الخالق
هبة خاصة لوضع مذكراته بفن خاص ولباقة قل من يجاريه بها •
ولا أزال بعدما عدت الى نيويورك استغرب كيف أن الحكومة ضنت
على الامة العربية فما شاركت فخري البارودي في ابداء مكنونات نفسه
وأخصها الموسيقى وفروعها • وفن الوضع الادبي كما هو من صنع بارع
البراع قوي في تأدية الرسم وواسع الخيال •



أدهم الجندي

عرفت أدهم الكاتب اللبق والباحثة المجتهد من سلامات كان ينقلها

الى مسمعي عائدون من الوطن • فلما بلغت دمشق رأيته شابا حسنا
ولع في البحث عن اعلام الوطن الذين طمست أخبارهم مع آثارهم في
ظرف ثلاثة قرون • وقد جاهد جهاد الابطال في الكشف عنهم وعن
حياتهم الادبية وأصدر كتابين جليلي القدر عن تاريخهم بعنوان « اعلام
الادب والفن » • جاءني مع رفيقيه الكتابين فقلت له اني احتفظ بالجزء
الاول في مكتبي في نيويورك ولهذا اكتفي بقبول الجزء الثاني منه مع
الامتنان الكلي والثناء على وافر علمه وجهاده في مضمار الادب
والتاريخ •

وأدهم الجندي نجل المغفور له محمد الجندي صديق والدي ،
وشقيق البطل الشهيد الدكتور عزت ، وشقيق الصديق الودود المرحوم
رفعت الذي أقام بيننا بضع سنوات في نيويورك وكان منا أخا لكل من
اخوتي ورفيقا لي ولصحابي •

أما مؤلفاته فمن النوع النادر ، بل من النوع الذي يقتضي لوضعه
التغلب على مشاق عديدة في البحث والتنقيب في مختلف البيئات والاقاليم •
وفيها يجد المطالع اسماء اعلام مع تواريخ حياتهم فيعجب كيف استطاع
لهم شعثهم ونبش بنات أفكارهم فيقول : لله درك يا أدهم يا بحاثة العصر
وأديبه الاكرم !

هل من كفر في الفكر ؟

يلدئ لي هنا أن أذكر حادثا ولديا وقع في سيران دعيت اليه من آل سمعان من وجوه حمص الاكارم في مزرعة لهم تدعى الزور على نهر العاصي • هنالك اجتمع جمهور غفير من العائلات اقتضى لنقل افرادها استئجار (باص) كبير يتسع زهاء سبعين راكبا عدا بعض السيارات الفردية وقد كان يوم ذلك السيران من أجمل الايام وأمتعها للعين والشم والمعدة واللسان بين قوم توافر اخلاصهم وتعددت ضروب حفاواتهم • من قبل كبارهم من الجنسين وثم صغارهم الذين وجدوا لهم وازعا للعب والتسلية بشتى ضروب الاستمتاع وفيما كنا نرقبهم مستأنسين بهم اذا بصوت كبير من جماعتنا ينهرهم مؤنبا أشد التأنيب فسألت عن سبب انتهاره اياهم فاذا به يشكوهم قائلا انهم يكفرون ؟

أنا - وما كان فصل كفرهم ؟

هو - هذه فتاة عادت من مدرستها في العطلة الصيفية وقد طرحت على أترابها هذا السؤال (نجانا الله من وزر كفره) : « قيل لنا ان الله قد خلقنا ولكن لم يقولوا لنا من خلق الله ؟ » أرأيت كفرا أفضح من هذا الكفر ؟

أنا - وأين الكفر فيه ؟

هو - أين الكفر فيه ؟ أتسألني أين الكفر في اتجاه هؤلاء الصغار الى السؤال عن خلق الله تعالى ؟

أنا - ألم تسأل نفسك مثل سؤالهم هذا عندما بلغت مثل سنهم ؟

هو - نعم سألت نفسي مثل سؤالهم ولكني لم أنطق به فالنطق به يجرمه علينا الدين وايماننا بوحدة الخالق عز وجل .

أنا - أجل يا أخي سألت نفسك تمام ما سأله هؤلاء الصغار لا تقسمهم ولكنك لم تنطق به فهل وصلت مع نفسك الى الحقيقة التي جهلتها ؟

هو - لقد انقطعت عن التفكير عندما ادركت أن ليس هنالك توفيق في الحصول على فصل الخطاب في ما أريد الوصول اليه بقوة الفكر .

عند هذا توجه اليّ والد الفتاة باسمها وقال لي ان الاولاد يتطلعون اليّ منتظرين رأيي في الامر الذي وقع فأجبتة باسمها وقلت : دعوا الاولاد يعصروا أفكارهم وليس بما يعتصرونه من كفر على الاطلاق فان سؤال الفتاة عن خلق الله لن يجد الا سورا يصد الفكر السائل فيرتد عن ذلك السور بالتسليم والاكتفاء بأن الله هو الخالق ويجب الوقوف عند ذلك والا فينتهياً أمام الفكر سلسلة لا آخر لها فاذا كان للخالق خالق فهناك خالق ثالث وللثالث رابع وهكذا الى ما لا عدّ له من الخالقين وكما

ارتددنا نحن الكبار عندما كنا صغارا عن معالجة هذا الفكر فهؤلاء الصغار أيضا سوف يرتدون وبورك من خلق للناس عقولا تفكر حتى به وتعود صافية راکنة الى أنه خالقنا وكفى به خير الخالقين وهو لم يعظنا قط بأن الفكر فيه هو كفر على الاطلاق ما دامت تتيجه الى التسليم به الها خالقا كل ما يرى وما لا يرى •

ان الذين يريدون ايجاد باب الفكر الانساني من ارباب الدين فيدعون التفكير بخلق الله هم الكافرون بحكمة الله وما ايجادهم باب الفكر الا دليل عجزهم عن اعطاء الجواب وهو العجز الذي يشترك فيه كل انسان ولكنهم لادعائهم المعرفة ثم لشعورهم بالعجز يحرمون الفكر عن الوصول الى الله على الرغم من ان الانسان يتميز عن باقي الحيوان بفكره حتى بالاشياء التي تعييه والتي لا طاقة له على ادراكها وعندئذ يلوذ بالتسليم الاعمى وينصرف عن تفكيره فكيف اذن يحرم عليه ذلك قبل أن يصل الى الحد الاخير من طاقة تفكيره ؟

هذه انطباعة أحسست بها عن تفتح فكريّ يجب أن يبقى وألا يعارض ليجول المفكرون منذ صغرهم في طرق الحرية التي تراعي تفكير الناس وتبارك آراءهم مهماتكن مذاهبهم أو مذاهب محيطاتهم كخطوات سديدة الى محجتها فلا يمكن أن تكون الحرية نصيب أي شعب يسد أبواب التفكير على أفراد صغارا كانوا أم كبارا أو يضع على الفكر حراسا مسلحين لئلا يمتد الى المذهب أو الدين فالله تعالى خالق للانسان عقلا ليفكر به وليمحص طرق تفكيره باستطلاع كل ما يشاهده بعينه أو يشعر به بوجوده فان تاه بتحليله الامور لا بد من أن يرتد عن تيهه وعندئذ يتعلق بادراكه بأن ليس كل شيء يمكن وضعه تحت ادراكه وان لم يته في تفكيره وجد ضالته وبنى عليها حكمته لخير وخير سواه من المفكرين العادلين الذاهبين الى حل المبهمات لجلاء الحقائق التي كادت السادات الدينية والمذهبية تخنقها بالتهويل والتفكير والتهديد بالحروم •

نهوض الشعب السوري الاجتماعي مستشفى التل مثل للتعاقد الاهلي

من بديع ما ارتسم أمامنا من رسوم النهضة الشعبية الاجتماعية في سورية ، هو ذلك الرسم الباهر لسكان قرية التل في ضواحي دمشق - هو رسم يشير الى أن النهوض الاجتماعي لم يعد مقتصرا على احسانات اجانب ولا تبرعات أغنياء وطنيين ، بل أصبح عون العمال الذين ما دب الى جيوبهم المال المتوفر من جراء عرق جباههم حتى اندفعوا الى العمل في سبيل المشاريع العامة التي تباركها الانسانية ويقبلها قلب الله منهم أحسن زكاة نفسية ♦

دعانا أحد الوجوه ، لزيارته في منزله في قرية التل ♦ فذهبنا الى القرية حيث استقبلنا المضيف مع السادة المدعوين من وجوه البلد ♦ فأقمنا بعض ساعة في المنزل العامر محاطين بضروب الحفاوة العربية الى

أن طلب منا رب المنزل الكريم مرافقته الى قمة التلال حول القرية حيث قامت أسس بناء عظيم ، وعليها بداءة صرح فخيم ، سيكون مستشفى للقرية ومثالا يحتذى في اشتراك العامة في الاعمال التي تنهض باجتماعية الوطن الى الذروة وتبقى فوائدها لمنافع الاجيال .

حدثني صاحب الدعوة ، ونحن نرقى الى قمة التلة ، عن أن بناء المستشفى الذي ستبلغ نفقاته مئات ألوف الليرات يقوم به سكان قرية التل ومعظمهم عمال يكسبون رزقهم بعرق جباههم وتغربهم عن عيالهم أشهراً في الكويت وعندما يعودون وفي جيوبهم فيض من الارباح يأخذون بالتبرع بفضلات المال الزائدة عن الحاجة مما يترجم ميلهم النفسي الى الغاية الشريفة في عمران بلدهم ولسان حال كل منهم ما قاله الشاعر قديماً :

ليس العطاء من الفضول سماحةً حتى تجود بما لديك قليل

وروى لنا حكاية عن أحد رجال القرية يقصد مع غيره من المواطنين الكويت للارتزاق على الرغم من طعنه في السن وألم في احدى قدميه ولما وصل الى مسامعهم نداء لجنة مستشفاهم اجتمعوا ، وكان ذلك الرجل معهم ، فتبرع كل على قدر طاقته وأزيد . أما هو فتقدم بالتبرع الاكبر وهو كل ما كان في حيازته . ولما استعظم تبرعه اخوانه رغبوا في أن يقلله فما كان ليقبل بل أفهمهم بقوله انه يعمل بموجب قرار ضميره ، وأن تبرعه قليل أمام شعوره مع العاملين من سكان قريته لرفع شأنها وجعلها نموذجاً لسكان جميع قرى الوطن ، لعلهم يبنون ما يحتاج اليه وطنهم دون عضد من غيرهم أو حكومتهم .

أما المستشفى القائمة أسسه عندما تفقدناها فتحتل جانبا كبيرا من ذلك التل وقد قامت عليها بعض الاسوار . كما قامت حولها الحدائق

التي غرست أشجارها والتي ستكون من أبداع ما يماثلها بعد سنوات قليلة العدد .

وعدنا من ذلك المكان الناطق بعديد السنة عن محاسن النفس العربية التي تظهر للملأ بفصاحة ما بعدها فصاحة مبدية عن الكرم والجود والاحسان فضائل لا تخلو منها حتى نفوس العمال الكاسيين رزقهم بعرق جباههم وبجهادهم في سبيل عيالهم وسبيل بلدهم .

عدنا لتسير بنا السيارات الى مقصف عين منين الجميل بباسقات أشجاره وينابيعه العديدة المنتشرة في الارض كالسهم عالية كالأشجار . وهناك تناولنا طعام العشاء مع رهط أضيافه الكرام تتابع النسمات العلية لاستقبالنا فتبرد حدة الحر على وجوهنا وأجسامنا ، ونحن حول مائدة كبيرة تحت أغصان شجرة كبيرة وقد أثقلت بألوان التوابل فالطعام العربي الفاخر .

وكان طعامنا وشرابنا أكثره بين أخذنا بأطراف مواضيع وطنية واجتماعية مما أنسانا امتداد الزمان علينا فلما عرفنا أنه انساق بنا الى ساعة متأخرة من الليل هبنا على كره منا من جراء وجهة المكان وجلالة الاحاديث وبشاشة المضيف الكريم ، نودعه شاكرين معجبين وعدنا الى دمشق وفي نفوسنا أجمل الذكريات لتلك الحلقة التي اجتمعت حولنا ولقرية التل وأهلها الاذكياء الروح والطييين النفوس ، وهي البلدة التي ضربت أجمل مثل في مجال التعاضد الاهلي .

مفتربون في زيارة حمص

ذات يوم طلب مني ومن الاستاذ نظير زيتون أديب المهجر الاول سيادة محافظ حمص مرافقته بالسيارة الرسمية الى مستشفى الحصن لملاقة جمهور من المغتربين قادمين عن طريق اللاذقية وأخبرنا أنه أعد لهم غداء في قلعة الحصن . ولما لم يقبل المحافظ الا مرافقته على الرغم

من اعتذاري له بأني قد لا أعرف أحدا من أولئك المغتربين درجت
السيارة بنا الى مستشفى الحصن القائم معهدا انسانيا جبارا بفضل
أبناء منطقة الحصن المغتربين في العالم الجديد عند قرية عين العجوز
فوصلنا اليه بعيد الظهر وقد استقبلنا رئيسه النشيط الدكتور سمير
طرابلسي بغاية الحفاوة وكان قد أعد قاعة الاستقبال لراحة الزائرين
فحجب نوافذها بالشريط لمنع الهوام من الدخول اليها وكان ذلك الشريط
لا للبقاء بل لوقت الاستقبال وبعده تفتتح النوافذ لهجوم مختلف
الحشرات من ذباب وبرغش وفرشات وغير ذلك .

ولما سألنا الدكتور سمير عن هذا النقص في بناء المستشفى هبط
رأسه الى كتفيه ثم قال ان تشريط المستشفى يكلف بضعة آلاف دولار
وأنة بعث عدة رسائل الى الاستاذ سليم نعمة رئيس الجامعة الحصنية
في بتسبرغ يطلب فيها تخصيص مال يكفي لعملية تشريط نوافذ المستشفى
وأبوابه وأنه حتى ذلك اليوم لم يعلم ما اذا كان رئيس الجامعة الحصنية
توفق لتقرير مبلغ المال اللازم .

وقد تأخر موكب المغتربين زهاء ساعتين عن الوصول الى المستشفى
ولكننا قمنا بتفقد غرف المرضى ودوائر العمل والعمليات وعندها أخبرنا
الدكتور سمير أن في المستشفى الآن اثنين وثلاثين عليلا وأنه في صباح
ذلك اليوم جيء اليه برجل أصيب بجرح بليغ في بطنه خرجت منه امعاؤه
في حادث شجار وقع له مع جاره . فاضطر الطبيب الى ترك كل أمر
للاهتمام باعادة الحياة الى ذلك الجريح بمساعدة رفيقه الطبيب المتخصص
فغالبا الخطر على حياة الجريح وها هو في سريره يتماثل للشفاء التام .
وما كادت تنتهي تلك العملية الخطيرة حتى وفد جمهور يحملون امرأة
مزارعة نهشتها حية سامة فترك ورفيقه كل عمل لمغالبة السم في جسم

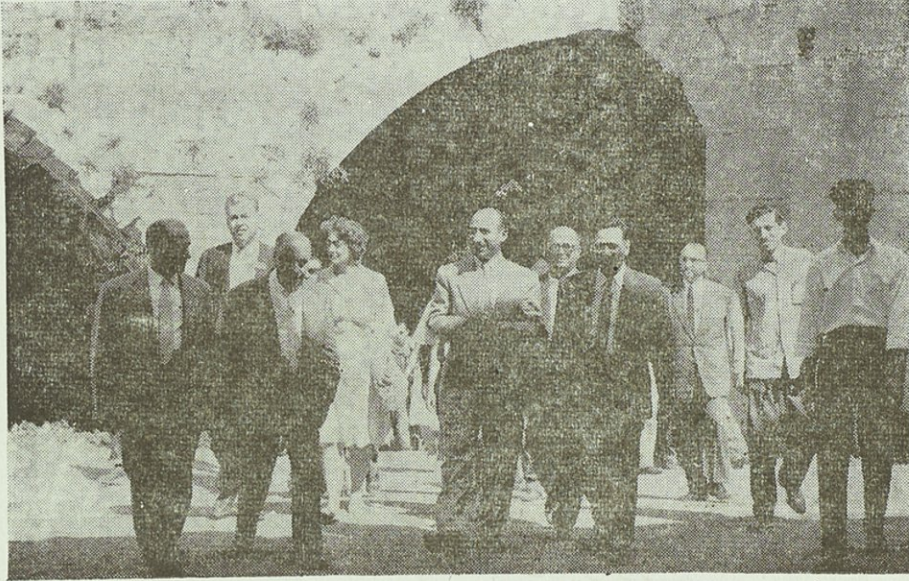
المرأة وقد تكمل عملها بالنجاح وأصبحت العيلة في سريرها آمنة من
خطر الموت •

عندئذ قلت للطبيين لو لم يكن هذا المستشفى موجودا ما كان
ليكون نصيب هذين العليلين من الحياة؟ أجاب الدكتور سمير: لولا
وجود هذا المستشفى القريب لكانا فارقا الحياة ولا شك •

وعدنا الى قاعة الاستقبال وما هي الا دقائق حتى قيل لنا ان
المغتربين قد أطلّ موكبهم فخرجنا لاستقبالهم وقد تقدم رئيس بعثتهم
الاستاذ جيمس عنصرة الينا فسلمت عليه وهو من أصدقائي الاعزاء
وعرفته بسيادة المحافظ ثم انخرطنا أنا والمحافظ في قلب الجمهور وهو
شادّ على يدي لثلا نضيع بينهم متفرقين ونحن كذلك اذ سمعت شابا
وراءنا يقول لمن معه: انظر الى هذا الرجل الذي يسحبه من يده المحافظ
انه يشبه كل الشبه عبد المسيح حداد في نيويورك • فلم استطع الالتفات
الى القائل لشدة الازدحام ولكن بعد دقائق قليلة من سير المزدحمين
رأيتني مواجهها له فاذا به يطلب مني أن أعرفه بنفسي ولما قلت له اسمي
توجه الى رفيقه قائلا: ألم أقل لك انه عبد المسيح حداد من نيويورك؟
وعندئذ تعارفنا وعرفته ورفيقه بالمحافظ وقد أخبرني أنه كان من مشركي
السائح لاكثر من عشرين سنة وأنه زار ادارة السائح مع المرحوم ايليا
عطا الله منذ ذلك الوقت الذي بدأ فيه اشتراكه •

وبعد وقوف بعض ساعة اقتضى لتفقد الزائرين المستشفى سعدنا
السيارة وسار خلفنا بعض المغتربين وسياراتهم وعددهم أكثر من مئة
وعشرين بينهم عدد ينتمون الى منطقة وادي النصارى التي أبدل اسمها
بوادي النضارة الى قلعة الحصن القريبة من المستشفى ولما تم دخول
الجميع الى باحة القلعة طلب المحافظ منهم جميعا الاقبال على صرر الغداء
وقد طلب مني ومن نظير الاهتمام معه بتأدية الصرر لطالبيها الجياع حتى

إذا انتهى العمل نأخذ نحن صررنا ونأكل مع الجميع وبينهم وقد التف حولنا جمهورهم يشكرون للمحافظ استقبال حكومته لهم واهتمامه براحتهم وضيافتهم ♦



واخذ هذا الرسم لدخولنا مع السيد المحافظ من بوابة قلعة الحصن واجتيازنا نفقها الى ساحتها الكبرى حيث اجتمع جمهور المفترين لتناول الغداء .



وعلى أثر الغداء باشر المغتربون بتفقد تلك القلعة التي تعد من أبقى وأقوى الآثار التي تركها الصليبيون تحت ضغط قوات السلطان صلاح الدين الايوبي وكان سرور المغتربين عظيما بما شاهدته أبصارهم من البناء الجبار ومختلف الحصون فيه للجند والمطايا ومساكن الملك وأمراء الجيوش وعادوا وعدنا الى المطايا التي أتت بنا تنهب الجبال والاوادية والسهول الى مدينة حمص وقبل وصولهم اليها زاروا مصنفاتها الجديدة المعدودة أكبر مصفاة للنفط في الشرق الاوسط . وكنا قد تركناهم في منطقة المصفاة لنعود مع المحافظ الى حمص حيث سيسافر

الى حلب لمهمة عائلية أما أنا ونظير فقد نزلنا الى حديقة الروضة حيث
سينزل بها المغتربون قبل استئنافهم السفر الى دمشق وقد أقاموا في تلك
الحديقة الغناء ساعة نالوا فيها الراحة الكافية مستمتعين أفياءها وجمال
أرضها وبشاشة أهلها ثم ودعناهم جميعا وسارت بهم مطاياهم الى دمشق
أما نحن فبقينا في الروضة نحدث الاصدقاء عن سفرتنا وعن المغتربين
وشوقهم الى زيارة بلدان آبائهم المهاجرين كلما استطاعوا الى ذلك
سيلا .

بين أدباء لبنان

بي بيروت اجتمعت بالادب - أدب العرب - رسل الوعي في هذا العصر يزينهم ويزين دنيانا بما يقصر عنه النشب • وكنت أعرف بعضهم بالبصر وبعضهم بالسمع فكنت بمجالسهم أسعد الناس وكانوا حولي عوامل اللطف والعطف والاستئناس •

اذكر منهم الدكتور نبيه فارس استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية وهو الحبيب الى القلب - فقد أحبه واثرى بحبه منذ سنوات الحرب العالمية الثانية اذ كان رئيس القسم العربي في مكتب المعلومات الحربية الاميركية حيث كنت أحد محرريه وقد ظلت وثائق هذا الحب بين قلوبنا رغم افتراقه عنا مجيبا دعوة الجامعة الاميركية في بيروت •

ونبيه علامة بحاثة تشهد له بهذين الوصفين مؤلفات عديدة كما أنه أديب عربي صميم تتلمذ على أدب العرب ولكنه امتاز بأدبه الغربي يفكر به ويكتبه بقلمه المخلص المتزن بالحياة والحق والحكمة •

هنا ذات يوم للغداء في مطعم للجامعة تناولنا فيه ما اشتتهه النفس
من غداء الملوخية في مجتمع ضم عددا من الاساتذة الكبار بأدبهم
وقلوبهم أمثال الدكتور محمد نجم استاذ الآداب في الجامعة والدكتور
فؤاد صروف نائب رئيسها •

وفي بيروت - على الرغم من قلة عدد الايام - لازمني الاديب
والصديق القديم فيليب كاتسفلين شقيق فقيدها العلامة الهمام المرحوم
وليم الذي كان لي على الحياة أبا كبيرا كأخينا ندره بل الله تراهما
برحمته • كما تعرفت الى الصحافي القديم والاديب الممتاز بعرفه وذكائه
الاستاذ خليل بن رامز سركيس صاحب جريدة لسان الحال الشهيرة
لمؤسسها جده وسميه المرحوم • وهو بعد تقاعده عن الصحافة وجد
نفسه طليقا في التفكير والتسطير فطفق يضع كتباً يهيم بمطالعتها المفكرون
الاحرار •

وهناك تجددت النسابة التي تجمعي بالاديب البرت ريحاني وهي
النسابة الروحية التي ضمتني مع شقيقه الكبير بأدبه وقلمه المرحوم أمين •
ولأمين منزلة في قلب أخيه وربيه البرت تفوق عهد الاخوة والابوة معا
فقد توفي الامين ولكنه بقي ولا يزال حيا في دار البرت في الفريكة حيث
أقام لفقيده غرفة ضمت آثاره الادبية وأصبحت متحفا يحج إليه عشاق
أدب ذلك الفقيده الكبير •

ولقد شاء البرت أن يجمعنا بمعظم أدباء لبنان في داره العامرة في
الفريكة وهناك اجتمعنا بالصديق الودود والشاعر الكبير رشيد سليم
الخورى الذي عرفته طوال سني غربته في البرازيل بقصائده الجبارة
التي كان يصل بها السائح ثم عرفت شخصه الكريم في حين قمت بسيارة
في أمريكا الجنوبية • وهناك أيضا اجتمعت بلفيف من أكابر الادباء نثرا
وشعرا أمثال واصف البارودي وجميل جبر والشاعر العراقي حارث طه



وهذا رسم ثان أخذ خلال الزيارة لمنزل آل الريحاني في الفريكة وفيه يظهر مؤلف الكتاب والى يساره الدكتور جميل جبر الاديب اللبناني الكبير والى يمينه الاستاذ وديع ديب الشاعر الناثر الشهير صاحب عدة مؤلفات قيمة في الادب العربي .



الراوي والكاتب الشاعر وديع ديب وغيرهم من مصاييح لبنان بل من مصاييح الامة العربية في هذا العصر . ودعي الى هذه المأدبة الفخمة الاستاذ نظير زيتون من حمص ولكنه اعتذر .

وكم كان أسفي عظيما لاني لم استطع الاجتماع بالصديق القديم الدكتور قسطنطين زريق الاستاذ فوق العادة في الجامعة الامريكية الآن وسفير سورية سابقا في العاصمة الامريكية فقد كان على أهبة السفر الى العاصمة المكسيكية ولما رغبت في مخاطبته تلفونيا وهو ضيف آل حميه في بجمدون قيل لي ان استدعاه للكلام لا يمكن قبل ساعة ونصف ولما كنت على موعد قبل تلك الساعة الغيت الطلب آسفا وسافر الدكتور في اليوم التالي طائرا الى الولايات المتحدة .

غداء مع أعضاء المجمع العلمي في دمشق

تلفظ سيادة الدكتور يوسف شقرا الامين العام لوزارة الثقافة
والارشاد القومي في دمشق فدعانا الى غداء في نادي الشرق •

وهناك في قاعة الاستقبال للنادي المذكور ، اجتمعنا بضيوف سيادة
الامين العام ، وهم اعلام البلاد بعلومهم وميلهم الى أدب اللغة العربية
أي أعضاء المجمع العلمي العربي - ولا جرم أنهم جميعا اعلام تشهد
لهم البلاد بوفرة علومهم وغيرتهم على أم اللغات وهم
رجال معظمهم شيوخ أعمار ، كما أنهم شيوخ علوم وأخلاق محترمون
لنقاوة قلوبهم ولا استعدادهم للخدمة في نطاق مجتمعهم وكان في عداد

المدعوين صديقانا الأستاذ نظير زيتون وعبد اللطيف اليونس وبعض رؤساء الدوائر في وزارة الثقافة .

أما ما عرفته عن المجمع العلمي الدمشقي وعن الخدمات التي أداها للغة والتي سيؤديها لها ، فذلك أمر قد لا يكتفي به السائلون . وكما علمت أن سبب ذلك هو ضآلة الميزانية المالية وهذا ما يجعل آمال الاعضاء بتحقيق أهداف المجمع ضعيفة لولا همهم الكبيرة ومجهوداتهم المستمرة . ولا أدري لماذا تتضاءل ميزانية المجمع ولا لماذا لا تتقدم الحكومة لعضدها باللازم للدب ، في حين أن الامة العربية نالت قسطا وافرا من تطورها اجتماعيا وماديا وسياسيا . أيقن والحالة هذه أن تتخلف لغة الامة عن جري أفرادها في كل ميدان من ميادين العصر ؟

هذه كلمة قصيرة أود أن يكون لها صدى أبعد لعلها تصل الى مسامع ذوي الامر في سورية ، نعم ان المجمع العلمي العربي قام بأعمال لغوية وأدبية جبارة كما نشر سلسلة من عيون المخطوطات العربية التي تولى تحقيقها جهابذة مدققون .

ولكن اللغة العربية لفي حاجة ماسة الى اصدار قاموس عام وآخر للطلبة في المدارس ، على الطراز الحديث فما هو موجود الآن من القواميس العربية يعبت أكثره بوقت الطالب فيضطره الى أن يخوض بحرا من حوشي الكلام ليبلغ الى اللفظة التي يحتاج اليها . هذا عدا أن القواميس الحالية تعتمد على جمع الالفاظ غير المستعملة مع التي يمكن استعمالها ، وهذا أكبر العوائق لدى الطلبة الاحداث وسواهم .

واني لقائل بضرورة تعريم الميزانية لاي مجمع علمي عربي حتى يستطيع اصدار ما يقوم عنده من الحاجة اليه من الكتب الاساسية والعلمية الشاملة جميع ضروب العلوم ، فاصدار قاموس مثلا يجب أن يقوم عليه جمهور من الاختصاصيين في اللغة ومختلف العلوم واللغات

الامة وجواليها المغتربة

لا جرم أن شعور الاقطار العربية بوجود دوام العلاقة العائلية بين أقوامها ومغتربيها ، لهو الشعور الذي ينبغي أن يتقوى لفائدة الاقطار نفسها • فان بعضها وخاصة لبنان ، الشاعر بأن نصف سكانه أصبحوا مهاجرين وعليه واجب ابقاء الرباط اللبناني بين شطري لبنان ، ولهذا نشطت الحكومة اللبنانية منذ سنوات للعمل على تحقيق هذا الهدف ، وكان نشاطها جليل الفائدة مكللا بالنجاح •

وسورية تأتي بعد لبنان في كثرة عدد أبنائها الضارين تحت كل سماء في العالم الجديد ، ولهذا أصبح واجبا على حكومة سورية أن تعني بتمكين الرباط العائلي القومي بين المغتربين من أبنائها واخوانهم المقيمين •

ولقد كان سروري عظيما عندما علمت أن لوزارة الخارجية فرعا

يدعى بمديرية المغتربين تعني كل العناية بشؤون المغتربين الذين انتشروا في طول الاميركتين وعرضها ، كما حملوا الوية العمران الى جانب اللواء العربي الخفاق في قلوبهم •

ولكن هذه المديرية لم تعالج حتى الآن قضايا المغتربين في صميمها ومعظمهم الآن مواليد أمريكيون فأبأؤهم وجدودهم الذين هاجروا من أوطانهم العربية مضى معظمهم الى العالم الثاني ، الا ان ناشئات الابداء والاحفاد لا تزال على شعور مستمر بالوطنية العربية التي تسلموها بالارث الروحي من اسلافهم ، ولهذا فهم اليوم ، اذا ما اتصلت الى نفوسهم دعوة مديرية المغتربين ، لا بد من أن نفوسهم تأخذ شيئا من النشوة وهذه تزداد حيناً بعد حين حتى ليتوثق الرباط بينهم وبين ديار أعمامهم وأخوالهم في سورية وغيرها من الاقطار العربية •

وهذه قضية يجب علينا أن نلفت اليها نظر وزارة الخارجية حتى تتلافى ما فات الحكومات السالفة من توثيق الصلات بين المغتربين والمتحدرين منهم وبين الوطن الام وفي هذا التوثيق فوائد أدبية واقتصادية وسياسية للجانبين ، وليس من مصلحة قضيتنا القومية العربية أن نهمل ثروة بشرية هائلة فلا نرعاها حق الرعاية ولا نوفي بواجبنا نحوها • وقد طالما قدم المغتربون الدليل تلو الدليل على وطنيتهم وتمسكهم بعهود القومية والاخوة •

ان الرأي العام الاميركاني مثلاً لا يزال حتى الآن مأخوذاً بالدعاية الصهيونية والمغتربون قاموا بصفة فردية برد هذه الدعاوة ضمن حدود طاقتهم ، ولو دعمتهم الحكومة وضمت جهودها الى مجهوداتهم لتضاعفت النتائج وخصوصاً متى علمنا ان بين الاميركيين المتحدرين من اليهود من يستنكر السياسة الصهيونية كالكاتب اللبق الفريد ليلياتال مؤلف كتب عديدة دافع بها عن حقوق العرب ، وهو فخور بأنه صديق العرب ،

وبأنه يهودي حر يرى من إسرائيل شرا على الجنس اليهودي لا في فلسطين
فحسب بل في معظم بلدان العالم التي بدأت تشعر بأهداف الصهيونية
العالمية في هدم مدينة العصر ليتولى الصهاينة زمام أمور العالم لانهم
الشعب المختار من الله حسب اعتقادهم .

ان مديرية المغتربين في وزارة الخارجية مدعوة الى القيام بمهمتها
الثقيلة التي ترمي الى كسب الثروة البشرية في بلدان العالم الجديد ،
وبهذا الكسب كسب عظيم للقومية العربية ، وعسى أن تدرس
هذا الموضوع بما يستحق من عناية واهتمام لكي يلتقي الشطران الحبيبان
علي سعيد المصلحة الوطنية العليا .

زملاؤنا ادباء مصر

اقتصرت اقامتنا بمصر على اسبوعين فقط ولهذا كانت متصلة الشواغل حتى لم يبق لي من وقت لزيارة الصحف في القاهرة والاسكندرية ولا لمناداة اخواني ادباء القطر ولا سيما منهم أعضاء رابطة الادب الحديث وهي الجمعية التي وقع انتخابها لي عضوا منذ سنوات • الا اني سعيت في مخاطبة أحدهم الاستاذ وديع فلسطين الكاتب الرشيق والعديد المؤلفات وكان ذلك في الايام الثلاثة الاخيرة فأسرع للحال الى فندق النيل - هلتون • وكان بيننا الاجتماع الاول الذي عقبه اجتماعات وفي كل منها كان الادب العربي العصري محور أحاديثنا • وما ان انتهى الاجتماع الاول حتى وفد علينا الاديب الكبير الاستاذ حبيب جاماتي المحرر في عدة صحف قاهرية ، والمنقولة مقالاته الوطنية والتاريخية والاجتماعية الى عدد كبير من صحف المهاجر الاميركية • ولكم عزٌّ على هذين الاديبين المتفوقين عندما علما أن موعد مغادرتنا مصر أصبح وشيكا بعد

أيام ، وانا مزعمون زيارة طنطا حيث لنا انساب وأصدقاء ألحوا علينا
بزيارتهم ، وبعدها نعود الى القاهرة ليبقى لنا يومان لا غير قبل رحيلنا •
وعدنا من طنطا الى فندق النيل - هيلتون فسألنا مديره عن السيد
البرتو خوري وقرينته السيدة ايلينا ، وهما سائحان في الشرق والغرب ،
وللسيد خوري منزلة عالية في سانباولو البرازيل في الحصول المالية
والتجارية ، فقبل لنا ان اقامتهما انتهت في الفندق واضطرا الى الانتقال
الى فندق آخر • ولما خاطبناهما بالتلفون أسرعنا ليدعوانا الى مأدبة
في مقصف فوتانا اعداها لاصدقائهما ونحن منهم وقد وضعوا لنا اعلانا
بذلك في النيل - هيلتون لتكون على بينة من الامر •

وهناك في مقصف فوتانا تعرفنا الى الاديب المتقد ذكاء السيد
ارنست يونس مدير دائرة الاعلانات في جريدة الاهرام ، فكان فرحنا
بالالتقاء به عظيما لان اسمه الكريم كان مدونا في دفتر المذكرات لدينا
وخشينا أن لا نجتمع به ولهذا عظم شكرنا لنسيينا الحبيب السيدالبرتو
خوري الذي كان واسطة العقد •

واجتمعنا هناك أيضا بالصديق القديم الاستاذ سامي الخوري الملحق
بوزارة الخارجية ، وكان حين زيارتي البرازيل منذ احدى عشرة سنة ،
قنصل سورية العام مع رفيقه القنصل الاستاذ فريد اللحام الذي اجتمعنا
به أيضا مرات في دمشق يشغل وظيفة عالية ، وقد قمت بزيارة سيادته في
مكتبه فرحب بي كثير الترحيب ، وهو صديق وفي كريم تعرفت اليه في
نيويورك حيث قدم اليها عضوا في الوفد الذي ترأسه فارس الخوري
لانشاء الامم المتحدة •

وفي اليوم التالي وفد علينا رهط من ادباء اخوان لنا دون معرفة شخصية سابقة بيننا الا الاستاذ وديع قسطنطين ، بينهم محمد عبد الغني حسن ومحمد عبد المنعم خفاجي وكلاهما شاعر ونائر من الطراز الاول ، وبعد التعارف والعناق قدّم لي الاستاذ محمد عبد الغني حسن ورقة كتب عليها ما يلي :

« الى أحد السابقين من حملة الشعلة العربية في العالم الجديد
الاستاذ الكبير عبد المسيح حداد صاحب « السائح »

لقد زفّ البشارة لي « وديع » فكان كهده حلو المساعي
علمت الآن أنك بين أهل فجئت أمدّ من شوق ذراعي
فان السائح الجوال فكر توثقنا به أقوى الدواعي
عرفناه - الغداة - على افتراق ونعرفه - العشي - على اجتماع
أمدّ يدي اليك ولست أدري للتسليم ، أم هي للوداع ؟ !
القاهرة في ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٠ محمد عبد الغني حسن

ولما قرأت هذه الايات العاطفيات تذكرت حادثا عاطفيا مماثلا جرى معي في حمص ، فهناك أقبل للتسليم علينا شاعر صديق بلغ من العمر متوسط العقد التاسع الشيخ صادق أسعد ، وكأنه لم يكتف بالزيارة دون شعوره شعريا فأخذ ورقة وكتب عليها بيتين ينتهيان بتاريخ وقد أعجبت أيما اعجاب بذكاء هذا الاديب الشيخ الشاعر وبسرعة جمعه حروف التاريخ ١٩٦٠ فما مضت دقيقتان حتى ناولني ورقته فاذا فيها ما يلي :

الله يوم " حل " فيه سرور والقلب من طرب يكاد يطير
بلقائك يا عبد المسيح مرحبا أرخت حبا غرد الشحرور

١٩ حزيران ١٩٦٠ المحب الصادق
صادق أسعد

أما الشحرور الذي ذكره شيخنا الشاعر فمعناه قلبه السليم المفرد في

كل مناسبة وطنية • لنعد الآن الى اجتماعنا في القاهرة بأحبنا كتاب
وشعراء مصر البارعين ، فبعد أن جلسنا نتحدث واياهم بأحداث الادب
العربي ونهضاته في الاوطان والمغربيات ، أخبرني الاستاذ فلسطين عن
الذين سألت عنهم وهم الاساتذة ابراهيم رضوان وعبد اللطيف السحرتي
وحسن كامل الصيرفي ومحمود أبي الوفاء وصالح جوهر فأجاب أنهم
جملة جد آسفين لعدم مقدرتهم في ذلك اليوم على مغادرة مكاتبتهم ولكنهم
جميعا حملوه سلاما معطرا ينوب عنهم ويغيبهم عن الاجتماع بالذكرى
لربط قلوبنا بعضها مع بعض من زمان طويل •

مديرية المغتربين في وزارة الخارجية

من ألمع الشخصيات التي تعرفت الى اصحابها شخصية مدير
المغتربين في وزارة الخارجية في القاهرة الاستاذ حسين مصطفى فقد زارني
في فندق « النيل - هلتون » وتحدثت واياها طويلا عن المغتربين وما
سيادته يأمل منهم وما هم عليه من الاستعداد لتوجيه مشاعرهم نحو
وطنهم أو وطن آبائهم •

والاستاذ حسين مصطفى وزير مفوض يدير ادارة « المغتربين »
بهمة ونشاط لا مزيد عليهما ، وانما يعوزه أن يقوم بزيارة خاصة لمختلف
المغتربات لدرس أحوالها العامة وللالاتصال بأفرادها الذين يؤمل منهم أن
يسيروا في موكب الوطن العربي لتعضيد مشاريعه القومية وللعمل على
المساهمة مع اخوانهم المتخلفين في تبيان حقوق العرب لدى الشعب
الاميركي وحكومته ومجالسه اذا أمكنهم •

هكذا أفضيت له برأيي فقبله مني وواعد بالعمل في سبيل تحقيقه ،

وقد زرت سيادته في مكتبه فأعدنا الحديث وتناولنا فروع الأخرى ولم يكتب سيادته بهذه الزيارة بل دعاني لقضاء سهرة في حديقة سطح فندق شيرد • وقد كانت تلك السهرة من أروع سهرات القاهرة وأعظمها أثرا في نفسي لأنها جمعت نفرا من أكارم البلد وزوجاتنا جميعا •

وفندق شيرد لا يبعد أكثر من شارعين عن فندق هلتون • وقد ودعنا مضيفنا والسيدة حرمه وأضيفهما وسرنا تقصد فندق هلتون وما خطونا بضع خطوات حتى دنا منا شاب أسمر اللون جدا ولكنه أنيق الهندام فحيانا وحيناه مستغربين دنوه منا ، وطفق يحدثني باللغة الانكليزية ، وأنا أحاول استطلاع رغبته في الانجذاب الينا ، حتى سمعته يعرض عليّ قطعة من مخدر الحشيش ، فضحكت منه ومن اجتهاده في التعرف بنا وقلت له اني لست محششا ولهذا لا أرغب في شراء بضاعته ، فما كان منه الا ان طفق يصف لي حسنات التحشيش كأنني لم أذقه في حياتي وكنا قد اقتربنا من حديقة فندقنا فنفتحته بابتسامة وأمرته بالانفصال عنا والا • وهذه « والا » كانت الدافعة لعجلة قدميه للابتعاد عنا من حيث راقنا لعله يجد من أمثالي مغتربا يستطيع عقد صفقة تجارية على بضاعته القتالة ، وظهر لي بعد هذا أن تعاطي الحشيش لا يزال مستمرا مع شدة حرص السلطات على مكافحة هذا السم الأبيض •

والآن لاعد مع القارئ الى الكلام عن الاستاذ حسين مصطفى الذي رأيت منه نشاطا جما في المهمة الكبرى المسندة اليه ، وهي مهمة ربط المغتربين باخوانهم المقيمين وجعل أجيالهم المتعاقبة في المغتربات يحملون ذكر الوطن العربي الذي كان لأبائهم وجدودهم ، وقد تعدد حديثنا في هذه الناحية على عداد اجتماعاتنا وكنت في كل اجتماع أنشط فيه الامل برحلة الى المغتربات العربية ليضع أسس مشروعه في نفوس أبناء المغتربين • وقد حملني سيادته عددا من الكتب العربية والانكليزية الموضوعية للدعاية السياسية •

في وزارة الخارجية

اقترح علي السيد محمد سمير المنصوري مرافقنا الرسمي في مصر أن أقوم بزيارة وزارة الخارجية وكانت سيارة الحكومة وفيها سائقها ينتظرنا للقيام بتلك الزيارة التي كانت من أسعد الزيارات الرسمية ، ففيها تعرفت بمدير الخارجية • وقد استقبلني استقبال رجل لرجل لم يجمع بينهما مكان قبل الآن الا أنهما عرف واحدهما الثاني معرفة روحية • وجلسنا نحسو القهوة فيما أخذنا في الحديث عن المغرب الاميركي • وقد سرنني منه سؤاله في ابتداء الكلام عن صديقه الامعي الدكتور جورج طعمة • أجل سرنني منه سؤاله ذلك لان الدكتور طعمة من أحب الاصدقاء وأقربهم لنفسي ، كما هو حبيب الجالية العربية ومفخرتها وقد عرفته عند وققاته خطيبا بارع الاساليب التي تأخذ بنفوس

السامعين وألبابهم ، المستطلعين منه ضروبا من التنفن في التجول بين التاريخ والادب والعلم وتنتفح لفته قلوبهم خاشعة لذك الفن والادب البالغين حدا قصيا .

وحدث أن جرس التلفون رنَّ فأخذ المدير السماعة ، يقول لسكرتيرة مكتبه الخاص أن يدخل عليه الزائر الجديد فنهضت أودعه قائلا له أن يسمح لي بالانصراف لينصرف هو الى مقابلة ذلك الزائر . فما كان منه الا أن ألحَّ عليَّ بالبقاء فعدت الى مقعدي ومعني السيد محمد سمير المنصوري الموكل بنا من قبل وزارة الخارجية . وما كدنا نجلس حتى فتح الزائر الباب فنهض المدير ونهضنا معه لاستقبال الداخل الجديد وللحال عرفني به رب المكتب فاذا به الاستاذ محمد عبد الوهاب الموسيقي العربي الشهير بفته العصري وصوته الرائع .

عند هذا التعريف خاطبني عبد الوهاب بقوله انه يحن الى زيارة المغتربات العربية ، ولكنه يريد أن يعرف ما اذا كان المغتربون يحتشون الى فن الغناء العربي . فأجبته مبتسما بأن الشعب العربي عامة شعب للموسيقى عنده المنزلة الاولى ، وأنه بذلك الميل تظهر منه المروعة الانسانية وعطفه على السلام ، وان اسطوانات عبد الوهاب قلما يخلو بيت مغترب منها يسمعها بالفونوغراف فيخرج « الآه » من صميم القلب . وقد رأيت أن عبد الوهاب قد سرَّ لما سمعه مني عن فنه وميل المغتربين اليه ، فقال لي انه يريد مقابلتي للتحدث عن أمر رحلاته الى المغتربات العربية المنوية بصورة أفسح ورجا مني أن أزوره فمقامه قريب من الفندق أي عبر نهر النيل في حي الزمالك ، فوعده بالزيارة اذا سمح الوقت . ثم ودعته وودعت مدير الخارجية . ولكنني لم أستطع زيارة المطرب الاستاذ عبد الوهاب لدنو وقت الرحيل من مصر وعدم استطاعتي تأجيل مواعده يوما آخر والا اضطررت الى البقاء في القاهرة أكثر من عشرة أيام لشغل مقاعد الطائرات بالركاب المحتفظين بها طوال الايام العشرة القادمة .

الاسكندرية

اقتصرت زيارتنا في مصر على أهم مدائنها وكانت الاسكندرية أولى المدائن بعد القاهرة التي زرناها ونظرا لقصر مدة اقامتنا قررنا مع مرافقنا السيد المنصوري أن تقيم في الاسكندرية ليلة واحد بحاشيتها النهارين قبلها وبعدها • وقد استغرب أمر هذا الاقتصار حكمدار الاسكندرية محتجا على قرارنا به وقائلا ان المدينة مستعدة لاستقبالنا أربعة أيام ولكنه نزل الى رجائنا بقبول ما استقرر رأينا عليه لقله أيام اقامتنا في مصر وأرسل من يرافقنا في الطواف على معالم المدينة وقصورها ومتاحفها ومكاتبها وبعث كذلك بضابط يسبق سيارتنا على دراجته النارية فيدلنا على الطريق دون ضياع أي وقت •

وهكذا سرنا في المدينة نمتع الابصار بشاطئها الرائع المشاهد وبما قام عليه من البنايات والمنازل للاصطياف والمسابع والنوادي الرياضية

وكل ذلك من الطراز الاول ومن أجمل ما تقع على مثله عيون السائحين •
وكان أول بدئنا بزيارة المدينة دخولنا الى قصري الملك فاروق
— رأس التينة والمنتزه — وهما من أفخم قصور الدنيا ويحتوي كل منهما
على حدائق وجنات عظيمة منسقة أبدع تسيق • وكذلك يحتويان على
ما ألهى ذلك الملك عن شؤون ملكه حتى خسر ملكه • وفي أحدهما وقفنا
على وثائق تخليه عن العرش والقلم الذي كتبه به والكرسي وراء المنضدة
التي كتب استقالته عليها وفي عينيه الدموع • وقد أصبح القصران بعده
متحفين يؤم اليهما السائحون العالميون وينقلبون عنهما مذهولين يهزون
رؤوسهم اعجابا بينائهما واستخفافا بالملك الذي بناهما على أساس أنانيته
السلبية •

والاسكندرية مدينة قديمة أنشأها اسكندر ذو القرنين سنة ٣٣١
قبل الميلاد وهي اليوم تعد من أهم موانئ البحر الابيض المتوسط
والعاصمة الاقتصادية للقطر المصري • ويبلغ عدد سكانها مليوناً وثلاثمائة
الف نسمة •

ومن أهم آثار الاسكندرية القديمة قلعة قايتباي المبنية على المكان
الذي كانت فيه المنارة العظيمة المعدودة احدى عجائب الدنيا السبع
المشهورة في العالم • وكذلك تحتوي الاسكندرية على مقابر قديمة يعود
تاريخها الى ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد وتعتبر نقوشها من أجمل
ميزات الفنون المصرية اليونانية الرومانية •

قناة السويس

من أهم الانطباعات التي رغبنا فيها ونحن ضمن أيام الضيافة المعدودة
في القاهرة أن نزر قناة السويس بعد تأميمها ، فقد حملتنا سيارة الحكومة
من القاهرة الى منتصف طريق القناة — الى مدينة الاسماعيلية وهناك
انضم اليها السيد عز الدين محمد حافظ من مديري هيئة قناة السويس

وطاف بنا على أبنية الإدارة وأرانا كيف يسهر المهندسون والعمال على شؤون القناة وأعمال خفارتها وترتيب دخول البواخر القادمة من السويس جنوباً أو من بور سعيد شمالاً في كل دقيقة من دقائق اليوم .

وقد أقمنا بضع ساعات في منطقة إدارة القناة وطافت بنا السيارة بين حدائقها ومنازل ضباطها وعمالها ونواديهم الفخمة حتى عدنا إلى الحديقة الكبرى حيث جلسنا للغداء بين أشجارها تنعم بالنسمات العليلة والمشاهد الجميلة وما انتهى غداؤنا حتى كان السيد عز الدين محمد الحافظ قد استدعى يختنا نزلنا إليه فطاف بنا في طول بحيرة التمساح وعرضها وهي إحدى البحيرات التي تدر بها البواخر وتليها جنوباً بحيرات الملح التي تصل القناة بالبحر الأحمر عند ميناء مدينة السويس .

وأخيراً ودعنا السيد الحافظ وزملاءه الكرام لنعود إلى القاهرة وكان السيد المشار إليه قد أخبرنا أن كثيرين من مهندسي الشركة الذين اعتصبوا ضد التأميم بدأوا يكتبون إلى دائرة القناة المؤممة يرجون أربابها السماح لهم بالعودة إلى أعمالهم السابقة بعد أن تبين لهم أن التأميم المصري لم يفشل بل ازداد نصره وتعاضمت القناة رسوخاً في العمل وازدادت عليها الإصلاحات حتى أصبحت تغل ضعف ما كانت أرباحها وستبقى الزيادة فيها مستمرة ومطرودة .

ولم يشأ السيد عز الدين توديعنا إلا ليزودنا بعدد من الكتب الموضوعية عن قناة السويس ولهذا رأينا أن تقتطف من تلك الكتب شيئاً عن تاريخها القديم وتاريخها الجديد لفائدة المطلعين :

قناة الفراعنة : بين سنة ٢٠٠٠ و ١٨٠٠ قبل الميلاد كان يحكم مصر فرعون من الأسرة الثانية عشرة اسمه سنوسرت الثالث اتصف بالاقدام وبعد النظر فبسط سلطانه حتى أعالي النيل وازدهرت البلاد في عهده . وقد تحقق على يديه شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر فكانت

المراكب القادمة من المتوسط تسلك فرعا من فروع النيل شرقا وكان لهذا
النهر سبعة أفرع حتى تصل الى مدينة بوست (الزقازيق) ثم تتجه
شرقا مارة بمدينة تيخاو (أبو صوير) فتبلغ البحيرات المرة التي كانت
في ذلك الزمان خليجا متصلا بالبحر الاحمر .

وفي سنة ٦١٠ قبل الميلاد في عهد الفرعون نخاو الثاني الذي دعاه
المؤرخ الاغريقي القديم هيرودوت باسم نفوس امتلأت القناة بالأتربة
لافتقارها الى الصيانة فترة طويلة من الزمن فتكوّن من جراء ذلك سد
أرضي عزل البحر الاحمر عن البحيرة المرة .

قناة الفرس :

ازدادت أهمية برزخ السويس في عهد الفرس - اذ كانت الطريق
الى فارس تجتاز وادي الطميلات وتسير بمحاذاة القناة التي شقها نخاو
الثاني وتعهدا خلفاؤه بالعناية . فلما حكم مصر دارا بن خشوشب ملك
الفرس أعار القناة جلّ اهتمامه فأمر باستمرار الحفر فيها وأدخل عليها
تحسينات كبيرة ولكنه لم يفلح على الأرجح في وصل البحيرة المرة بالبحر
الاحمر الا بواسطة قنوات صغيرة لم تكن صالحة للملاحة الا في أثناء
فيضان النيل .

قناة الاغريق :

في سنة ٢٨٥ قبل الميلاد على عهد بطليموس الثاني تمّ اعداد القناة
بأكملها للملاحة اذ حفر الجزء الواقع بين البحيرة والبحر الاحمر فأصبحت
القناة تصب بجوار مدينة كليسا (السويس) .

قناة الرومان :

في سنة ٩٨ قبل الميلاد رأى الرومان لاسباب تجارية اعادة استخدام
القناة بعد أن عبث بها الاهمال في أواخر عهد البطالسة فقام الامبراطور
تراجان بحفر وصلة جديدة تبدأ من بايلون (القاهرة) وتصب في القرية

المعروفة بالعباسية حيث تتصل بالفرع القديم بولستا (البحيرة المرة) •
الا أن القناة أعيد اهمالها من جديد في عهد البيزنطيين اذ تركوا التراب
يطغى عليها فعدت غير صالحة للملاحة •

قناة أمير المؤمنين :

جاء عمرو بن العاص لدى فتحه القطر المصري فأحيى القناة من جديد
وقد خطر له في عهد ولايته الاولى على مصر سنة ٦٤١ - ٦٤٤ ميلادية
أن يحفر قناة تصل مباشرة بين البحرين المتوسط والاحمر وتشق السهل
المنبسط الممتد من جنوب فرما وهي مدينة كانت قائمة على مقربة من
موقع بورسعيد الحالي • ولو صح لعمرو تنفيذ فكرته لكان أول من
وصل البحرين دون اللجوء الى أحد فروع النيل ولكن الخليفة عمر
بن الخطاب عارض هذا المشروع اذ جاء من ينبهم الى أن شق البرزخ
يعرض مصر كلها لطغيان مياه البحر الاحمر ، فأمر الخليفة عمر بالاكْتفاء
بإعادة قناة الرومان القديمة لكي يتسنى للسفن السفر الى الحجاز
واليمن والهند • فأعيدت القناة من الفسطاس حتى القلزم (السويس)
في أقل من ستة أشهر • وقد سميت بقناة أمير المؤمنين واستخدمت زهاء
مائة وخمسين سنة لتنشيط التبادل التجاري بين البلاد العربية وجميع
أنحاء المعمورة ولا سيما لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام •

الا انه في العهد العباسي أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بردم القناة
عند نهاية القرن الثامن لثلا تستخدم في نقل المؤن الى أهل « المدينة »
الذين تمردوا على سلطته فتعطلت بذلك همزة الوصل بين البحرين مدى
أحد عشر قرنا •

قناة مصر :

أثبت التاريخ أن ربط البحرين بقناة يرجع عهده الى أربعين قرنا ،
وأن مصر التي كانت تجارتها واسعة مع الشرق الاوسط قد شقت أول

قناة صناعية على وجه الأرض وظلت بعد وقوف قناة عمر على يد الخليفة
أبي جعفر المنصور العباسي وثيقة الاتصال بغرب أوروبا بحكم موقعها
الجغرافي • وقد أنشأ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة في
سنة ٩٦٩ ميلادية ومنذ ذلك الحين كانت تجارة الغرب صوب الهند
تسلك طريقا يمر بالاسكندرية فالقاهرة ومنها الى السويس •

وبقيت الحال على هذا النحو حتى تمكن الصليبيون من توطيد
أقدامهم في الشرق فاستغلت البندقية وجودهم من تحويل طرق التجارة
مع الهند من مصر الى سورية وفارس • الا ان البندقية لم تنعم طويلا
بخطوطها البحرية والارضية الجديدة اذ قامت بوجهها منافسة قوية لم
تخطر لها ببال ففي سنة ١٩٤٧ استطاع فاسكوي دي جاما الدوران حول
رأس الرجاء الصالح وألقى مراسيه في الهند سنة ١٤٩٨ فبات طريق رأس
الرجاء الصالح طريق التجارة المألوف مع الشرق الاقصى وأصبح الطريق
عبر مصر وسورية وفارس نسيا منسيا خلال ثلاثة قرون •

على أن الانكليز بدأوا يحاولون في أوائل القرن التاسع عشر استخدام
الطريق المصري القديم ادخارا للزمن واتقاء لمخاطر السفر في المحيط •
وفي سنة ١٨٢٩ أي قبل افتتاح قناة السويس بأربعين عاما عادت التجارة
مع الهند سيرتها الاولى عبر الاراضي المصرية • فكانت البضائع تبحر
من أحد موانئ أوروبا الى الاسكندرية ثم تجتاز الطريق البري منها
الى القاهرة بواسطة ترعة المحمودية والنيل من القاهرة الى السويس على
ظهور الخيل والابل •

وفي سنة ١٨٥٦ انشئ الخط الحديدي بين الاسكندرية والقاهرة
فحل محل ترعة المحمودية الا أن ذلك لم يكن الحل الامثل الذي لا يأتي
الا بحفر قناة بحرية تنتهي معها الحاجة الى تفريغ البضائع في الاسكندرية
ثم شحنها الى السويس •

وأخيراً ظهر الى مسرح قناة السويس دلسبس ويقال أن الفضل الذي نسب اليه يعزى الى المهندس النمساوي نجرللي الذي قضى على النظرية القائلة باختلاف مستوى المياه في البحرين المتوسط والاحمر - تلك النظرية التي سيطرت على العقل البشري منذ عهد دارا الفارسي والتي حالت دون شق القناة مباشرة على أيدي العرب في عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . وقد أثبتت المصادر أن دلسبس اطلع على تصميمات نجرللي عن القناة واقتبس منها فكرة ربط البحرين بمجرى مائي مستقيم لا يلجأ الى أحد فروع نهر النيل .

قناة السويس :

وقعت أولى ضربات الفأس على أرض مدينة فرما الاثرية التي تقوم موضعها اليوم مدينة بورسعيد ، في ٢٥ نيسان ١٨٥٩ وانتهت أعمال حفر القناة في ١٨ آب ١٨٦٩ حين تدفقت مياه البحر الاحمر في البحيرات المرة لتلتقي بمياه البحر الابيض المتوسط التي كانت قد سبقتها اليها بشهرين .

هذه هي قناة السويس التي أمتها الحكومة المصرية في اليوم السادس والعشرين من تموز ١٩٥٦ وهي القناة التي اودت أعمال حفرها بعهدة دلسبس بحياة أكثر من مائة وعشرين الف مصري عظامهم تحت الرمال على طول القناة من بورسعيد الى السويس . ويا لها تضحية هائلة قدمتها مصر الخديوية في منتصف القرن الماضي لاعادة هذا الشريان الحيوي الى الملاحة العالمية .

وفاة صديق ونعي كريم

عدت من رحلتي الى سورية ومصر ولبنان بما مر من الانطباعات التي
أصبحت على ألواح النفس لتبقى معي ما بقيت وانه لمن الاسف بما لا
مزيد عليه أن تلحقني انطباعتان أخريان الى مقري في نيويورك أولاهما :
نعي الصديق الوطني المجاهد والاديب العربي المرحوم الحاج رشيد
الملوحي المحرر في جريدة الايام الدمشقية •

شاهدت محياه بين أفراد الجمع الاول الذي استقبلني في دمشق ،
الى جانب الاستاذ نظير زيتون والاستاذ وجيه خوري فلما تعرفته قال
شعوري النفسي أني عرفته من زمان طويل وقد عاقتني وعاقته ولزمني
ولزمته حتى لم يمض يوم في العاصمة الاموية الا وكان فقيدنا الكبير
يحضر مرتين أو أكثر للجلوس معي وكم قضينا معا سهرات في مقاصف
ومقاهي دمشق سعيدين بقاء واحدا الآخر تتجاذب الموضوعات الادبية
والاجتماعية •

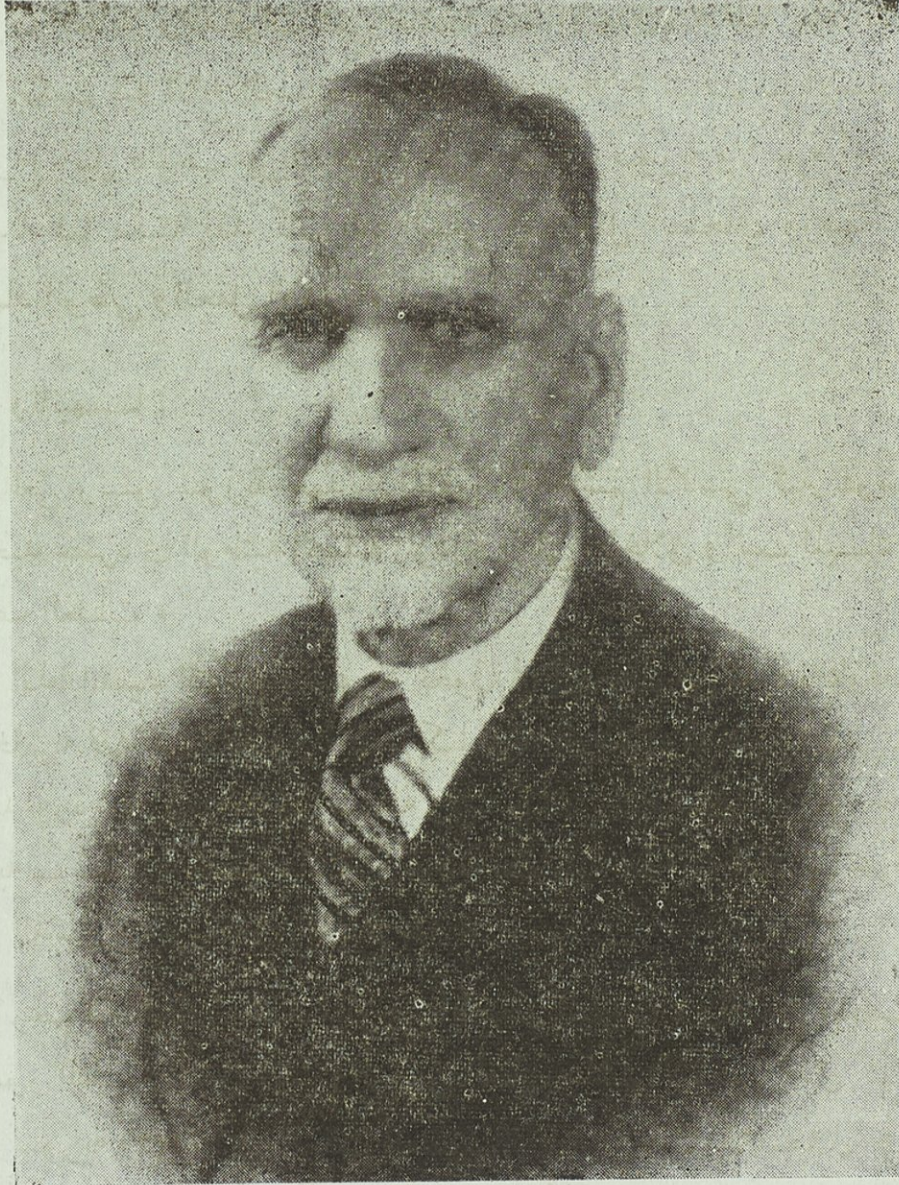
ولهذا الفقيه العزيز منزلة سامية في قلوب عارفيه لاجتهاده الوطني والادبي ولاخلاصه في حب وطنه وجهاده في سبيل رفعة العرب حتى ركوب المخاطر والمغامرات التي خاضها ضد الاحتلال . فلما نغاه الناعي اليّ بكيت فيه الاخ الحبيب وأسرعت لتعزية الاخ الثالث لنا الاستاذ نصح باييل صاحب جريدة الايام كبرى صحف سورية ولا جرم أنه بكى فقيدا كما بكيته فقد كان يده اليمنى في الحقل الصحافي ورفيقه في الجهاد الوطني والحقل الادبي .

وثانيهما :

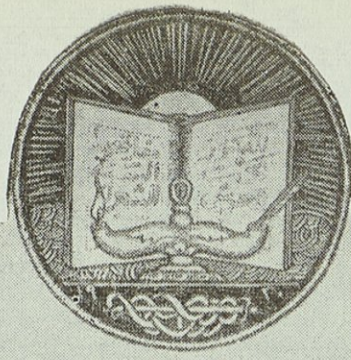
نعي رئيس سورية لعهدين المغفور له هاشم الاتاسي كبير قومه ووحد عصره في الوطنية الصلبة المزدانة بأعلى الاخلاق وأثبت المبادئ وأعف الغايات .

لهذا الفقيه الجليل ذكرى لا تحول في أي حال عن قلوب عارفيه أو خابريه فقد عرفه العام والخاص كما عرفه الوطني والاجنبي بمقدرته في مداورة شؤون وطنه وفي معاملة رعيته بمنتهى الحكمة والعطف في تجاوز الغاية - أية غاية نفسية مادية أو فردية مصلحة ، وآيته الكبرى حرصه على الدستور وجرأته في الدفاع عنه .

رحم الله الحاج رشيد الملوحي أبا معاز الحبيب ، والشيخ الجليل الطهور القلب والنبييل الخلق الرئيس العظيم هاشم الاتاسي الذي كان زند سورية ودماعها في الوقت العصيب فخاض معارك الاستقلال من ألفها الي يائها ، قائدا محنكا ، ورئيسا وفيا أيما .



فقيه سورية والعروبة المغفور له هاشم الاتاسي الذي قاد أمته في
سورية زعيما وطنيا في عهد الانتداب ورئيسا على جمهوريتها مرتين وعرف
بنزاهة ضميره وشرف مبادئه وجراته .



الصف الاوسط
وليم كاتسفلينس (الخازن)
جبران خليل جبران (العميد)
مخايل نعيمة (المستشار)
الصف الاخير
عبد المسيح حداد
ايليا ابو ماضي

الرابطة القلمية

عمال الرابطة القلمية
الصف الاول من اليمين الى الشمال
باس عطا الله
رشيد ايوب
نوره حداد
ديع باحوط
سبب عريضة



ظهر هذا الرسم لعمال الرابطة القلمية في عدد السائح الممتاز لعام ١٩٢١ وهم عشرة كتاب وشعراء لم يبق منهم في الحياة الا عبد المسيح حداد واضع هذا الكتاب في نيويورك وميخائيل نعيمة في بسكنتا لبنان . . وقد جاء في ذلك العدد الممتاز السنوي تحت الرسم مقال الجريدة عامنذا عن الرابطة القلمية ننقل بعضه المختص بتعريف اهدافها وهو ما يلي :

ما هي الرابطة القلمية ؟

لا هي مجمع علمي ، ولا هي نقابة صحافية ، ولا هي حلقة لغوية •
ان هي الاميل يربط ميولا متقاربة ، وذوق يجمع بين أذواق متألقة ،
وروح تضم أرواحا وجدت بينها صلة في ما تنزع اليه من حيث الادب
ومنزلة الادب والاديب في الحياة • وما تنزع اليه الرابطة القلمية هو
جعل الادب العربي معرضا للفكر الحي ، وللقب الحساس ، وللقريحة
الحرّة لا معرضا للسفسطة المزركشة ، والثرثرة الرنانة ، والهذيان
اللغوي •

فان لم يكن الادب منبها لافكار ، ومثيرا للعواطف ، ومغذيا للارواح
فما النفع من التحبير والتبشير ؟ ويعلم الله أن على رفوف المكاتب قناطير
مقنطرة من الاوراق التي سودتها أيد لو كتبت بالمحراث بدلا من القلم
لكان من كتابتها بعض نفع للبشر •

وكيف تتوخى الرابطة القلمية أن تجعل الادب ميدانا للفكر الحي ،
وللقب الحساس ، وللقريحة الحرّة ؟

ان القائمين بهذه الحركة ليسوا ليخدعوا أنفسهم بأن ما يطلبونه سهل المنال ولا هم يضعون لذواتهم محجة معلومة متى أدركوها قالوا - لقد بلغنا منا فلنقف ! فلا محجتهم تدرك في عام أو جيل ولا هم يدعون أنهم قد وجدوا اليها سواء السبيل ، وجل ما هنالك أنهم يرمون الى تحرير الادب العربي من ربة التقليد العربي • وفي ذلك يطلبون مساعدة كل من يفهم ويجل الادب الحقيقي •

نعم • ان المقلدين سيكونون معنا في كل حين فما قام في العالم مبتكر الا وتبعه ألف مقلد لكن حقلنا ينبت مع الحنطة زوانا لخير من حقل لا ينبت الا زوانا وشوكا • فاذا ما نبت في حقلنا الادبي مع المبتكرين مقلدون فلا بأس بشرط ألا ندع المقلدين يخنقون المبتكرين • وأن نميز بين الاولين والآخرين فنسح أولئك ونشجع هؤلاء قدر استطاعتنا • وهذا ما تطمح اليه « الرابطة » •

قد يشتم البعض مما سبق أن « الرابطة القلمية » قد أقامت من نفسها حارسا لحقل آدابنا ينقيه من شوكة وزوانه • وفي الواقع أن عمالها أبعد الناس عن ادعاء العصمة في ما يفعلون ويقولون ويرغبون • فقد يكون بعض ما يكتبونه ، أو كل ما يكتبونه من سقط المتاع وقد يكون بعضهم ، أو كلهم مقلدا في نظمه أو ثره • لكن ذلك لا يحط من قيمة غايتهم ولا يقلل حرفا من اعتقادهم بأن درهم ابتكار خير من رطل تقليد ولا هم يعرضون منظوماتهم ومنتوراتهم انموذجا للغير • فرب شاعر عربي يتمخض به اليوم ان في منحدرات لبنان ، أو في سهول الشام ، أو في فيافي الجزيرة ، أو على ضفاف النيل يجعل عمال « الرابطة القلمية » غدا يحمرون خجلا مما ينثرون وما ينظمون • وعمال الرابطة سيكونون في طليعة المهللين لمثل هذا الشاعر والهازجين لبنات قلبه ولبه • بل رب كاتب (أو كاتبة) يتنفس اليوم هواء سورية أو مصر أو البلاد العربية

قادر ان يلقي على عمال « الرابطة القلمية » دروسا عديدة في الادب
ومكانة الادب في الحياة • فمثل هذا الكاتب تمد « الرابطة » يدها
لتسير واياه جنبا الى جنب ، بل لتسير وراه ان كان أهلا للقيادة •

الرابطة القلمية تقمصت روحها في الافطار العربية

تألفت الرابطة القلمية في نيويورك سنة ١٩٢٠ ، ألفها عشرة ادباء عرب
تألفت أرواحهم وتوحدت أهدافهم الادبية • وقد عمّرت عشر سنوات
ونيفا ثم بدأ الموت يأخذ العشرة واحدا بعد واحد فابتدأ بجبران خليل
جبران عميدها وانتهى بايليا أبو ماضي ولم يبق من رسلها الا أنا في
نيويورك ومخائيل نعيمة في بسكنتا •

عندما صممت على زيارة الوطن ضيفا على الحكومة لم يكن يخطر
ببالي الا أن أشاهد وطني الاول قد تغيرت حياته أكثر من خمسين شكلا
كما أخبرنا وزير خارجية سورية عندما زار نيويورك
في سنة ١٩٥٧ اذ سألتني في مجلس ضمني واياه : كم سنة
لك في الغربية ؟ فأجبته « خمسون سنة » ثم زاد عليّ بسؤال آخر : « وكم
مرة زرت وطنك سورية ؟ » فكان جوابي : « ولا مرة » عندئذ نهض
نصف نهضة عن كرسيه وقال بحدّة : « ألا قم وزره الآن لتراه قد تغير
خمسین شكلا » •

عند هذا ابتسمت للوزير الكريم وقلت له : أتراه حقيقة قد تغير
خمسین مرة ؟ •

قال : نعم وأكثر من خمسین •

قلت : اذن فشكلكه الذي تركته عليه لم يعد موجودا ؟ •

قال : نعم لم يعد موجودا •

قلت : اذن لماذا أقصد وطني وقد أمحى عنه ذلك الشكل الذي اشتاق

الى مشاهدته ! •

فضحك الوزير من جوابي ولكنه ما انفك تلك السهرة يغريني بشتي
ضروب ذكائه بأن عليّ أن أزور سورية لارى تقدمها في جميع نواحي
عمرانها •

واني لاذكر أن تشويق الوزير حينذاك بقي عاملا في نفسي ثلاث
سنوات حتى استطعت التقاعد عن العمل وصرت الى حال أستطيع فيه
التغيب عن نيويورك في رحلة أرى فيها سورية الجديدة ناهضة نهضة
الاسد لتأخذ قسطها من الغذاء المدني والادبي والاجتماعي العمراني •

ولقد رأيتها - سورية الجديدة - كما وصفها لي الوزير الكريم •
رأيتها على غير ما عرفتها • رأيتها تنبض بحياة تقدم ونشاط لا في مظاهر
البلد فحسب بل حتى في نشاط أقوامها وتوافر نهضاتهم الوطنية والادبية
والعلمية للحاق بأعرق الامم في المدنية والعمران المستمر •

وان عجب مما شاهدته فيها كله بأقوى من عجبي مما لمست في ناسها
من ميلهم الى « الرابطة القلمية » فكأنها لم تمت في نيويورك لتتمصص
في سوريا وفي الاقطار العربية الاخرى •

أجل لقد وجدت الرابطة القلمية هنالك على حياة دائبة عاملة بروحها
وآثار أعمالها بعد أن وقفت بوفاة جميع عمالها الا أنا أصغرهم الباقي في
نيويورك والا رفيق الصبا والشباب الاستاذ ميخائيل نعيمة في بسكنتا
لبنان فما أقبل عليّ مراسل صحفي من جميع أطراف البلاد ليكتب الى
صحيفته حديثا جرى بيني وبينه الا ليسألني عن الرابطة القلمية وليعي
مني وصفني لافراد عمالها ومذاهب حركتها الادبية العربية في المعترب
الاميركي الشمالي •

وكيف لي أن أحسب انتقال الرابطة أو روحها الى ربوع الوطن العربي
وأنا لا أزال اذكر نقمة أنصار التقليد والجمود عليها في معظم العالم
العربي منذ ان انتشر اسمها من نيويورك ؟

عن هذا أقل هنا من المرحلة الثانية لكتاب « سبعون » لميخائيل نعيمة ما يلي :

« وهكذا انتشر اسم « الرابطة » في العالم العربي وكل مهاجره . وأقبلت الصحف على آثار عمالها تنقلها وتعلق عليها . وقام البعض بجمعها في مجموعات منها ما يدرس اليوم في كثير من المدارس . وقم أنصار التقليد والجحود عليها . فما كانت تقمتهم الا لتزيدها قوة وحماسة واندفاعا ولتنمي عدد انصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي . حتى حار في أمرها أصحابها واعدائها على السواء . فما بقوا يعرفون الى ماذا يعزون سر قوتها وبعد تأثيرها .

فمن قائل أن السر في الادب الاميركي الذي تأثر به عمال الرابطة ، وهو قول فارغ . ومن قائل أن جو الحرية الاميركية ، وهو قول أفرغ . ومن قائل أنه في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة واصولها ، وهو قول أفرغ وأعقم من القولين الاولين . أما الحقيقة فلا يعلمها الا الذي جمع عمال الرابطة القلمية في فسحة محدودة من ديار غربتهم ، ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ، ووضع في صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء ، ولكنها من موقد واحد واياها » .

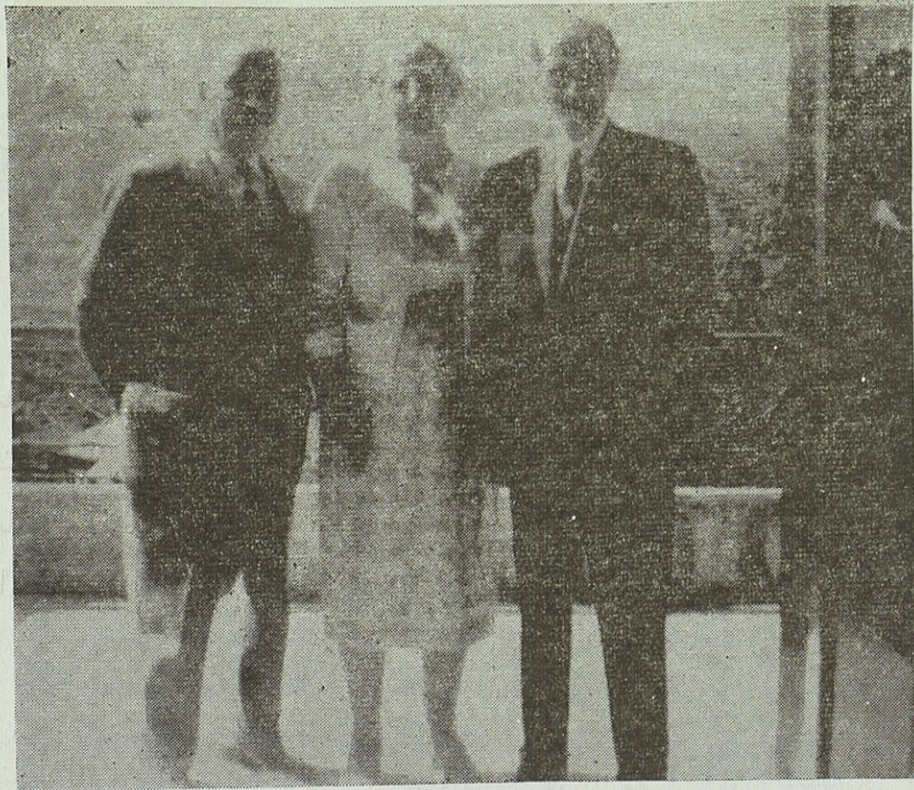
اجتماع غريب للرابطة

اسبوعا كاملا في بسكنتا لبنان

في منتصف آب ١٩٦٠ سارت بنا السيارة من حمص الى بيروت قبل اسبوع لقدم عائلة ابنتي ليلي قرينة فريدريك عبد النور فوصلنا الى العاصمة اللبنانية في أول الليل وبعد نزولنا في أحد فنادقها خاطب بالتلفون رفيق الروح وحبيب القلب ميخائيل نعيمة في بسكنتا واجتمع كلانا مع مغتربه بالحديث بعد فرقة ثلاثين سنة وكادت روحانا تشبان من داخل كل منا وسمعته يقول :

« انت الآن في بيروت ، وبيروت محرقة وأنا لا أريدك أن تحترق
مع رفيقة حياتك بقيظ بيروت ولكن الليل قد اسدل ستره المظلم ، فأبق
عندك حتى الصباح وفيه سأثقلكما معي الى بسكتنا الجاثمة عند جبل
صنين فنجتمع بالاجسام تبردها نسمات صنين العليلة » ♦

وفي اليوم التالي وصل ميخائيل والدموع في عينيه ومثلها
في عيني فتعاقنا طويلا ثم جلسنا تنتظر وفود فيليب كاتسفليس مدير
دار النقابة الصحافية في لبنان وريمون وهبة الملحق في السفارة الفرنسية
وبعد الغداء في الفندق سارت بنا سيارة ميخائيل الى مهد صباه وأحلامه
الادبية - الى بسكتنا ♦ وهناك أقمنا اسبوعا في منزله الوداع المطل على
صنين وهضباته وتماثيله الصخرية الرائعة ♦



أخذ هذا الرسم في رواق منزل ميخائيل نعيمة في بسكتنا وهو ظاهر
في اليمين يليه قرينة المؤلف فالمؤلف ♦



أخذ هذا الرسم في حديقة منزل آل نعيمة والظاهر من فيه من اليمين :
السيدة زكية قرينة نجيب شقيق ميخائيل فنجلهما الذكي الفؤاد الاستاذ
نديم فالمؤلف فقريته فالآنسة مي نجيب نعيمة فالاستاذ ميخائيل .

كان ذلك الاسبوع غريبا فيما خلقه من بعث جديد لروح الرابطة
القلمية فقد اجتمع في المنزل النعيمي بقيتها أنا وهو ومعنا كانت تحضر
اجتماع كل يوم وكل ساعة ارواح أحبائنا العباقره الذين غادرونا الى
العالم الثاني وعن ذلك حدثني ميخائيل في رسالة بعث بها الى حمص بعد
زيارتنا يقول فيها :

« ... الا انني قانع من زيارتك بالايام القليلة التي أمضيها معا
في بسكنتنا . فقد عشنا في خلالها نصف قرن من حياتنا مرة ثانية ، وعاشه
معنا اولئك الذين اجتازوا الحدود من احبائنا ورفاقنا . فالسلام عليهم
حيث هم . والشكر للقدرة التي يسّرت لي ولك الاجتماع بهم تحت
سقف بيتي » .

وحقيقة اني لم أودع منزل ميخائيل وأهل المنزل الاعزاء الا لتبدأ
 العاطفة التي جاءت في كتابه تلازم نفسي فتقرها عيني وتتواثب اليها
 روحي • فهالك اجتمعنا بهم أياما - نعم هم احباؤنا جبران وندرة ونسيب
 ووليم وايليا ورشيد والاحوط وعطا الله وكلما خلونا أنا وميخائيل
 كان يسهل هبوطهم الى مجتمعنا فأساله ويسألني عن دموع جبران
 وعواطفه وأهدافه وعن نكات رشيد وأقداحه معنا وعن ترصن نسيب
 وسكوته حتى نلزمه أن ينتضي من جيبه قصيدة نظمها جديدا وعن



أخذ هذا الرسم عند سفح جبل منين ونحن جلوس على حائط الرواق
 قبالة بيت مزرعة آل نعيمة المعروفة بالشخروب وهي كانت ولا تزال مهبط
 وحي النابغة ميخائيل والظاهرون فيه من اليمين : السيد نجيب نعيمة
 فحفيظة حداد فميخائيل نعيمة فعبد المسيح حداد وقد جلست أرضا
 الانسة مي امام عمها تمسك بيديه .

حديث ولهم بلسانه ويديه وابتساماته وعن الباحوط وتقدراته الفكهة وعن
عطا الله وذكائه ونشاط أدبه وعن ايليا ونظراته ونظاراته وقصائده ذات
النفحات الطيبة وعن ندرة وهدوئه وتلمع عينيه بالدموع لاجتماعنا جميعا
عائلة ادبية واحدة .

والآن فيما أذكر هذه الانطباعات الادبية التي عدت بها من رحلتي
ولن تفارقني مادمت حيا اثبت بعض الاحاديث التي استطعت جمعها والتي
نقلها عني مراسلو صحف واذاعات بيروتية ودمشقية وحلبية ومصرية
وكلها يلف حول النهضة الادبية ومحركاتها التي قامت بها الرابطة
القلمية تحت سماء نيويورك والتي لم يخبُ نور حياتها بوفاة معظم
عمالها الا ليضيء نهجه تحت سماء كل قطر عربي وفي نفس كل أديب
تفتحت هباته العلوية على آفاق الرابطة .

واذكر هنا أنه عندما كنت في بيروت طلبت للتلفون فاذا بالداعي
الاستاذ محمد الاشقر مدير الاذاعة اللبنانية يطلب مني حديثا معه ليذاع
بعد يومين على تموجات الاثير ولما حاولت التملص من ذلك بداعي
أني وقرينتي مدعوان عند الساعة السادسة الى عالية مصيف الاستاذ
خليل رامز سر كيس وقرينته نسيبة قرينتي وكان الوقت قد قرب من
الساعة الرابعة اجابني بأنه بعد دقائق سيكون في قاعة فندق نور مندي
فيحملني بسيارته الى دار الاذاعة فيطرح عليّ سؤالات حضرها لا تأخذ
من الوقت أكثر من نصف ساعة مع جوابي عليها . عندئذ قلت له :
« يا سيدي الاستاذ الفاضل أنا ضيف على دمشق والقاهرة وما وجودي
في لبنان الا لانشق هواءه العليل وأحظى بمشاهدة ادبائه الاعزاء ولهذا
اشترط عليك أن لا يكون بين سؤالاتك ما له علاقة بالسياسة .
فأسرع وجاوبني بقوله : « كلا كلا أنا لن أسألك الا عن الرابطة
القلمية وتاريخها ومبادئها وعمالها الذين شقوا للادب العربي الحديث

طريقاً تسير أقدام الأدباء في الاقطار العربية فيه واطلعوا لهذا الطريق
ضوءاً يهتدي الأدباء بنوره » ♦

فأجبتة عندئذ : أهلاً وسهلاً بك واني لسعيد بمخاطبتك اياي بهذه
اللهفة الادبية وسأسعد أكثر بمشاهدتك والتعرف اليك شخصياً فيما
أنا حفظت لك في قلبي منزلة سامية مما عرفته عنك وسمعتة من أصحابي
عن سمو أدبك وأخلاقك ♦

من الاصدقاء الاوفياء بعهد المحبة والمودة وبعهد الادب العربي الذين
لم اجتمع بهم في لبنان ، الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح فقد
علمت في بيروت أنه ألقى عصا ترحاله في باريس على الرغم من عروبتة
الثابتة في نفسه ، واهتمامه على الدوام بقضايا الفكر والادب العربيين ♦
وهو الكاتب اللبق الذي نثره شعر وشعره نثر ترغب فيهما نفوس
القارئين لما يستجلونه من عطف قلبه على كل ما يسمو بأدب عروبتة
وهذا ما يستجلى في كتابه « مغترب » فيقف عنده مطالعه على سفر
جليل للنهضات المغتربية وشغف رجالها بلغة ووطنهم الاول ودلفهم لوضع
حد لقيام ادبها على أساس النقل عن القديم والجري على أساليب القدامى
الذين مثلوا ادوارهم مبقين آثارهم لا للنسج عن مناولها بل للاشارة
الى تاريخ عهودهم وما استوعبته من تفاعيل نفسية خاصة بالمحيطات
وأزمانها ♦

ولقد أعجبنى من الاستاذ صيدح وصفه لحركة البعث والتجديد
التي انطلقت من المغتربين الاميركيين الشمالي والجنوبي اذ قال :

« ثم يزل الادب المهجري حياً يرزق بآثاره لا برجاله ، وبمدرسته
الادبية الجديدة التي تفرعت في الاقطار العربية ♦ أما حركته المندفعة
فتتفاوت فاعليتها بين قطر وقطر ♦ وبوجه عام فقدت طلاوة الجودة
والتماعة المفاجأة ، ولكنها احتفظت بقوة التأثير والتوجيه » ♦



رسم الشاعر الشهير الاستاذ جورج صيدح الذي جعل في أخريات
السنين مقامه مع عائلته في باريس العاصمة الفرنسية وهو من أوفى الابداء
بعهد لغته وامته العربيتين وبعهد اخوانه ادباء العصر وشعرائه .

وشاعرنا الكبير جورج صيدح يقول عن الرابطة القلمية في حديث
جرى بينه وبين فرنسيس نور (نقلا عن نشرة اضواء التي تصدر في
باريس) ما يلي :

« الرابطة القلمية في نيويورك عنوان النهضة • تأسست عام ١٩٢٠ •
وفي ١٩٣١ فجعت بوفاة عميدها جبران خليل جبران • وبعد أعوام مات
أركانها : رشيد أيوب وندرة حداد ونسيب عريضة ووليم كاتسفلينس
وايليا ابو ماضي • وعاد أمين الريحاني وميخائيل نعيمة الى لبنان •
وحجب عبد المسيح حداد - آخر أعضائها - جريدتها السائح » •
وما يلي مختارات من أحاديث رجال الصحف معي مما اجتمع لديّ
وهو قليل جدا من كثير لم يتيسر لي الحصول عليه :
جاء في مجلة « المصور » المصرية بتاريخ ٥ آب ١٩٦٠ لمراسلها
في دمشق :

« حداد » شاعر المهجر يعود الى « الوطن الام »

احد عمالقة الادب العربي في المهجر : عاد الآن الى وطنه الام زائرا!

بعد ٥٣ عاما قضاهما معتربا مدافعا عن قضايا امته ووطنه • انه واحد من الاعلام الذين ألفوا جمعية الرابطة القلمية • ثم قضى معظم أفرادها : جبران خليل جبران ، رشيد أيوب ، ندره حداد ، نسيب عريضة ، وايليا أبو ماضي • وبقي على قيد الحياة منهم : ميخائيل نعيمة الذي عاد الى وطنه - بسكنتا - بلبنان ، وعبد المسيح حداد الذي عاد الينا اليوم •••

ان عبد المسيح حداد ، ضيف دمشق في السبعين من عمره •• غادر مدينة حمص في (سورية) منذ ٣٥ عاما هربا من الجور والطغيان ، وأقام في نيويورك حيث التقى باخوانه الادباء العرب هناك ، وألفوا جمعية الرابطة القلمية ، وأصدر جريدة اسبوعية باسم « السائح » ما لبثت ان اقلبت الى يومية ، عاشت خمسين عاما ثم توقفت في العام الماضي •

الكواكب على الارض !

وفي ركن من أركان فندق سميراميس الهادئة في دمشق سألت عبد المسيح حداد :

ماذا كان شعورك عندما صافحت عيناك أرض الوطن ؟

والتمعت الدموع في عيني الشاعر الكاتب وقال :

— انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى جيبه !
ثم سألته عن قصة جمعية الرابطة القلمية كيف تألفت ، وما هي ثمراتها ، وكيف كانت نهايتها ؟

فتأوه المعترب الذي اطمأن في ارض الوطن وأجاب :

— أنشأ الرابطة أدباء المهجر الشمالي ، فجمعت نخبة من أنصار التجديد في الادب العربي والتجويد لادب العصر منزها عن التقليد وموسعا افق الخيال والتفكير لذوي المواهب العلوية الفنية ، ولقد

ازدهرت وأينعت أثمارها حتى دنت نهايتها بوفاة أعضائها جميعا الا انا في
نيويورك وميخائيل نعيمة في بسكنتا لبنان •

وما أطرف حادث مر بكم في المهجر ؟

وتلفت الرجل حوله كمن يستعيد ذكريات سعيدة وقال :

— اطرف حادث هو اصداري جريدة « السائح » وأنا في الثانية
والعشرين من عمري • وكان رأس مالي نشاط من لا مال لديه وتجاوبا
مع نفسي التي حفزني للاقدام على هذه المغامرة التي أصبحت بعد أول
عدد من الجريدة معركة متسلسلة متواصلة في ميدان الادب العصري
والوطنية الحرة •

وكيف توقفت جريدة « السائح » اذن ؟ • وزفر الشاعر زفرة
حرة وقال :

— اني أبصرت بدء النهاية لصحافتنا العربية في المهجر ، وأحسست
بأن العجز قد قارب أن يثقلني بأعباء تؤثر على صحتي ، فرغبت في فرصة
الاستراحة ما بقى لي من عمر •

شعراء جمدوا حياتهم

واتقل الحديث الى الادب والشعر • فسألته :

• ما هو بيت الغزل في الشعر العربي ؟ •

وضحك الشاعر وهو يقول :

— بيت الشعر الغزلي في الشعر العربي مسحة طيبة فنية ، وقد كانت
هذه المسحة من أجود ما تفيض به قرائح الشعراء القدامى من المعاني
المعبرة عن نفس مشتعلة بالحجب • ومن التشايبه التي يرسمها الخيال
بريشة العبقرية • الا ان الشعراء العرب بعدهم جهلوا واستجهلوا هباتهم ،
فجمد خيالهم وجروا على استعارة الاساليب القديمة معانيها وتشايبهها ،
وهذا ما أضرّ بمواهبهم وجعلهم مقلدين فحسب •

وما هي الحكمة التي ترددها ؟

– الحكمة التي أرددها أن يظن المرء وخاصة العربي الى قول الامام :

وتحسب أنك شيء زهيد

وفيك انطوى العالم الاكبر

ومن هو شاعر العرب اليوم ؟

ويرنو الرجل عبر النافذة الى مجرى نهر بردى ، والى ميدان دمشق الكبير ، ويقول باتتاد :

– في الامة شعراء كثيرون • وأشعرهم من يستنطق قلبه وخياله •
وقد يكون الاخطل الصغير من أبلغ الشعراء العرب في هذا العصر •

وما هي أمنيته في الحياة ؟

وأجاب الرجل بصوت خفيف ، فيه تعبير عن خمسين عاما قضاهها بعيدا عن موقع صباه ويقول :

– أمنيته في الحياة أن أموت وأولادي يكون عليّ وأن أرى أمتي تنشط من ولادتها الثانية لترقى الى مصاف الامم السعيدة القوية المحبة لحياة السلام والتعاون •

ولماذا تعودون الى المهجر ؟

وتلتع الدموع في عينيه من جديد ويقول :

– سأعود الى المهجر لانه لم يعد لي مهجرا بل أصبح لي مقاما ، فيه عائلتي الادبية وعائلتي الحيوية •

واختتم أسئلتي قائلا :

ماهي انطباعاتكم عن الوطن الام بعد الغياب الطويل ؟•

فيمتلىء الشيخ ابن السبعين حيوية ويقول :

– لن تفارقني هذه الانطباعات مادمت حيا انها انطباعات ابن

لهذا الوطن • وقد رأيته على ساقه وقدمه يسعى لرقبه سياسيا
وصناعيا وأديبا واجتماعيا • وقد سرنى ما رأته على كثير من التقدير
والاعجاب •



عن مجلة الجندي الدمشقية في ٥ تموز ١٩٦٠

في ربوع الوطن الام

بعد ٥٣ سنة من الفراق

الاديب المهجري عبد المسيح حداد يتحدث « للجندي »
« اذا تصورت مقدار حنينك الى بيتك بعد غياب اسبوع واحد عنه،
فبامكانك ان تقدر عظم الحنين الى أرض الوطن بعد غياب ثلاثة وخمسين
عاما عنها » • بهذا أجابني الاديب الصحفي المهجري الكبير عبد المسيح
حداد على سؤالي الذي طرحته عليه حول الحنين الذي كان يشعر به
تجاه الوطن وهو في المهجر ، وذلك أثناء اجتماعي به في بهو فندق
سميراميس حيث ينزل ضيفا على وطنه ، بدعوة من وزارة الثقافة
والارشاد القومي •

جندي القومية العربية

والاستاذ عبد المسيح حداد من الرواد بين أدباء المهجر ، كافح في
سبيل القضية العربية كفاحا بطوليا صامدا ، وله مواقف عدائية صريحة
مشهودة ضد الصهيونية في نيويورك حيث يقيم ، وهو أحد أفراد الرابطة
الشهيرة التي تألفت في المهجر باسم (الرابطة القلمية) وصاحب جريدة
(السائح) التي أصدرها في المهجر في نيسان عام ١٩١٢ وتوقفت عن
الصدور في ٧ أيار (مايو) من عام ١٩٥٧ ، وقد ظلت طوال هذه السنين
الخمس والاربعين منبرا حرا للفكر العربي وحربا شعواء على الاستعمار
والصهيونية وأعداء القومية العربية •

دولة عظيمة تصنع تاريخا ...

وسألته عن برنامج رحلته فقال : أولا أشكر وزارة الثقافة والارشاد القومي على هذه الدعوة التي أتاحت لي تحقيق أمنية عالية طالما تمنيتها وهي أن أكحل عيني بنظر ارض الوطن قبل أن أموت ، فقد خرجت من بلدتي حمص فتى في السادسة عشرة من عمري ، واليوم أعود الى أرض الوطن وأنا في حدود السبعين . . . وطوال هذه السنين كان الحنين يلح بي الى ارض الوطن ، وأشعر بسعادة عظيمة وأنا أسمع الأخبار تترى عن الوطن الام ، تروي حكايات انتصاراته الباهرة في الميادين الداخلية والخارجية مع العلم أن أكثر هذه الاخبار يصلنا مشوها بما تزرق فيه المنظمات الصهيونية من سموم فنضطر لتحري الحقيقة من عدة مصادر .

وأشكر الله على أنني وجدت الوطن وقد أصبح دولة عظيمة تصنع تاريخا ماجدا ، ولهذا سيكون برنامج رحلتي زيارة كل المحافظات السورية ثم زيارة لبنان ومصر .

الشعب الاميركي والقضية العربية

وسألته : ما مدى تفهم سواد الشعب في أميركا لعدالة القضايا العربية ؟

فأجاب واليأس في كلماته : من المؤسف أن الشعب الاميركي يجهل حقيقة القضايا العربية والسبب في هذا يعود - كما نعرف - الى الدعايات الصهيونية التي أقنعت الشعب الاميركي بالامور التالية :

١ - ان فلسطين وطن قومي لليهود ، والعرب هم الذين يتعدون على حقوق اليهود فيه .

٢ - الهدنة بين العرب واليهود ما هي الا خرافة وما وافق العرب على الهدنة الا تمهيدا للصلح مع اسرائيل .

٣ - هناك لاجئون يهود شردهم العرب وهم بحاجة الى مساعدات
مادية ..

والصهيونية بعد هذا تصرف في أميركا مبالغ هائلة في سبيل تدعيم
مركز اليهود باسرائيل ، وتستقدم اناسا يدعون أنهم عرب وتجعلهم
يعترفون أمام التلفزيون الاميركي بحق اليهود في فلسطين لقاء مبلغ
يتراوح بين ٨٠٠٠ و ٦٤٠٠٠ ريال . ويقوم بهذه المهمة شخص يهودي
اسمه هول مارش ..

وباختصار أقول أن الصهيونية تتحكم في مقدرات ومصائر كثير من
الدوائر والمرافق والمؤسسات الاميركية الكبرى ، وهذا يشكل على
قضايانا العربية خطرا جسيما ..

نحن مقصرون

وسألته : وبماذا نستطيع أن نحارب الصهيونيين ونرد كيدهم الى
نحورهم ؟ ..

فأجاب : ان كل طرق الدعاية المضادة للصهيونية لم تجد حتى الآن ،
ذلك ان هذه الطرق لا تعدو توزيع بعض النشرات ، بينما الصهيونية
استطاعت أن تتغلغل حتى أعماق المجتمع الاميركي بالصحافة والاذاعة
والتلفزيون والاموال ..

والمطلوب منا - نحن العرب - ان نعترف بالحقيقة وبأننا مقصرون
وان نضاعف جهودنا في سبيل افهام الشعب الاميركي عدالة كل قضية
عربية .. لا سيما وان الولايات المتحدة في المدة الاخيرة بدأت تنظر الى
اليهود غير نظرتها السابقة المادية باطلاق .. بعد ان استمعنا الى تصريحات
أمثال فولبرايت ، الذي استهجن أعمال اليهود في أميركا ..

ونحن المغتربون لم تقصر - يشهد الله في القيام بواجبنا ، ولكن
ماذا يفعل عددنا الذي لا يتجاوز النصف مليوناً تجاه خمسة ملايين يهودي

يسكنون أميركا؟

واضاف يقول : اننا نستطيع أن نحقق انتصارات في أرض الامريكيين نفسها •• وحكاية الانتصار الذي حققناه بسبب قضية السفينة العربية كيليو باطرة جعلت الامريكيين يعدون الى العشرة عدة مرات قبل أن يوافقوا أي يهودي على اقتراح له مهما كان تافها •

الرابطة القلمية

وحدثني عن الرابطة القلمية فقال : ان عمر الهجرة الى أمريكا ثمانون عاما ومنذ بدأت ظهر هناك الادب الذي أسموه مهجريا •• وقبل أربعين عاما ظهرت في نيويورك نخبة من المفكرين والادباء العرب ، فأنشأنا رابطة تضمهم باسم « الرابطة القلمية » كان عميدها المرحوم جبران خليل جبران ومن أعضائها : ميخائيل نعيمة ، وأمين الريحاني ، ووليم كاتفليس ، وندرة حداد ، ورشيد أيوب ، ونسيب عريضة ، وإيليا ابو ماضي ، ووديع باحوط ، والياس عطا الله ، وعبد المسيح حداد • وكان هدفنا من انشائها العمل على ازدهار الادب العربي واطلاق الشرارة الاولى في أرض المهجر ، وقد حلت الرابطة بموت اعضائها ولم يبق سواي من المقيمين بأمريكا ، وميخائيل نعيمة الذي يقيم بلبنان •

الجيوش السبعة

وتكلم عن فلسطين فقال : ان نكبة فلسطين جرح في قلوبنا لن يندمل حتى يعود النازحون الى ديارهم ويعودوا يعيشون حياة حرة كريسة مستقلة ••

وقد كانوا يقولون لي في المهجر : كيف خسرتم فلسطين وأتم سبع دول عربية؟ ••

فأقول لهم ما رددته الكثيرون من المفكرين العرب الذين درسوا قضية فلسطين دراسة عميقة دلت على مدى تخاذلنا في معركة فلسطين

وهو : ان العرب خسروا الجولة الاولى من معركة فلسطين لانهم كانوا
سبع دول ..

حديث الشعر

وانتقلنا من جديد الى حديث الادب والشعر ، فقال : انا لا أحب شعر
المناسبات لانه لا يصدر في كثير من الاحيان عن دفق تلقائي .. ولذلك
أنا لا أستسيغ شعر شوقي الذي قاله في المناسبات قلت : ولكن المناسبة
أمر طبيعي في حياتنا ! ..

فأجاب : هذا صحيح ، ولكن يجب أن لا يتطرق الاديب في تكييفه ،
أصول أدبه وهذه المناسبات مما يقتل ملكة الابداع لديه ، ونجد أن
خليل مطران كان لا يهتم كثيرا بالمناسبات فجاء شعره روائع خالدة .

الكتب العربية

وسألته : هل تصلكم الكتب العربية ؟

— لا يصلنا منها القليل وقد وصلنا مؤخرا كتاب للدكتور طه حسين ،
وكتاب (هذا .. أو الطوفان) لخالد محمد خالد ، وكانت هذه الكتب
من طبع اسرائيل .

وما هي كتبكم المطبوعة ؟

— لي كتاب مطبوع اسمه (حكايات المهجر) ولدي اربعون مجموعة
من (السائح) يمكن للانسان أن يخرج منها بمجموعة من الكتب
الحياتية والقومية .

المرأة العربية

وسألته عقيلة الاستاذ حداد عما اذا كانت في رحلتها هذه قد خالطت

النساء العربيات ..

فأجابت : نعم لقد قابلت الكثير منهن ، والواقع أنا معجبة أشد
الاعجاب بحماسة المرأة وثورتها على بعض العادات البالية وخروجها

الى الحياة العامة والمجتمع تساهم مع زوجها في بناء صرح الوطن .

– وهل تطبخون هناك الطبخ العربي ؟

– طبعا وأكلتنا المفضلة في المهجر هي الكبة . .

– وكيف كان شعورك عندما وصلت أرض الوطن ؟

– أظن أن زوجي عبر عن شعوره وأنا عشت معه نفس هذا

الشعور . .

جندي . . صامت

وعدت الى الاستاذ حداد أثير أمامه سؤالاً جديداً : نعلم ويشهد الله أنك وقفت – ولا سيما على صفحات جريدتك – موقفاً مشرفاً دافعت به عن القضية العربية ضد الصهيونية . فهل أعطت هذه الحملات نتائج مرضية ؟ . .

– بالطبع . . فقد استطعت أن أدخل في روع كثيرين من السكان في الولايات المتحدة أن الصهيونية تسمم أفكارهم . . وأن حقيقة القضية العربية لها أصول رسمية وإنسانية تؤكد عدالتها . .

ولست الوحيد الذي عمل في سبيل قومه ، فهناك كثيرون من أبناء المهجر العرب وقفوا في وجه الصهيونية موقفاً بطولياً ، ونحن إذ نفعل هذا نقوم بواجبنا لا نبغي من وراءه جزاء ولا شكوراً ، وكل ما تتمناه أن تتوحد كلمة العرب وقوتهم ، فنحن أمة قمينه بأن تستعيد كل أراضيها وأمجادها السالفة إذا عرفت كيف تجمع شمل أبنائها تحت راية عربية واحدة . . ان هذا الامر سيؤدي – حتماً – لقذف اليهود الى البحر .



وجاء في عدد ١٤ تموز ١٩٦٠ من جريدة « الايام » الدمشقية :

مشعل الفكر

عبد المسيح حداد يقول رأيه في الأدباء والشعر المنشور والحر !
الشاعر الذي أفضله هو الذي يعتصر قارئه من شعره . . . !

عبد المسيح حداد . . . المغترب الكريم ، وصاحب جريدة السائح
المعروفة في المهجر والوطن العربي كان في زيارتنا ، انه قريب الصلة بأدب
المهجر ، وهو أديب وصحفي وكاتب له في شهرته وتفردته ما يحملنا على
احترام آرائه .

وقد حملنا اليه خمسة أسئلة نشرها مع أجوبة الاستاذ حداد
فيما يلي :

س ١ : ما هي ابرز الحوادث والقصص الادبية التي صادفتها في
حياتك و قمت بمعالجتها ؟

س ٢ : في المهجر عدد كبير من الادباء ذاع فكرهم وشعرهم في
جميع أنحاء العالم فما هي الاسس التي يرتكز عليها الادب في
المهجر ؟

س ٣ : ما رأيك في ميخائيل نعيمة وهل تفضله على جبران خليل
جبران وما هي الميزات الادبية لكل منهما ؟

س ٤ : ما هو الشاعر المفضل لديك ؟

س ٥ : وما رأيك في الشعر المنشور والشعر الحر ؟

ج ١ : أبرز الحوادث والقصص الادبية التي قمت بمعالجتها هي
التي ارتسمت أمام مخيلتي من شؤون الحياة المهاجرة وعند ذلك رأيتني
مستعرضا رسوما شتى من مسالك المغتربين على تعدد الفوارق بين
معارفهم ومفاهيمهم وأوضاعهم الخاصة وعلى تعدد واختلاف طرق
معاشراتهم وتقاليدهم وهذا ما حملني على الابتداء بوضع أقاصيص عن
حياتهم وقد جمعتها في كتاب - حكايات المهجر - وعندني منها بعد ذلك

الكتاب ما يمكن جمعه بكتاب آخر أو أكثر من كتاب واحد وسوف
انصرف لهذا الجمع بعد عودتي الى مكتبي في نيويورك وقد أتمكن في
بيروت أو غيرها من الاتفاق على الطبع فعندنا في نيويورك صعوبات
كثيرة تحول دون طبع الكتب .

ج ٢ - أرى ان الاسس التي يرتكز عليها الادب في المهجر هي
التحرر أولا من أغلال النسج على مناويل القدامى ثم العمد الى التفكير
والدرس في الموضوعات التي تتراءى لكل أديب ليأتي تفكيره ودرسه
بإلفائدة المتوخاة لقرائه من متجهات التجديد والتجويد وعلى هذه
الاسس انشئت الرابطة القلمية من أفراد لهم وزنهم في الادب العربي
الحديث الجامع الحسن من لغات الغرب وآدابها الى الحسن من اللغة
العربية وآدابها .

ج ٣ - لكل من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران مقام مرموق
في أدبه الخاص وهذا ما لا يحسن عنده تفضيل الواحد على الآخر لان
لكل منهما ميزة خاصة به مع الاقرار بأنهما فرقدا نبوغ وعبقرية .

ج ٤ و ٥ - الشاعر الذي أفضله على سواه هو الذي يعتمر قارئه
من شعره وخياله حكمة وفلسفة أو يستمتع برسوم معانيه الخلافة وصفا
ورقما وأما رأيي في الشعر المنثور فهو أنه اذا كان عصيرا من تفكير لبق
واحساس طلق لاغبار عليه اما اذا خلا من التفكير والاحساس فهو كلام
مجموع لا خير فيه . وكذلك هو رأيي في الشعر الحر لان هذا أيضا
اذا تحرر اما من الوزن واما من القافية أو كليهما ولم يخلب لب القارئ
بجديد من التصوير والتفكير والحكمة كان أشبه بلعب يتلهم به الشاعر
وهو اللعب الذي أكثر من الرموز المغمضة حتى حار القارئ بتفسير
ما يقرأه وضاع طريقه لحل تلك الرموز وغاية الواضع منها .

★ ★ ★

• وجاء في جريدة « النصر » الدمشقية عدد ٣٠ حزيران ١٩٦٠ •

لبي الاديب المهجري الكبير الاستاذ عبد المسيح حداد دعوة وزارة الثقافة والارشاد القومي لزيارة سورية ، وقد جمعني وياه مع عقيلته الكريمة جلسة ادبية هامة في بهو فندق سميراميس حيث نزل •

والاديب الضيف ، الاديب الوحيد الحي من أعضاء الرابطة القلمية التي أنشأها الكتاب العرب في المهجر وضمت منهم : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة (وهذا وحده بقي حيا من الرابطة في الوطن الام) وأمين الريحاني ، ووليم كاتسفليس ، وندرة حداد ، ورشيد ايوب ، ونسيب عريضة ، وإيليا ابو ماضي ، ووديع باحوط ، والياس عطا الله ، وعبد المسيح حداد • والاستاذ حداد حمصي الاصل ، ترك الوطن الام قبل ثلاثة وخمسين عاما الى المهجر وكان آنذاك في السادسة عشرة من عمره ، وعاد الآن اليها ليبيدي اعجابه بما حققه وطنه من ازدهار في كل الميادين •

وللضيف الاديب جولات معروفة ضد الدعاية الصهيونية التي اشترت ضمائر وآراء وارادات الامريكيين ، وكان يصدر جريدة (السائح) ، التي ظلت تصدر بانتظام من نيسان ١١٢ حتى ٧ أيار ١٩٥٧ •

والنقطة الهامة التي أثارها الاستاذ حداد في حديثه لي : ان الشعب الامريكي لا يعرف حتى الآن حقيقة القضية العربية ، ان الدعايات الصهيونية جعلته يقتنع بأن العرب هم الذين اعتدوا على اليهود في فلسطين ، وبأنه ليس هناك هدنة وانما مفاوضات قد تنتهي الى الصلح بين اسرائيل والعرب •

وقال ان الدعاية العربية ، بالرغم مما تنفقه على مكاتبها ومنشوراتها لا تزال مقصرة ، لانها لا تتغلغل في أعماق الشعب الامريكي ، في صفوف السواد الاعظم منه •• هؤلاء الذين منهم العمال الذين رفضوا تفرغ الباخرة كليوباترة •

وسألته عن الطريقة التي يمكن للعرب بواسطتها أن يحققوا انتصاراً
على الصهيونية ♦

فأجاب : « لقد خسر العرب الجولة الاولى في فلسطين لانهم كانوا
عدة دول » ، وخسروا بعض القضايا في المحافل العربية وهيئة الامم لانهم
أكثر من دولة ، ولا يجعل العرب ينتصرون الا الاتحاد ♦♦ على مستوى
وحدة المصير المشتركة ♦



وجاء في جريدة « حمص » عدد ٢٤ حزيران ١٩٦٠

عبد المسيح حداد

كما عرفته

بقلم أديب ملحم البستاني

لنحو ربع قرن خلا ، كنت تلميذا في مدرسة لبنانية ، تديرها هيئة
اكليريكية ♦ وحدث ، مرة ، ان الادارة عاقبت أحد رفاقي على حيازته
كتاب « الاجنحة المتكسرة » باعتباره من كتب « جبران خليل جبران » ♦
وفي اجتماع مدرسي عام - كان يعقد شهريا - اعلن مدير المدرسة
رسميا ، عن تحريم كتب « جبران » وانزال أقصى العقوبات بمن يقتنيها
أو يقتني بعضها ♦

وانني لا أزال أذكر تيك الفترة الباسمة من عمري ، وفي نفسي حين
اليها ، واعترف بأن ذلك المدير قد دفعني الى تقصي أخبار « جبران »
- خلصة - فتلقفت منها ما وصل اليه ادراكي يومذاك ، وسمعت ، لأول
مرة ، بـ « الرابطة القلمية » وبميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وعبد
المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » النيويوركية وغيرهم من
أعضاء الرابطة ♦♦

وفي يوم من أيام الصيف ، وكنت قد تركت المدرسة لقضاء العطلة

الصفحة في قريننا من جبل لبنان ، دخلت على والدي في مكتبه واذا به يتصفح نسخة من جريدة « السائح » فوقفت وكان على رأسي الطير ، وقد انعقد لساني ، وتسمر نظري في الجريدة ، فأشار الي والدي بالاقتراب منه وقال لي : خذ هذه الجريدة واقراء هذا المقال بصوت مرتفع ♦♦ فتناولتها ، بلهفة وشوق ، والفيتني امام مقال عن نسيبي المرحوم سليمان البستاني ♦♦

كانت تيك النسخة أول ما رأيت من اعداد « السائح » ♦ ولحسن الصدف كان ذلك المقال لعبد المسيح حداد ♦

ويبدو ان والدي قد أنس بي اتباها ورغبة ملحة في الاستطلاع ، فراح يحدثني - على قدر مفهومي - عن صاحب « السائح » ورفاقه العباقرة ، صانعي الامجاد ومجترحي المعجزات من أبناء العروبة في العالم الجديد ♦

ومنذ ذلك العهد ارتسمت في ذهني صورة عبد المسيح حداد ، والرابطة القلمية ♦ وأخذت تيك الصورة تتبلور شيئاً فشيئاً ، كلما تقدمت بي السن ، وازددت خبرة واطلاعا ♦♦♦

أما كيف وقع مني نبأ زيارة « أبي جرير » لوطنه الاول ، في الثالث عشر من حزيران عام ١٩٦٠ ، وكيف تصورته ، فهذا ما احتفظ به لنفسي ♦

أورد الرحالة العربي يوسف العيد في كتاب « جولات في العالم الجديد » عن عبد المسيح حداد ، هذه العبارة : « عبد المسيح سما بالخلق والنبل والتسامح والتساهل ♦♦♦ »

أما أنا فأقول : حينما شاهدت عبد المسيح حداد ، في مطلع الاسبوع الفائت ، تملكني شعور بأنني أعرفه منذ أمد بعيد ♦ فهو وديع متواضع ، تشع من عينيه الواسعتين قبسات العبقريّة ، وترسم على جبهته العريضة

أمارات النضوج ، وتلوح على تقاطيع وجهه النير آثار الجهاد الفكري
الطويل ***

لقد تخطى شيخنا عبد المسيح حداد العقد السابع من العمر • ولو
لم أكن أعلم أنه من مواليد سنة ١٨٩٠ لقلت ، حتما ، ان أبا جرير في
الخمسين من العمر •

وضعت بين يدي شيخنا « أبي جرير » ثلاثة عشر سؤالاً ، ورجوته
الاجابة عنها • فتناولها بلطف متناه وقرأها ، ثم قال : سأجيبك عنها
خطياً ، في المستقبل القريب •

لذلك ، فانتبي أعد القراء بها • ويسكنني القول أنها مادة جديدة
هامة ، ستفتح آفاقاً رحبة ، وتجلو غوامض كثيرة ، ما زالت محور
أخذ ورد ***

مدّه الله عمرك الثمين ، يا « أبا جرير » فأنت رمز للنبل وللنضج
ومكارم الاخلاق •



وجاء في جريدة « الوحدة » الدمشقية عدد ٢ تموز ١٩٦٠

« تركتها منذ نصف قرن •• والآن أراها من جديد » ترى كيف رآها ؟

ما هو شعور الانسان عندما يعود الى وطنه بعد سنوات الفراق؟!
أي شيء يعتل في صدر المغترب •• أهو مجرد الحنين؟ أهو دقات القلب
المتسارعة المشوّقة الى لحظة البقاء؟ ألقاء العيون المشرقة بالحب والاخوة،
نفسها •• ولقاء الارض والبيوت •• والشوارع •• لقاء وطن بكل ما
فيه من روعة وجمال؟ ••

رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي » قال كلمته ، لما عاد قصائد
رائعة •

وقالها من بعده الياس فرحات •• ثم هذا هو اديب ثالث من المهجر ،

يَقُولُهَا بِدَوْرِهِ ، بَعْدَ ٥٣ عَامًا مِنَ الْفِرَاقِ ، يَقُولُهَا بِعَيْنِيهِ اللَّتِي تَنْظَلَعَانِ فِي كُلِّ مَا حَوْلَهُمَا ، تَعْرِفَانِ مِنْ جَمَالِ الطَّبِيعَةِ حَوْلَهُمَا ، وَتَعْوِضَانِ كُلَّ سِنَوَاتِ الْحَرَمَانِ الطَّوِيلَةِ . . . وَيَقُولُهَا - عَبْدُ الْمَسِيحِ حَدَادٌ - بِقِسْمَاتٍ وَجْهٍ ، الْمَعْبَرَةِ ، وَبِكَلِمَاتِهِ الشَّاعِرِيَّةِ الْمُسْتَرْسَلَةِ . . .

من هو ؟ . . .

وُلِدَ عَبْدُ الْمَسِيحِ حَدَادٌ فِي حَمَصٍ ، وَبَعْدَ دِرَاسَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ تَابَعَ تَحْصِيلَهُ بِمَدْرَسَةِ الْمُعَلِّمِينَ بِالنَّاصِرَةِ سَنَةَ ١٩٠٤ ، وَلَمَّا عَادَ بَعْدَهَا إِلَى حَمَصٍ تَلَقَى دُرُوسًا بِالْأَنْكَلِيزِيَّةِ عَلَى يَدِ خَلِيلِ الْخُورِيِّ (شَقِيقِ الْعَلَامَةِ فَارَسِ الْخُورِيِّ) ١٩٠٥ ، وَبَعْدَ سَنَتَيْنِ هَاجَرَ إِلَى نِيُورُوكَ لِتَتَابَعَةِ الدِّرَاسَةِ ، حَيْثُ كَانَ إِخْوَتُهُ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَيْهَا . . .

عَامَ ١٩١٢ أُنْشِئَتْ جَرِيدَةٌ « السَّائِحُ » الَّتِي ظَلَّتْ تُصَدَّرُ حَتَّى عَامِ ١٩٥٨ .
حِينَ صَارَ عَدَدُ مَجَلَدَاتِهَا (٤٥) مَجَلَدًا . . .

وَيَقُولُ عَبْدُ الْمَسِيحِ حَدَادٌ عَنْهَا :

« إِنَّهَا كَانَتْ فِي بَدَأِ ظَهْوِهَا ، تَنْفَسُ إِنْسَانًا ، يَرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ مَكْنُونَاتِ صَدْرِهِ ، عَنْ مَشَاعِرِهِ ، وَعَنْ حَنِينِهِ إِلَى الْوَطَنِ » . . .
وَتَطَوَّرَتْ مِنْ ثَمَّ ، فَأَصْبَحَتْ مَنْبِرًا يَدْوِي مِنْ عَلَيْهِ صَوْتُ « الرَّابِطَةِ الْقَلَمِيَّةِ » . . .

وَيَسْرَحُ عَبْدُ الْمَسِيحِ حَدَادٌ فِي تَأْمَلَاتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ الرَّابِطَةِ فَيَعُودُ إِلَى ذِكْرِيَّاتِهَا وَيَقُولُ :

- « كُنَّا ، جِبْرَانُ خَلِيلُ جِبْرَانَ ، وَمِيخَائِيلُ نَعِيمَةَ ، وَرَشِيدُ أَيُّوبَ ، وَنَدْرَةُ حَدَادٌ - شَقِيقَهُ - وَنَسِيبُ عَرِيضَةَ ، وَوَلِيمُ كَاتَسْفَلِيسَ وَأَيْلِيَا أَبُو مَاضِي » . . . تَجْمَعُنَا الْقَرَابَةُ الْخَلْقِيَّةُ وَالْأَدَبِيَّةُ ، وَكَانَ تَفْكِيرُنَا وَنَظَرَتُنَا إِلَى الْحَيَاةِ مُتَشَابِهَةً إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ . . . وَأَلْفْنَا « الرَّابِطَةَ » فَكَانَتْ ثَوْرَةً عَلَى الْجُمُودِ ، وَثَوْرَةً عَلَى التَّقْلِيدِ ، وَبَشْرَى بِمَوَاهِبِ جَدِيدَةٍ . . .

كانت صحيحة ادبية ما يزال دويها يطوف الشرق العربي الى اليوم ..

ويتحدث عن جبران فيقول :

— بدأ « جبران » حياته ككاتب غير اعتيادي كان ينشر في جريدة « المهاجر » لامين الغريب ، مقطوعات جميلة بعنوان « دمعة وابتسامة » ودرس الرسم في فرنسا ، ثم وضع عددا من الكتب ، ولما كتب بالانجليزية تناقل الناس في العالم كله كتابه « النبي » الذي نسج فيه على نهج « نيتشه » في كتابه « هكذا تكلم زاردشت » ولكن جبران اشتهر اكثر بعد وفاته .

ويعود « عبد المسيح حداد » فيتحدث عن جريدة « السائح » فيقول :

— كانت في البدء تصدر بـ ١٢ صفحة من الحجم الكبير ، وفيها صفحتان للادب ، وأخرى لانباء الوطن العربي ، وللسياسة العالمية .. وصدرت عام ١٩٢٧ يومية ، وما لبثت أن اضطرت الى ايقافها بسبب الازمة المالية التي استحكمت في ذلك العام بالولايات المتحدة . وعادت « السائح » الى الصدور عام ١٩٣٦ مرتين في الاسبوع ، وكان يطبع منها ١٣٠٠ نسخة .

والآن .. تعال لاقص عليك شيئا من حياة الحداد :

عام ١٩٢٢ تزوج عبد المسيح حداد من لبنانية بالمهجر ، ورزق منها بصبي وبنتين . وفي نفس السنة صدرت مجموعة الرابطة القلمية الاولى ، التي ضمت نتاج أفرادها الادبي ، وأصدر الاديب المهجري في نفس السنة أيضا كتابه « حكايات المهجر » ، الذي ضمنه صورا عن أخلاق المهاجرين وأحوالهم ، وهو في طريقه الآن لجمع كتابين آخرين عن المهجر . وسيصدر عددا من كتب اعضاء الرابطة القلمية .

وتتحدث الولايات المتحدة كلها منذ سنوات عن مفخرة من
مفاخر العرب هناك .. عن « جرير حداد » - ٣٦ سنة - ابن
الاديب عبد المسيح ، الذي يعد الآن أحد أكبر ثلاثة مخترعين في
الولايات المتحدة .. فقد اشترك من سنوات في اختراع آلة
حسابية تقوم بجمع وطرح العدد الواحد (١٦٠٠٠٠ مرة) في الثانية ..
وتقسم وتضرب العدد الواحد (٣٠٠٠٠) مرة في الثانية وقد تطورت
الآلة بعد هذا فصار في استطاعتها أن تترجم على الفور من الانكليزية
الى الالمانية الى الفرنسية .. ولا يوجد في العالم كله غير (١٨)
آلة من هذا النوع تبلغ اجرة الواحدة ٢٥ ألف دولار
في الشهر .

وتحدث الحداد عن انطباعاته عن دمشق فقال :

- انني أعيش في حلم جميل ، وليس في قدرتي أن أقارن بين
دمشق التي تركتها من ٥٣ سنة ودمشق اليوم .. ان انقلابا
شاملا وكبيرا قد حدث فيها . وفي مختلف مدن سورية
الاخري .

وأنا سعيد كما لا تتصور ، بهذا الانقلاب الاجتماعي
والفكري ، وبارتقاء المواطنين في الثقافة والوعي .. انني لا آسف
على زوال الشكل الذي كان منطبعا في مخيلتي ..

واذا سألت عبد المسيح حداد عن القومية العربية ومشاعر الشباب
العرب في المهجر .. اندفع يقول بحماسة :

- لقد كنا نعيش مع الوطن كل معاركه القومية ، وما تزال
آمالنا في الحرية والوحدة العربية ، التي حملناها معنا في سنوات
الشباب ، تجري في دماء أبنائنا هناك جيلا بعد جيل ..
ولعله ليس في قدرتي أن أصور لك الايمان العميق ، وتعلق

شبابنا الكبير بالقضايا العربية والزعماء المخلصين الذين ارتفعت
أصواتهم دفاعا عن حرية العرب وكرامتهم ♦

ويقول عبد المسيح حداد من ثم :

وغدا حينما أعود الى الولايات المتحدة ، سأقل الى اخواني
هنالك ، كل مظاهر النهضة التي يعيشها الوطن ، سأقول لهم ،
ان ما رأيته كان فوق ما أملت ♦♦ رأيت التقدم والانتصار ، رأيت
الوعي والتفتح والسير في مضامير الحضارة ♦



وجاء في جريدة « حمص » في بضعة أعداد ابتداء من ٢٩
تموز ١٩٦٥ :

شيخ الصحافة الكبير عبد المسيح حداد

يوضح لجريدتنا نقاطا هامة ما زالت محور أخذ ورد

حسبما نشرنا في عددنا السابق بصدد الاسئلة التي وجهها
محرر جريدتنا هذه الى الاديب الكبير شيخ الصحافة العربية
في المهجر الاميركي الاستاذ عبد المسيح حداد ، وتفضل سيادته
بالاجابة عنها ، فاننا نبدأ من هذا العدد بنشر الاسئلة والاجوبة
متسلسلة ♦

س ١ - لا شك في أنكم تتبعون مراحل التطور الفكري في
الشرق العربي ، والاتفاضات التحررية ، فما هو رأيكم ، وما هي
ملاحظاتكم ؟

ج - منذ بدء هجرتي اخذت بتتبع مراحل هذا التطور الذي
تسألني عنه فلقد شعرت به في نفسي سيرا بعوامل الميل الى
تحرير الفكر العربي وانطلاقه في آفاق النهضة العالمية وهذا ما

يعزى اليه اتقاد الثورة النفسية في داخلي بين الانصراف الى عمل اليدين والقدمين في سبيل التحصيل المادي في بلاد المادة وبين التزام الميل الى آداب اللغة العربية والى الجهاد في سبيل العروبة فكان الفوز الى جانب الامر الثاني وطفقت بضع سنوات احصر ساعات الفراغ على تتبع مراحل التطور الفكري لا في الشرق العربي الذي بعد عنه بل في النفس العربية ولا سيما شطرها المغترب فأدركت بعد حين ان بين اخواني المهاجرين عددا يسيلون ميلي وكان من ذلك تنظيم ابتدائي لعضد الانتفاضات التحررية الخلاقة وهذا التنظيم أدى الى درس الحالة الفكرية العربية من وجهتها الراكدة بسلام المنكشحة على ذاتها في الاوطان العربية ثم الوجهة المتحفزة نحوها خواطر أدباء مهاجرين رأوا بعيون الغيرة على الادب العربي ضرورة تحريره من قيود التقاليد في سبيل افساح طرق آخذة بالوقوف على آداب الامم الغربية والشرقية للاشتراك معها في نسج النهضة العالمية ولجعل أدبهم غير مكتف بفخره بالاصل الطيب والتاريخ الشاهد على عبقرية الاوائل بل باثبات وتوضيح أن ابناء أولئك الاوائل أصبحوا بعد قرون الظلام مستعدين لحمل التاريخ على أن يحفل بنتاج الفكر العربي اذا تحرر وتجنّد للتمرد على أوضاع أصبحت قيودا للفكر ، ولتحريره أسوة بالفكر الاوروبي والفكر الاميركي في العالم المتمدن .

س ٢ - بعد عصور الانحطاط المظلمة قامت النهضة الفكرية وانطلق الفكر العربي في أجوائه الرحبة فما هو دور الادباء المهجريين في هذه النهضة ؟

ج - أرى واجبا عليّ تذكيرك بأنه بعد عصور الانحطاط

المظلمة لم تقم النهضة الفكرية ولم ينطلق الفكر العربي في
أجوائه الرحبة بل قامت النهضة اللغوية التي امعن باقتيادها
البستانيون الاعلام أمثال بطرس وسليمان وعبد الله كما جاراهم
فيها اعلام آل اليازجي أمثال ناصيف وابراهيم ولا سييل الى
تجريدهم من الفضل على تحرير الفكر العربي وتسييره في طرق النهضة
الفكرية فان ما اتجهوا كان توجيهها فعلاً لتحيك الفكر بعد حين
مضى على عصرهم وهم في التاريخ الادبي العربي معدودون بالماهدين
الذين وضعوا أساس النهضة غير أنهم قصرهم زمانهم على اللغة
وتوجيه جيلهم وما بعده الى ضرورة الجري وراء حفظ أدب
اللغة فوضعوا كتباً شبه حديثة لقواعد اللغة ولكنهم في كل
ما وضعوا وقد أجادوا به اجادة ذات فضل عظيم على اللغة وأبنائها
لم يخطر لهم ان يتحرروا هم من عقال التقليد فما كتب أحدهم كتاباً
أو مقالا الا تحدى السابقين الغابرين ولا نظم أحدهم شعراً الا
استعار معانيه من شعراء الماضي واقتبس تشايبهم أمثال
وصف جمال الوجه بالقمر والشمس وكثرة الحزن بظلام الليل
ووفرة الدموع بالامطار الغزيرة حتى أن كثيرين غالوا في الامر
فأبكوا السماء وأظلموا الشمس في الرثاء وأمثال ذلك كثيرة لا
أخالك تجهلها •

أما دور الادباء المهجريين فقد عقب دور تلك النهضة وتولى
في أول أمره النهوض بمواهب الادب من تعامل التقليد الى أجواء الفكر
والخيال الرحبة • وهناك مجال واسع للنظر فقد احدثت الرابطة القلمية
عصر اجديدا لدولة ادبية جديدة في العالم العربي وقامت عليها
ثورات من ادباء الاوطان العربية تخللها كثير من الحط بكرامة
عمال الرابطة وكثير من رشق المثالب وتوجيه السباب اليهم من

قبل الذين ادّعوا أن الرابطة القلمية تهدف الى هدم معالم اللغة العربية والى توجيه ادبها الى طرق الكفر وما الى ذلك حتى أخذ الفكر العربي الحر اينما كان وسواء أكان في مهاجر أم في الاوطان يتقاوى على الرجعيين الذين أرادوا استبقاء القيود في أقدام اللغة وادبها • وهنا رأينا الرابطة القلمية أو رأينا غايتها الشريفة تجد لدعواتها صدى حميدا في نفوس الشباب العرب أينما كانوا ولكن الرابطة القلمية لم تكتب لها حياة طويلة فهي قامت في أحد المعثرات ثم عدا عليها الموت الذي قضى على عباقرتها حتى لم يبق من عمالها الى اليوم الا هذا العاجز والاستاذ ميخائيل نعيمة في لبنان •

وهكذا تجدني أجيبك عن سؤالك عن النهضة الفكرية التي قامت بعد عصور الانحطاط المظلمة بأنها قامت بعد النهضة اللغوية والنهضة التي أدّت الى وضع قواميس البساتنة ومجمع البحرين لليازجي الاول ودواوين عديدة لشعراء كانوا يتربصون وقوع الحوادث لينظموا فيها مهنتين بأعراس وراثين للموتى ومادحين للحكّام وأكثرهم كانوا يستعيرون التشايبه القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب ومنهم عدد وفير خلقوا ذوي مواهب شعرية ولكنهم لم يروا أن يحرروها وأن يحفزوا تفكيرهم في مجال فلسفة اجتماعية أو تصوّر فني وكل ما راعوه هو صيغ الكلام وصقله دون رابطة بين بيت وآخر ودون انطلاق فكري في آفاق الحياة السامقة •

س ٣ - هل تعتقدون أن الهجرات أحدثت تيّارات فكرية في الادب العربي ؟

ج - ليست المسألة اعتقادا بل هي حقيقة واقعة فالهجرات وما

عقبها من الاختلاط في ثقافات الاجانب والاطلاع على آدابهم
لا شك في أنها أحدثت تيارات فكرية بدأ تأثيرها في الادباء وظهرت
آثارها في آثارهم الادبية العربية ثم تعهدتهم الى ادباء العالم العربي
كما لا بد ترون اتجاه أفراد عرب لتقليد كتابات جبران وغيره من نوابغ
المهجر حتى أمس القريب أي قبلما شرع الادب العربي يتجلى بأبداع
الحلى وأعمق الافكار الاجتماعية ♦

س ٤ - هنالك من قال ان الشعر المهجري لم يبلغ أشده فأجاب
رفيقكم في الرابطة القلمية المرحوم ايليا ابو ماضي قائلاً : « ان اخواننا
الناقمين علينا بلا وزر قد بهرهم أن تبني فئة قليلة من الادباء العرب في
العالم الجديد دولة رفيعة للضاد لم يقم مثلها في التاريخ ولعل أكثر ما
أزعجهم وأقلقتهم تهافت الشباب على الطعام الروحي الجديد الهابط
عليهم من سماء المهجر فراحوا يستحدثون له العيوب تنفيراً للارواح
العطشى من هذا المنهل العذب ♦♦ » هذا ما قاله أبو ماضي في رسالته
الى الاستاذ نظير زيتون ، فما قولكم أتم ؟

ج - ان ما اوردتموه عن ايليا هو رأيي أيضا وأما أن الشعر
المهجري لم يبلغ أشده فلا غبار على ذلك ولو أن الله أمدَّ بأعمار
عمال الرابطة القلمية وبقيت مؤسستهم عاملة لحدثت دون شك تقدما
باهرا بارزا في الشعر العربي ولا أخصه أو أحصره في الشعر المهجري
لان اعوان السلبية الذين اشار اليهم أبو ماضي قد اخفقت سلبيتهم
فمالوا الى الايجابية واقتنع معظمهم بضرورة الاخذ عن اخوان الرابطة
القلمية لا مهاجمتهم بلا وزر ♦

س ٥ - في ذلك الجو المحموم وردت على لسان البعض العبارة
التالية : « ان تطعيم ادب الشرق بأدب الغرب ولتد هذا المخلوق
العجيب الذي نسميه أدب المهجر » ♦

تري ٠٠ ألم يتأذ الادب العربي (المقيم) بالياذة هوميروس العربية
أوبكتاب كليلة ودمنة وغيرهما من الآثار الادبية النفسية المنقولة
الاجنبية الجذور ؟

ج - أراك أجبت في سؤالك نفسه عني في صدد ما تريد استجلاءه
من تطعيم ادب الشرق بأدب الغرب • اذا كانت اليادة هوميروس وغيرها
كثير من فنون القدماء الاجانب والمحدثين قد أثرت على الادب العربي
لذن نقلها الى أدبنا فكم يكون تأثير تطعيم أدب الشرق بأدب الغرب
المعاصر ؟ وكم يكون لما ولده مما سموه بأدب المهجر من التأثير على
عقلية الادباء ونفسياتهم ؟

س ٦ - فلنكتف الآن بهذا المقدار لننتقل ، اذا شئتم ، الى موضوع
آخر •

ما دامت الذكريات صدى السنين الحاكي كما يقول شوقي فما
هي أعذب ذكرى تحفظونها لمهدكم في الرابطة القلمية ؟

ج - لك يا منازل في القلوب منازل - وان اعذب ذكرى أحفظها
لعهدي في الرابطة القلمية هي ذكرى اجتماع نفر من الادباء الكبارالذين
لم يجمعهم أدبهم فحسب بل خلقهم السمع الذي قرهم عن الشذوذات
الاجتماعية فصيرهم جميعا اخوانا محبين متعاونين على صقل مواهب
بعضهم بعضا وقد كان لرفيقي على الحياة ميخائيل نعيمة شوط لا قرار
له في ذلك الصقل ليجعل من تلك المواهب كنوزا أدبية وزعت غناها
هنا وهناك وهناك حتى اجتذبت اليها ميول الناس وتقديرهم لانتاجات
الرابطة القلمية الحديثة وخذ مثلا على ذلك في ديوان ابي ماضي الاول
الذي طبع له في مصر وزنه امام دواوينه التي طبعها في نيويورك ألا
تري عندئذ الفرق الهائل بين شاعر موهوب كان ينظم مقلدا فصار في
الرابطة القلمية بعد عهد غير طويل الشاعر الذي يشار اليه بالبنان

والأعجاب والكثير لأنه صار شاعرا يقلد ولا يقلد وينتج من دماغه
وتفكيره لا من اساليب المتقدمين؟

س ٧ - يقول الاستاذ جورج صيدح انكم جعلتم مكتب «السائح»
ندوة لاهل الفكر والقلم ومنه انطلقت حركة النهضة الادبية وفيه
تأسست الرابطة القلمية وعليه اعتمدت في نشر آثارها • فهل لكم
أن تشرحوا لنا هذا القول باسهاب خدمة للادب والتاريخ؟

ج - كان بعد تأسيس الرابطة القلمية لزاما عليها أن تجد مكتبا
وكان لمكتب «السائح» هذا الشرف فهو كان قبل الرابطة مجمع
اخوان ادبها ومنه انطلقت فكرة تأسيسها وعليه اعتمد الاخوان في
نشر آثارها الادبية وهذا ما دعانا الى اصدار اعداد خاصة لجريدة
السائح كل سنة تحمل الى العالم العربي في دياره وفي مغتربات ابنائه
انتاجات عمال الرابطة القلمية مما لا شك في أنكم اطلعتم على تلك
الاعداد الممتازة •

ولا أرى موجبا للاسهاب في هذا القول المنقول عن أديب كبير
وشاعر فكير هو الاستاذ جورج صيدح فاذا كان هو قد استطلع ما
استطلع عن السائح ومكتبه فيما كان بعيدا عن نيويورك فلا بدع أن
سواه يستطيع استطلاع ذلك بمجرد ما يقرأه في أعداد السائح السنوية
الممتازة وفي مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ وهي المجموعة الوحيدة
بدأت في تلك السنة وكنا نأمل باصدار مثلها كل سنة ولكن الخسارة
المالية التي وقعت علينا في تلك المجموعة وضعت حدا دون اصدار
غيرها مثلها في السنوات التي تلت ١٩٢١ •

س ٨ - ويقول الاستاذ صيدح أيضا :

« وما دار حديث عن الرابطة القلمية الا تخلله ثناء على عبدالمسيح
حداد الذي احتضن الرابطة ورباها ومزج روحه بروح عميدها » •

انا أثق بالاستاذ صيدح ولا أشك في صحة قوله • فهل لكم أن
تفضلوا وتحدثونا عن كيفية احتضانكم الرابطة ومزج روحكم بروح
جبران ؟

ج - أجل لا فضل لي باحتضاني الرابطة فهي أيضا قد احتضنتني
وكنت أصغر عمالها سنا وكان سائحي سائحا ولقد مزجت روحي
بروح عميدها جبران منذ عرفته قبل عهد الرابطة ببضع سنوات
وأخاله رحمة الله عليه تهلل بامتزاج روحي بروحه حتى أصبحت له
قبل وفاته موضع ثقته الخاصة ولا سيما في سنوات مرضه ومحاولاته
اخفائه عن شقيقته مريانا واقربائه في بوسطن وعن اخوان ادبه عمال
الرابطة الآخرين لئلا يقلقوا عليه فلما قضى أدركنا جميعا سبب انحباسه
عنا واخذ انسابوه الذين قدموا من بوسطن يعتبرون عليّ لاني لم
أعلمهم عن مرضه • والحقيقة هي أنني أنا لم أدرك الخطر على حياته
تماما فقد كان رحمه الله حتى آخر أيامه في شغل مستمر يحاول رغم
ما كان عليه أن يخرج من هذه الدنيا منجزا ما بدأ بتأليفه ومنها بعض
الرسوم التي لم تكن قد استكملت •

س ٩ - هل ارتحتم الى ما تضمنه كتاب « جبران خليل جبران »
لرفيقتكم ميخائيل نعيمة ؟

ج - نعم كل الارتياح على الرغم من أن كثيرين حتى من أقرب
أصدقائنا استهجنوا عمد ميخائيل الى وضع صورة حقيقية عن سير
جبران في الحياة دون ان يفض طرفه عن ذكر احوال يعبر عليها كل من
سار في طرقها ولقد وضعت درسا عن ذلك الكتاب بطلب من اديب كبير
في البرازيل وهو الاستاذ شكر الله الجر نشره في مجلته الاندلس التي
كانت تصدر في ريسودي جنيرو كما نشرته جريدة صوت الاحرار
البيروتية وفيه أظهرت معنى كتاب ميخائيل عن جبران وغايته في أن

يحيط الملاء العربي علما بأن فقيده جبران لم يكن غير انسان عادي مرء
في طرق الناس تماما ولكنه كان ممتازا عنهم بأنه أدرك سمو رسالته
العلوية فكان يرتكب الزلل مثلهم ولكنه اختلف عنهم بتأنيب نفسه
راغبا في أن يتعد عن كل ما هو مادي الى أن يدرك المرتبة الروحية التي
أرادها الخالق له •

وما ضرَّ جبران ان يسيط عن طرق حياته كانشان مثل ميخائيل
نعيمة فيعرفه للناس انسانا تخلص من احوال الحياة حتى أصبح
عبقريا لا يظهر مثله في أي أمة كل ألف سنة أو أكثر؟ •

ان جبران ، نابغة عبقريا ، معروف لدى من يطالع آثاره الادبية
ولكن حب الناس معرفة عيشه على الارض دفع ميخائيل الى أن يصورها
تماما بما تخللها من سوء وظرف وجمال وقبح وفي نفس ميخائيل دافع
الى تبرير كل زلل بشري وقع فيه جميع البشر قائلا لهم : « من كان
منكم بلا خطيئة فليرمه بحجر » ولكن خطايا جبران كانت درجات له
لبلوغ ذروة العبقرية التي خلق لها •

س ١٠ - في الثلث الاخير من كتاب « جبران خليل جبران » فصل
طريف تحت عنوان « الدبك » وهذا « الدبك » على حد قول نعيمة
نصبت أحابيله في مكتب السائح لرشيد أيوب ومن ثم لجبران • فما
هي ملاحظاتكم حول ذلك الفصل وما هي ذكرياتكم لتلك المناسبة ؟

ج - كان الشاعر الكبير المرحوم رشيد أيوب رغم شعره الباكي
أكثرنا مرحا وكانت اجتماعاتنا به لا تخلو من التفككة وكان جبران
يسيل اليها ويحبه حبا جما فلما شغلت بتهيئة العدد الممتاز لتلك السنة
عدت الى مكنتبي من المطبعة لاجد ميخائيل ينتظرنني فيه للعشاء معا
ولما سألتني الى أين وصلت من تهيئة العدد الممتاز للطبع أخبرته أن
آخر ما تركته على بلاطة تركيب الصفحات قصيدة رشيد « وراح ماعرفناه »

وهي من أجمل قصائده وللحال خطر لميخائيل ان نلعب « الدبك » على رشيد فعدت أدراجي الى المطبعة وأخذت على القصيدة طبعة البروفة ولكنني أزحت امضاء رشيد عنها ووضعت محله اسم شاعر عربي قديم وأظنه « ابن المعتز » على حقل أبيض من جريدة ألف باء الدمشقية •

وجاء جبران كعادته الى مكتب السائح كل يوم سبت ولما اطلع على القصيدة مطبوعة في عدد « الف باء » لابن المعتز لا لرشيد أيوب أخذ يبكي بكاء الاطفال قائلا : « ويلاه ان رشيدا يستطيع أن ينظم أحسن من تلك القصيدة فكيف أجاز لنفسه أن يسرقها ويدعيها لتتشر في العدد الممتاز أخاله أصيب بمس في عقله •• » وكنا في اجتماعاتنا كثيرا ما نضع « دبكات » للتفككة والضحك وكان رشيد أيوب ابرعنا في النسج على منوال الاضحايك المسلية •

س ١١ - متى تمت آخر مقابلة لكم مع جبران ، وماذا دار خلالها من أحاديث ؟

ج - كان ذلك قبل وفاته بيومين وكنت على موعد مرافقة عائلتي الى احدى ضواحي مدينة نيويورك لزيارة انساء لنا وقد أزعجني جدا ما رأيت على وجهه من آثار العياء ولكنني لم أفطن الى أن الموت صار منه قيد خطوة أو خطوتين ولما أخبرته عن عزم العائلة على الزيارة قلت له عندها ان العائلة تستطيع أن تذهب وحدها فأبقى أنا في نيويورك قريبا منه الا انه شدد عليّ بضرورة مرافقة العائلة على أن أعود اليه بعد يومين أو ثلاثة ولكنه أغمض عينيه في اليوم الثالث فلم أكن الى جانبه وعدت الى نيويورك مسرعا لدن خاطبني ميخائيل بالتلفون ويا للاسف لابكي جبران الحبيب مسجى في نعشه •

س ١٢ - هل ترون رأي نعيمة بأن جبران صور نفسه نيبا تحت ثياب من التمويه الفتي في كتاب « النبي » خصوصا في فاتحة هذا الكتاب وخاتمه ؟•

ج - ان كتاب « النبي » كتاب رسالة جبران الادبية الروحية وليس من عرفه من عرب وأميركيين قرأ ذلك الكتاب الا وسحرته موضوعاته ولكم استوحى بتلك الموضوعات كتاب اميركيون ومراسلو اذاعات الراديو والتلفجن • أما رأي نعيمة بأن جبران صور نفسه نيبا تحت نقاب من التمويه الفني فلا أدري ما عنى برأيه وما يضير جبران أو غيره اذا أحسن القيام بمواقف نبي يركز بأبلغ حكمة في الناس • او ليس كل ذي موهبة رسولا من الله لشعبه ؟ أو لم يكن جبران رسولا يعظ قومه بأجمل الاساليب وأكثرها افادة للنفوس الراغبة في النمو الروحي والوعي العصري ؟

س ١٣ - هنالك فئة تقول : ان جبران تأثر بفلسفة نيتشة ونسج على منوالها • هل تقرون هذا القول ؟

وما هو وجه الشبه بين فلسفة نيتشة وبين فلسفة جبران ؟
ج - من ذا يقرأ كتابا ولا يحس بتأثير الكتاب عليه ؟ فاذا قرأ جبران فلسفة نيتشة أيكون مستغربا اذا أن يتأثر بتلك الفلسفة ؟ أما نسج جبران على منوال نيتشة فلا يتعدى الاسلوب كما نسج الحريري على منوال بديع الزمان فأجاد في مقاماته وبرز على المنسوخ عنه في الاسلوب •

أما وجه الشبه بين فلسفة نيتشة وفلسفة جبران فيمكن أن يكون الغاية في نفس كل منهما لتصوير الاشياء على عدسة الموهبة الموفورة عند كليهما وقد أتى كلاهما بافصاح جديد في عصره عن رسمه الموضوعات الحيوية وأجاد كلاهما تعبيرا عن تلك الموضوعات التي درساها درسا فلسفيا يأخذ بالالباب ويبقى للاجيال ومختلف الاحقاب •

وثائق لم تكتب

مع الاستاذ عبد المسيح حداد

بقلم الاستاذ عبد الكريم الاشتر

لم يعد المنتكرون لادب المهجر كثيرين حولنا ، فهم الشيوخ الذين ما زالوا يؤمنون بعمود قائم في الادب لا يصح الخروج عليه . والادب المهجري عندهم ادب هجين ، شكس النشأة . ثم هم شباب لم يألّفوا قراءة هذا الادب أو جفوا عنه لانهم لم يجدوا فيه الجهارة التي تعودوها ، وهوشتهم الجملة الطرية ، العجيبة القسمات ، المنغومة نغما يملأ النفس ولكنه لا يملأ الاذن ، ثم هم اناس اعتقدوا ان هذا الادب غزو جريء لقواعدنا الفكرية العريقة ، ومحاولة مشبوهة لتحويل ادبنا عن يناييعه الثقافية الاصلية الكامنة في تراثنا ، الى يناييع غريبة متصلة بالكتاب المقدس وبالعقائد الشرقية القديمة من خلاله .

على أن هؤلاء الجافين جميعا لم يحولوا ان يفتح أدبنا ابوابه لهذا الادب ، ويتأثر بوداعته في المضمون والشكل ، ويأخذ عنه تأثيره

بالأنماط الفنية التي لاصقتها في الغرب ، حتى لقد أصبح هذا الأدب جزءاً ضخماً من تراثنا الأدبي الحديث . ووجب علينا ان ننهض لدراسته دراسة منهجية سليمة تكشف عن خصائصه وأنسابه واساليبه ، وتصف موقفه من حياتنا وأثره فيها ، وتحدد صلته بتراثنا . وبذلك نزداد فهماً لهذه الموجة التي أقبلت علينا من البحار البعيدة ، ووعيا بالمناخ الفكري الذي كون مدّها .

وقد صدرت بالفعل في الاعوام الاخيرة دراسات كثيرة تناولت جوانب صالحة من هذا الادب ، وانصرف بعضها الى النتائج وبعضها الى المنتجيين . ونذكر هنا دراسة في شعر المهجر الشمالي للاستاذين الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ، وقد فسّرا فيها حركة المهاجرة تفسيراً حفظ لها ابعادها الصحيحة . وجمع الاستاذ عيسى الناعوري دراساته في ادب المهجر التي كان نشرها في أحيان مختلفة ، في كتاب واحد صدر عن دار المعارف بالقاهرة . بل تعدينا ذلك الى دراسات جامعية في الادب المهجري نال عليها اصحابها درجات علمية رفيعة ، كالدراسة التي كتبها الاستاذة نادرة جميل السراج عن شعراء الرابطة القلمية وتقدمت بها الى جامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير . وقد صدرت عن دار المعارف بالقاهرة . والدراسة التي تقدم بها الدكتور انطون غطاس كرم عن جبران لنيل درجة الدكتوراه من احدي جامعات فرنسا . ثم الدراسة التي تقدم بها كاتب هذه السطور عن النشر في المهجر الشمالي الى معهد الدراسات العربية العالية ، لنيل درجة الماجستير .

ولئن كان انصراف دراساتنا في أول الامر الى الشعر المهجري لاسباب كثيرة فقد بدأ بعضنا ينصرف الى النشر . وستكشف لنا في

لإني أؤمن أن المقبلات القيمة الحقيقية لهذا النشر الذي أهمله دارسوننا زمننا
طويلا . ونأمل أن تكون دراساتنا للنشر في المهجر الشمالي فاتحة دراسات
طويلة في هذا الميدان .

وقد يسرت لي هذه الدراسة ان أتصل بمصادر البحث في الادب
المهجري بعامة ، وهي مصادر نادرة متفرقة ، يضطر الباحث الى أن
يجمعها من شتى الانحاء ، وان يرجع في ذلك - احيانا كثيرة - الى
المكتبات الخاصة . فأنا - مثلا - لولا رجوعي الى مكتبة الاستاذ
ميخائيل نعيمة لما استطعت أن احصل على كتاب (حكايات المهجر) الذي
كتبه عبد المسيح حداد وأصدره في نيويورك سنة ١٩٢١ . والطريف
أن المؤلف نفسه لم يجد في مكتبته الخاصة في نيويورك نسخة من كتابه
هذا ، فأرسل يعتذر الي .

ونحن نعتبر هذه الكتب وثائق توشك أن تندثر . ولو قلنا اليوم
أنها قيمة الكنوز لما صدقنا الا القليلون . ونقول القول نفسه في المجلات
والصحف التي صدرت في المهجر ثم انقطعت . فهي سجل هذه الخفقة
العربية الرائعة في تلك الديار . ولئن فقدناه لن تقع عليه أبدا . وسنظل
من بعد ، حين نتكلم عن المهجر ، نرجم بغيب كبير . فهل تلتفت بعض
مؤسساتنا الثقافية ودور الكتب عندنا الى هذه الحقيقة قبل أن يفوت
الاولان ؟ فتوفد الى نيويورك وغيرها من مدن الولايات المتحدة التي استوطنها
مهاجرونا وانتجوا فيها ، موفدا مختصا ينكب على جمع مجموعات كاملة من
الصحف والمجلات العربية التي ظهرت هناك منذ أواخر القرن الماضي ،
فيحملها الينا لتنسق وتوضع في احدى دور الكتب ، لتكون المرجع
المقصود للباحثين في هذا الادب من انحاء الوطن العربي كله .

لقد حاول معهد الدراسات العربية في القاهرة أن يخطو هذه الخطوة الكبيرة ، فيسعى في ايفاد هذا الموفد المختص ، ولكنه لم تسعفه المخصصات • وموضع الامل اليوم وزارة الثقافة ، فهي قادرة على هذا ، فان لم تكن تميل اليه ، فتكلف بعض الملحقين ببعثتنا الدبلوماسية في واشنطن ، ممن يهياً لهم القيام بشئ هذا العمل •

ولئن قلنا في الوثائق المكتوبة هذا القول ، فماذا نقول في الوثائق الحية التي يقرب في كل لحظة أن تفقدها ؟ أيمكن ان يثمن حديث يدلي به ميخائيل نعيمة مثلا ، عن دقائق الحياة الادبية في المهجر ، مما لا يقرأ في كتاب ، لانه يبعد أن يكتبه كاتب ؟ أو يسكن ان تتصور التجربة الروحية التي كان هؤلاء الادباء يكتبون بناها دون ان ندخل الاروقة الخلفية التي عاش فيها هؤلاء الادباء تجربتهم في صمت ، قبل أن يظهرها للناس ؟

لقد زارنا منذ أشهر قليلة الاستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح التي كانت لسان الرابطة القلمية ، أقوى تعبير أدبي ظهر في المهجر ، وهو الذي احتضن نتاج الرابطة واذاعه وعاش مع أعظم ادبائها حياتهم المنتجة • لم يكن يفارقهم الا في ساعات النوم ، وقد لا يفارقهم أيضا • وكانوا يطمنون اليه ويفضون اليه بذوات انفسهم • وما أكثر ما حضر ساعات المخاض التي كان يعانها جبران ، اذ كان يملى عليه ما يكتب •

وهو - فوق ذلك - ممن عاصروا موجات المهاجرة الاولى ، وشاركوا في تطوير البيئات العربية التي كونها المهاجرون ، ووقفوا في وجه الانحراف السياسي والاجتماعي الذي ارتمت فيه فئات من المهاجرين • (حكايات المهجر) وثيقة لا حدّ لقيمتها لمن يريد أن يدرس المهاجرة وأحوال المهاجرين • وما أحسب أن دراسة جادة في الادب المهجري ، يمكنها أن تنساه •

وقد كنت يوما من تموز السنة الماضية في مطار دمشق ،
حين حطت الطائرة التي كانت تقلُّ الاستاذ عبد المسيح حداد ، وهبط
منها رجال أخذت أتفرس فيهم ، لعلني أعرفه بينهم ، فقد كانت صورته
الى جانب جبران ونعيمة ونسيب عريضة واضحة في مخيلتي . ثم هبطت
سيدة شقراء فارغة الطول ، ما لبث ان انضم اليها رجل أقرب الى القصر ،
يصح ان يوصف بالبداثة . فهتف « نظير زيتون » : عبد المسيح ! ثم
اندفع اليه يطوقه .

وأوشكت عينا عبد المسيح أن تغرورقا ، وأخذ يتلفت حوله
ويتنفس مهتاجا وهو يقول لمستقبله :

الحمد لله الذي أراني وجوهكم . . أنا أخيرا على هذه الارض ،
بعد ثلاث وخمسين سنة ؟ لقد قالوا لي : أن كل شيء تغير هنا ، فقلت
لهم : وما عساني أرى اذن ؟ اني أريد أن أرى الدنيا التي خلفتها فان
كانت تغيرت

فلما اقبلت عليه ، حييته وسألته : متى أزورك في حمص ؟ قال : حين
تشاء .

وقد اقبلت في شوارع حمص الضيقة بعد ظهر الخامس والعشرين
من تموز ١٩٦٠ ، أسأل عن البيت وأنا أراجع ما كتبتنه
عنه في رسالتي : لقد وصفته بالطيبة وجردت كتابه (حكايات المهجر)
من القيمة الفنية ، واحتفظت له مع ذلك بواقعية الوصف . ورأيه في كتاب
نعيمة (جبران خليل جبران) وما كدت أطمئن قليلا في المجلس حتى
أخرجت دفترنا صغيرا كنت دونت فيه بعض الاسئلة ، وأنا اذكر نفسي
بما كنت أوصيتها من تصنع البساطة حتى أنفذ الى النقط الصريحة من
آرائه وذكرياته .

وليثق القارئ أنني أقدم إليه صورة صحيحة لما قال ، أكاد أحرص
معها على إعادة كلماته ذاتها .

قلت متبسطة : كتابك (حكايات المهجر) وثيقة ذات قيمة تاريخية
كبيرة ، وقد امتدحه (بروكلمان) . لم لا تعيد طبعه ، فقد عرفت انه
يعتبر من النواذر ؟

قال : الحق معك فقد زارني في نيويورك ، في ادارة السائح ، الاستاذ
شاكر مصطفى ، واستهداني الكتاب فما لقيت نسخة اهديها اليه (١) وأنا
أفكر الآن في إعادة طبعه .

قلت : لعلك ترى أن تحفظ لهذه الوثيقة قيمتها كلها ، فلا تدخل على
الكتاب أي تعديل .

وكان وجهه يفيض عافية ومرحا وبساطة ، لم يغيره هذا الاكليل
الايض الخفيف الذي يغطي الرأس . وقد بسط يده على المسند من
وراء كتفي في بجوحة أصيلة .

وقلت متابعا الحديث : يحمد لك دارس كتابك واقعيته الدقيقة ،
حتى ليحسبه تصويرا فوتوغرافيا لهذه الظواهر الاجتماعية والنفسية
التي جلوتها في بيئات المهاجرين السوريين .

قال : الحقيقة ان أغلب الحكايات واقعية ، ومعظم الشخصيات التي
صورتها صورت فيها اناسا بأعينهم وأعرفهم هناك . وحكاية (في بيت
الميت) وقعت لي ، فقد كنت أنا نفسي في بيت الميت .

قلت : يذكر (جورج صيدح) في كتابه (ادبنا وادباؤنا في المهاجر
الامريكية) ان لوليم كاتسفليس خازن الرابطة كتابا باسم (من ميت

(١) كتب الي الاستاذ عبد المسيح بعد عودته الى نيويورك يقول : انه
وجد من الكتاب نسخة واحدة ، فأبقاها لانه قد يحتاجها في طبع الكتاب
طبعة ثانية .

حي الي أحياء أموات) فهل هذا صحيح ؟

قال : مبلغ علمي ان (وليم) كتب مقالة بهذا العنوان ، ونشرتها له في (السائح) ، وأحسب أن (صيدح) واهم •

قلت : هل حجزتك الزيارة عن القيلولة ؟

فقال في سرعة : ابدا ، اني لا انام بعد الغداء ، وهي عادة عودتها من يوم كنت أعمل في السائح ، فقد كان عليّ أن أصف الحروف وأدهنها بالجر وأطبع الورق بنفسي ، فما كان يتهيأ لي أن أستريح ظهرا •

قلت في حذر : لقد اتصل بك لا شك ما لقي الاستاذ ميخائيل نعيمة من جراء كتابه عن جبران ، فقد اتهم بالكيد لصديقه وبتزويق لحمه ، لانه ينفس عليه مجده الضخم ، فما رأيك أنت ؟

قال : لقد كان بين جبران ونعيمة تنافس أدبي محمود ، ولكن كتاب نعيمة عن جبران أسيء فهمه • ولقد قاربت أن أشارك مع نعيمة في كتابة الكتاب في نيويورك ثم انفرد هو به • والحق أنه كان يستطيع أن يعرض في بعض المواقف في حياة جبران دون أن يؤذيه بالتصريح ، ولكنه لم يفعل لانه ناقد صارم • لقد مات جبران وقراؤه لا يعرفون شيئا عن حياته الخاصة ، وهم أحبوه من خلال ما كتب ••• وقد كان لجبران مثل ما للناس جميعا من تقائص • ألا تظن أنه انسان ؟ فهو اذاً يحب ويكذب ويخدع ويسكر • ولقد تعاطينا مرة الحشيش معا للتفكهة ولدرس فعاليته • وتابع عبد المسيح يقول : ان ان الامريكان يذكرون لموتاهم الحسنات والسيئات • ولكننا نحن هنا في الشرق نجعل موتانا كلهم ملائكة • ومن هنا كان غضب بعض الغاضبين على نعيمة •

ثم سكت قليلا وقال في مرح : لقد مات أحد الارلنديين ، فذهبت أرملته وابنته في حفلة تأيينه الى الكنيسة ، ووقف الكاهن يثني على رجل البر والتقى والفضيلة •• فالتفتت الام تسأل ابنتها في دهشة : - بنتي ! أهناك ميت غير أيبك؟! •

وقد حكى عبد المسيح الحكاية بلهجة حمصية أصيلة بلغت مداها في
الخفة والعفوية •

وفجأة •• افتحت في ذاكرتي صفحة عنيفة •••• أقول عبد المسيح
هذا الكلام الرطب في نعيمة وكتابه ، وقد جعل في الحديث الذي ادلى
به يوما ليوسف البعيني في مجلة العصبة البرازيلية سنة ١٩٤٨ - سقوط
(ميشلين) في علاقتها مع جبران كفارة تكفر بها هذه التعسة عن نفسها !
كأن جبران كان في تعريه بها يؤدي رسالة الهية ! ولكنني سكت •

وسمعت الاستاذ عبد المسيح حداد يقول : ليس هناك ما يوجه الى
الكتاب اذا استثنينا اللغة التي كتب بها • انها عنيفة • لقد قلت هذا
الكلام مرة ونشرته في بيروت جريدة (صوت الاحرار) •
وأسرعت أقول : هل خلف أخوك (ندره) غير ديوانه المعروف
« أوراق الخريف » ؟

قال : نعم • شعر لم ينشر • وقد يتاح لي نشره •

فقلت : وأنت ؟ ألم تقل الشعر ؟

فقال : قلته ، ولكنني لم أنشره •

وقلت : لقد كنت صغيرا حين بدأت تصدر (السائح) • كيف
استكملت تعليمك ؟

فقال : كنت في الواحدة والعشرين • وقد عملت قبلها قليلا في
التجارة • وكنت أتردد على مدارس ليلية هناك لانه لم يتح لي أن أكمل
تعليمي في الوطن • وقد كنت تعلمت الانجليزية في حمص على يد (خليل
الخورى) ليتاح لي دخول الجامعة الاميركية في بيروت • ولم أكن
أحسب أنني سأهاجر بها الى أميركا ! • اما العربية فدرستها في حمص
في المدرسة الروسية الابتدائية ، وكان فيها معلمون ثقات • واستاذي
هو (يوسف شاهين) استاذ المهجرين الحمصيين كلهم •

قلت : وما هي بضاعتك في الروسية حينما هاجرت ، بعد أن درستها في مدرسة المعلمين في الناصرة ؟

قال : شيء قليل ♦♦ فقد احتلت اللغة الانجليزية محلها في حافظتي ♦
قلت : وما حال السائح الآن ؟
قال : أوقفتهما ، وبعث المطبعة ♦ ولكنني احتفظت بالادارة ♦ وكأنا لاحظ في عيني ما جال في نفسي فقال متابعا :

— سينتهي — على كل حال — كل شيء في السنين المقبلة ، ولن يبقى للجيل المقبل منا الا الذكرى ♦

وأوشكنا أن ننحرف قليلا في الحديث ، فتداركت الاستاذ أسأله :
— يتهمون ميخائيل نعيمة بأنه تأثر بجبران في موقفه من الحياة وتفسيره اياها هذا التفسير الصوفي ♦♦ أحق هذا ؟

فقال : لا شك أن جبران أثر على نعيمة بتصوفه ، ولكن نعيمة كان يحمل بذور الاستعداد لهذا التأثير ♦♦ وجبران كان أشد تأثيرا في أعضاء الرابطة من نعيمة على كل حال ♦ على أنه كان لنعيمة تأثيره الكبير أيضا فهو الذي وجه أبا ماضي مثلا الى الشعر الصحيح ، ولم يكن أبو ماضي على شيء من العلم ♦

قلت في حذر : وهل كان سلوك نعيمة في المهجر مرضيا ؟ ألم تكن له (خطيئات) كالتى أحصاها على جبران ؟

فقال في حزم : بل كان نعيمة في المهجر يعف عن المال والنساء ♦ ان جبران عالم ونعيمة عالم آخر ♦

قلت : هل كان جبران يقرأ العربية في المهجر ؟
قال : قليلا !♦♦

قلت : وهل كان يسود أعضاء الرابطة ، أو بعضهم على الاقل ، اعتقاد بأن الثقافة العربية لا صفة بالاسلام ؟

قال : نعم !

قلت : وأسباب الهجرة ، هل هي طائفية في رأيك ؟

قال : لا بل هي اقتصادية •

وعدت الى جبران ، فقلت في تقرير متسائل :

— كانت تقع في لغة جبران أخطاء كبيرة •

قال : نعم • كان نسيب عريضة يتولى اصلاحها ما استطاع • (المواكب)

مثلا تحفل ببعض الاخطاء • ولقد كنت أنا أصحح له بعض الاخطاء دون

أن يشعر حين كان يملي علي •

فقلت : ألم تكونوا تطلعون على النتاج الادبي الحديث في

الوطن ؟

قال : بل كنا نقرأ بعضه • وقد كانت تأتيني بعض الصحف والمجلات

العربية بطريق المبادلة ، فأقرأها ويقراها بعض أعضاء الرابطة

الآخرون •

وقد ساحت علي خد الاستاذ عبد المسيح هنا قطرة عرق كبيرة ،

مسحها وهو يقول : حر حمص ! ••

قلت : أتشكو ؟

قال : بل أتلذذ باحساسي به ، وأذكره لازيد من احساسي به •

قلت : هل تعتقد أن للادب الاميركي تأثيرا في الادب المهجري ؟

قال : لا شك ، تأثير كبير • لقد تأثرت أنا مثلا بالصحافة الاميركية •

وكنا جميعا نقرأ الانجليزية •

قلت : هل كان (وليم كاتسفليس) يعرف الانجليزية حين

هاجر ؟

قال : كلا ولكنه كان ضليعا باللغة الافرنسية التي سهلت عليه تعلم

الانجليزية التي ما عثم أن أصبح يتكلمها ويخطب بها أحيانا •

قلت : ونسيب عريضة ؟

قال : تعلمها • وقد بدا تأثيره بالادب الروسي والادب الاميركي

على السواء •

قلت : وهل انتسب جبران الى جماعة (الحلقات الذهبية) ؟

قال : لا ولكنه كان على ولاء مع القائمين بشؤونها ، وكانوا من

خريجي الجامعة الاميركية ببيروت • وكان رئيسها - فيما أظن -

فيليب حتي •

قلت : وجمعية (سورية الحرة) التي انتسب اليها نعيمة ؟

قال : كانت جمعية سورية يرأسها الدكتور نجيب صليبي ، من

الفليبين ، وأصله من سوق الغرب بלבنا • وكان يشترك معه ابراهيم

الرجباني وهو قسيس أكبر في كنيسة في بوسطن • وكان هذا القسيس

عربي الميل ، يدعو الى أن تتلمذ الامة العربية على يد اميركا •

قلت : وهل كنتم تنشرون في صحفكم أشياء توجهونها الى

الوطن ؟

قال : بالطبع ، وقد منعت السائح منه سنة ١٩١٢ - لهذا السبب -

من دخول اراضي السلطنة العثمانية •

قلت : هل أسستم رابطة ما قبل الرابطة القلمية التي اعلنتموها

سنة ١٩٢٠ ؟

قال : نعم ، لقد اسسنا الرابطة القلمية لأول مرة خلال الحرب ،

وكان الريحاني عضوا فيها • وكانت تعقد اجتماعاتها في بيتي قبل أن

أتزوج • وقد هدمناها لنبعد عنها أحد الذين اندسوا فيها •

وسألت فجأة : هل تعتقد ان لجبران وصية غير التي أظهرت بعد

وفاته ؟

فأجاب : نعم ، على أنه لا شأن لنا بجبران بعد وفاته •

قللت في الحاح : ومن تتهم ؟ فأجفل قليلا ثم غمغم وابتسم •
قلت : اخته ؟

فلاذ بالصمت •

وأسرعت أحول الحديث :

— الى أي مدى بلغ تأثير جبران بنيتشة في رأيك ؟
فأجاب : لقد تأثر بأسلوبه الكتابي فقط ، لا بأفكاره •

قلت : وما صدق صلته بمي ؟

قال : كان جبران يقرأ لي بعض رسائلها اليه • ربما كان جبران يميل اليها ، ولكنه لم يكن يحبها • لقد كان جبران يعرف مرضه الخطير ويتهيأ للموت ! ••

قلت : أليس في حوزتك أو حوزة من تعرف شيء من رسائل جبران اليك ؟ فكان سؤالي نكأ جرحا لم يلتئم • وبادر يقول :

— لقد كان للسيدة ماري عزيز خوري في نيويورك ، ما يشبه أن يكون (سالونا أدييا) • وكان جبران والريحاني يترددان عليه • وقد أرسل اليها جبران أكثر من مئتي رسالة بالعربية والانجليزية • وقد دعنتني هذه السيدة الى أن أعمل معها في تنسيق هذه الرسائل وطبعها • وبدأنا العمل فعلا • ولكن السيدة أصيبت بفقدان الذاكرة وتسلب عليها رجل اسمه (سيدني وليامز) استطاع أن يحصل على توقيع يجعله وصيا على أموالها • ولم يقبل هذا الرجل أن يسلمني الرسائل على الرغم من أنني شكوته الى القضاء وكان الحكم الى جانبي •

قلت : وأين الرسائل الآن ؟

قال : عند رجل اسمه نسيب الطرابلسي •

قلت : بقي أن نتحدث عنك •

قال : لا شيء يستحق الذكر : أبي موظف صغير في حمص ، كان يعرف العربية والتركية ، وامي من اسرة عريضة التي منها الشاعر نسيب ♦

قلت : بمن تأثرت من كتاب العرب ؟
قال : أنا معجب بالمازني لاني أحب الفكاهة والهنقد ، وربما كان ذلك أصيلا في لاني كنت اعقد في السائح بابا باسم (ألحان وأشجان) أضمه نقدا فكها ♦

قلت : وهل كنت تعتقد ان المقالة التي تكتبها ذات قيمة فنية ؟
قال : نعم ♦

قلت : وما هو مثالك الادبي ؟
قال : ليس من يغمس قلمه بالجبر كمن يغمسه بدم القلب ♦
وكانت الشمس قد انحسرت كثيرا عن القبة العالية ، وبدأت تهب علينا نسمات حمص البليلة المنعشة ، وبدا على وجه الاستاذ عبد المسيح ارهاق لم ينجح في اخفائه ♦♦♦
فاستأذنت وانصرفت ♦♦♦

نظرة المغرب الى العالم العربي بعد الرحلة

هذا الكتاب أردت من وضعه اطلاق ضوء وان ضئيلا على الحالة النفسية في البلاد العربية مما وعيته من تحرر الشعب في سورية ومصر وسواها من الاقطار العربية التي تنشُد وحدة الصفوف العربية ، على غرار اتحاد فدرالي ، ضمن استقلال داخلي واسع ، يهدف الى جمع شتات الامة العربية في بوتقة دولية لا يسيطر فيها واحد على الآخر ، ولا يمتص قطر استقلال قطر آخر ، ولا يستغله لمصالحه السياسية والاقتصادية .

حدثت في سورية انقلابات متتالية وأخالها جميعا جاءت نتيجة لانطلاق الوعي من صدر الامة فهي ان لم تكن قد جاءت بما يذكر بأي خير للشعب السوري غير أنها أزاحت النعاس عن مقلته وأهابت به

للجري وراء استقلاله التام والقضاء على مكايد الاستعمار الأجنبي ،
وقطع دابر الاقطاع الداخلي المتعدد الالوان ، وقد بدأت اشباح الاقطاعية
الداخلية تنقلص شيئاً فشيئاً والحمد لله ، ذلك أن هذه الاقطاعية التي هي
من رواسب العهد التركي ليست عميقة الجذور ولا متسعة النطاق •

وحدثت في مصر أيضاً ثورات متتابعة ، يتنازعها المد
طورا والجزر تارة ، وتشتد حيناً وتلين أخرى فهب
الشعب المصري مطالباً بحقه في الحياة والعدالة الاجتماعية
على مبادئ الديمقراطية والتعاونية والاشتراكية ، وهي مبادئ
تلبس في كل نظام حكومي حلاً متباينة متناقضة، بينها ما هو أصيل وبينها
ما هو دخيل ، وهي لها في الشرق معنى ، وفي الغرب معنى آخر • وبين
المعنيين هوة عميقة ، وتفسير متنوعة تذهب بالاهداف والغايات
الصحيحة •

هكذا رأيت الشعب على نشاط بدائي كثير وعلى وعي وفير يتطلع
الى الامام غير وجل وقد ادرك الآن أن له وطناً وعليه مسؤولية رعاية
هذا الوطن بساعده وقدمه وعقله وضميره حراً من تقاليد رزح تحت
أثقالها زمانا جعله عبداً لمطامع زعمائه وعبداً لمطامع أجنبية •

رأيته في مصر وسورية ولبنان واعيا لا نائماً متناسياً حقه على الحياة
وواجبه نحو بلاده التي أصبحت حرة وهو يدرك تماماً أن عليه العمل
فرداً وجماعة لرفع مستواه المعيشي ولرفع مستوى وطنه في الميدان
الدولي •

ورأيت الشباب عليماً أو طالب علم يحمل في نفسه هوى وطنياً لم
يع مثله قبل هذا الزمان ولا بدع أن تتفجر القوى النائمة في أعماق النفوس،

وتبرز المواهب وتنصل العقول وتتشدد العزائم لتبني بناء علميا جديدا
وطنا عريقا مجيد الصفحات ، رائع الآثار والحضارات ، في كل شبر من
أرضه تاريخ متألق النور ، وفي كل حجر من حجاره قارورة عطور •• وفي
كل سهل من سهوله قيثاره شحرور ، ومزمار عصفور ، وهتاف يعاتق
العصور ، وملعب صقور وكناس ظباء وبدور وفي كل بادية من بواديه
رمال تحلم بالعطاء ، فترفع سرايها صلاة الى امساء • وركعة شمس
واباء • وفي كل راوية تتأرجح انفاس الحب والاشواق ، وينتفض للحرية
والكرامة لواء خفاق ، والخيبر والانسانية زند عملاق ، واذا الروابي
اغرودة انطلاق واشراق •

وهانذا الآن أجمع أمني مع تلك الآمال التي يرعاها ركب الشعوب
العربية متجها بمضمون هذا الكتاب الى اخواني المغتربين الذين اعذر
لهم حيرتهم كما عذرت لنفسي حيرتها بعدما رحلت الى الوطن جائلا في
دوائره ومصانعه ومتاحفه ومكاتبه فأبصرت ووعيت لوطني روحا جديدة
ناهضة كانت الدعايات الاجنبية ولا تزال تتعامى عنها وتصد اخبارها عن
مسامعنا في مغرباتنا •

ايها الاخوان المغتربون خذوها مني كلمة صادقة وجدانية تعرفكم
بعد اليوم بوطن آبائكم كما هو حالا يتوكأ على علم أبنائه واخلاصهم
ووطنيتهم وشغفهم باستعلاء وطنهم في جميع حلبات العمران •

خاتمة المطاف

قدر الله تعالى لواضع هذا الكتاب أن يجتمع بوطنه الاول بعد نصف قرن وثلاث سنوات قضاها مختربا بجسده ولكن روحه ما برحت تجنّد قلبه وقلمه لخدمة بلده وامته ♦

وما كنت قبل ذلك التقدير من رب القضاء غير حائر في أمر غربتي وما راودها من الرغبة في العودة ولو ببضعة أشهر أكحل خلالها العين برؤية التغييرات العصرية من عين ومن معنى مما تدافعت فيه عجالات التقدم النفسي والعمران البلدي ♦

ولقد حرت زمنا في أمر الغربة والرغبة اللتين ذكرتهما الا انا نحن المخاليق قلما تظن الى أننا كثيرا ما ندعوا انطلاق أقدامنا ليس الا من جراء ارادتنا في حين أن الحياة تسيّر خطواتنا من حيث ندري ولا ندري ♦ هكذا رأيتني مدفوعا للانطلاق من الغربة الى العودة وكان ذلك من نعم الحياة وتقديرها ♦

وعلى أثر تلك الرحلة أحسست بالهام من لدن الحياة بأن اختمها

بكتاب ينوب عني خاصة لدى اخواني المغتربين الذين لا بد من انهم يرغبون في استطلاع ما أحدثته رحلتي من الانطباعات •

لهذا أقدمت على وضع هذا الكتاب ليشارك معي كل من يقرأه في انطباعاتي فأنا منهم مغترب طاف في أنحاء الوطن الاول وشاهد ما شاهده باشراف الضمير الحر ناهجا به نهج مغترب لا يأمل من ذلك الوطن الا أن يستمر على رقيه بعد أن أصبح قياده من نفسه •

وأنا حيال هذا كله راغب الى القارىء في أن لا يكتفي بالصورة التي عنها ارتسمت انطباعاتي فلقد زرت الوطن وهو لا يزال في مطلع الطفولة الدولية فاستقلاله لم يكن الا منذ سنوات قليلة الا اني رأيتة يجبو على قدميه بصحة مأمولة وبوعي منشود متطلعا الى الامام ثابت الاقدام وآملا ببلوغ الشباب عندما يصير تام الاهداب مقدما على تحقيق أعلى الرغبات •

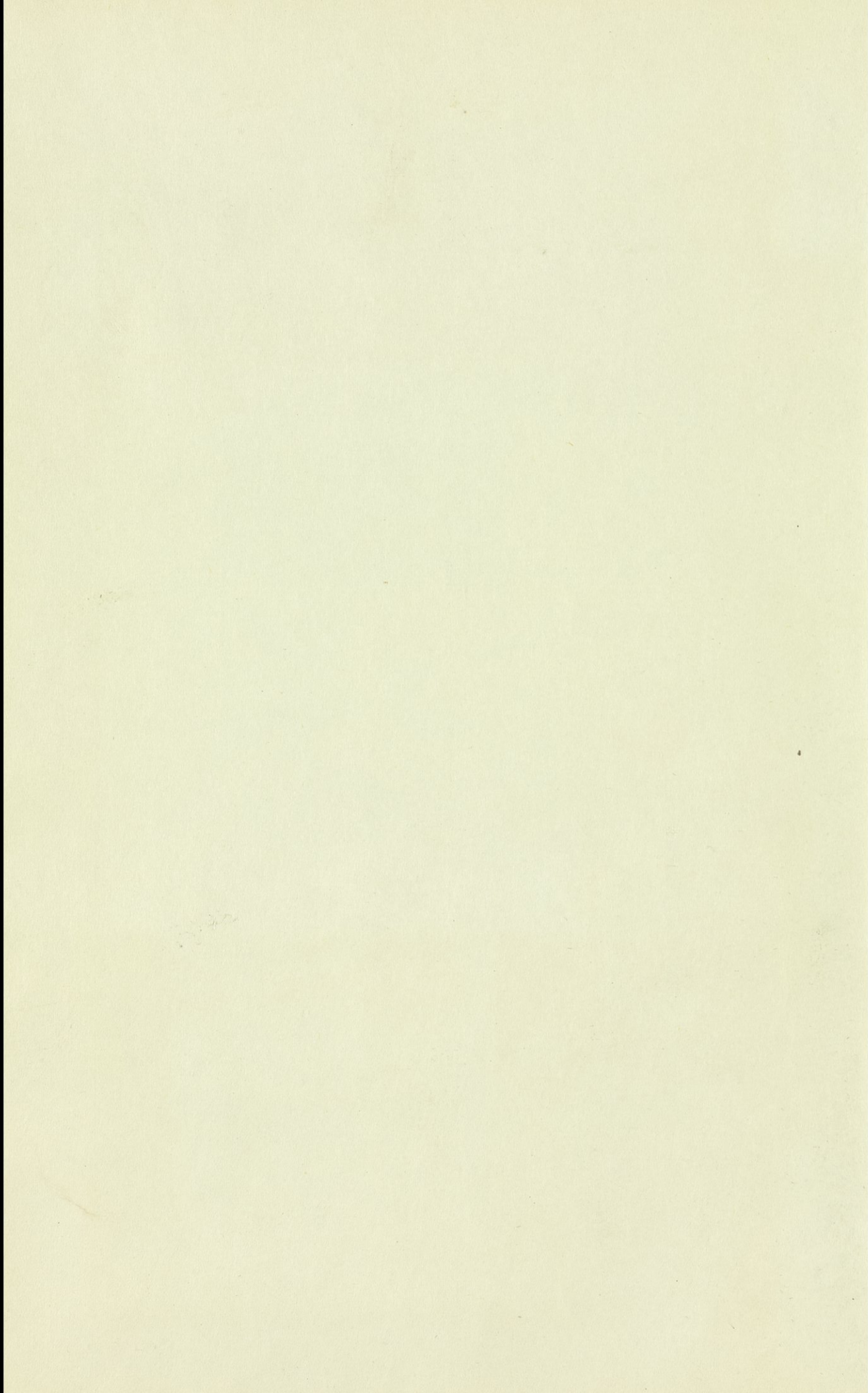
الروح الوطنية في وطننا الاول راغبة واذا كان الوطن لا يزال في بدء سيره على قدميه فلقد رأيتة ينشط لركوب السلاهب في طرق عصرية تبلمغه من غير شك أبعد المراتب مهما تتزايد أمامه المشاق والمصاعب •

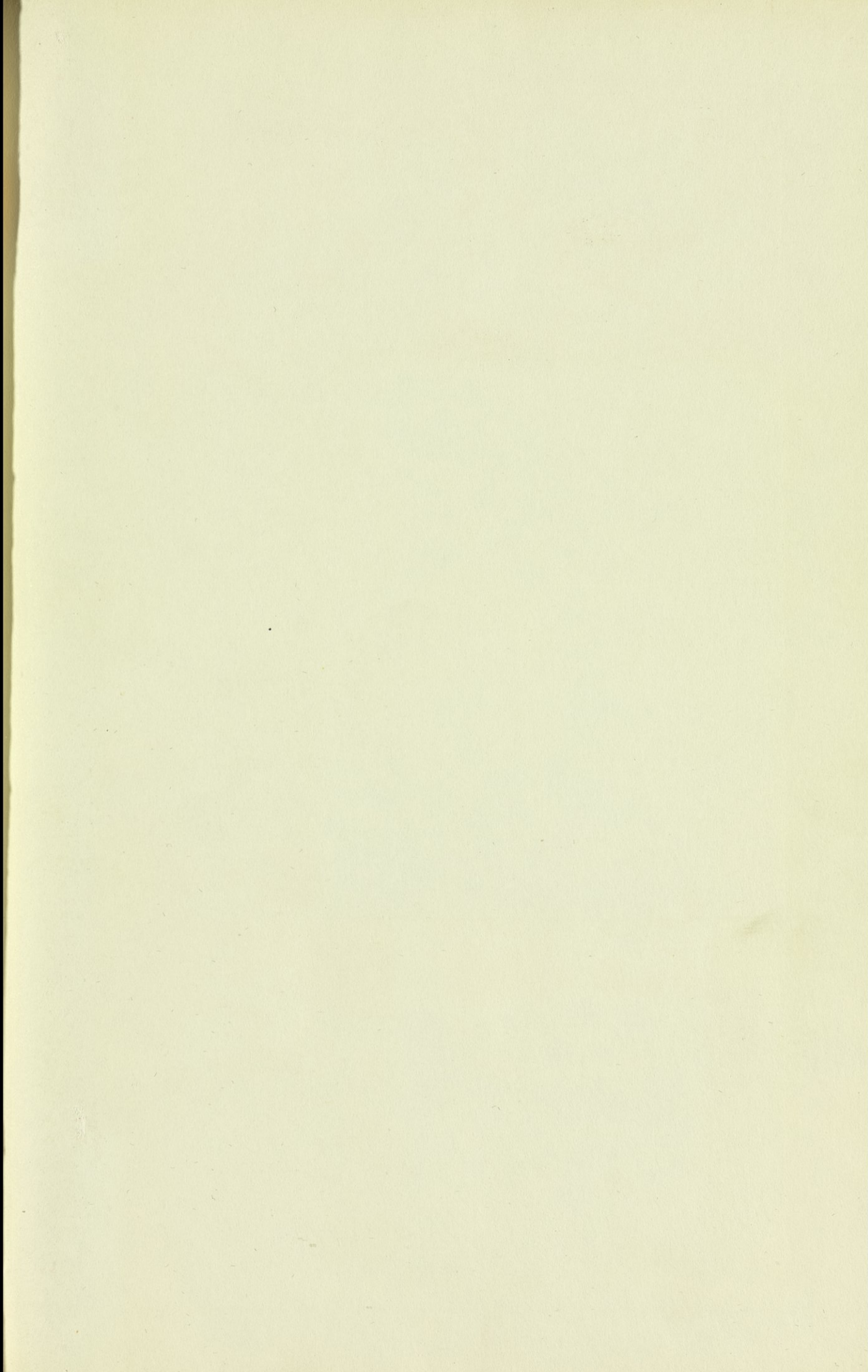
هذا كتابي قد أملاه عليّ ضميري أمامي ، أقدمه خاصة للملأ المغترب - هذا الملأ الذي حار مثلي حيال مختلف الدعايات الاجنبية التي تجعل الابيض أسود والاسود ابيض حتى تغيب الحقيقة عن أبصارنا • ولي الآن ان استنهض اخواني المغتربين للتنكب عن تلك الدعايات الخبيثة فلا يقيمون لها أي معنى فهي لغايات الذين كرهوا لوطن آبائنا - وطننا الاول ، استقلاله وحرية أهله الا ان انطباعاتي هذه لا بد من أن تنتقل من نفسي الى نفوس اخواني ليروا بعدئذ ان الامة العربية جمعاء قد استيقظت من طويل سباتها وهي عامدة الى جمع شتاتها ثم الى رفعة شأنها وتفجير حياتها الداخرة بالذكاء ومضاء العزيمة

لترقى المراقي العليا ولتختط لنفسها الطرق المؤدية الى السلام باقدام
وتعاون وخير نظام بقيادة الزعماء الاباة الاوفياء والرجالات المخلصين
الاصفياء الى مرامي الحياة الداعية امتنا الى العمل بما وفرته في نفوس
قادتنا من الاخلاص والوفاء بعهد الامة وبما في الامة نفسها من وفر
الذكاء ورعي العهود وحفظ الذمام ♦

وأقول في الختام : هذه انطباعاتي لم تطبعها على صفحات نفسي أية
الغايات النفسية - خذوها عني وادرسوها واذكروا معي أن الامل
وطيد بارترقاء امة يعرب في جميع طرق الاجتماع والعمران فقد حررتها
الحياة لتحرر من تاريخ العصر الدولي خير الصفحات وتعيد الماضي
السعيد ، وما عليه من نفسها كل مزيد ، يجعلها محترمة من قريب وبعيد ،
ومرموقة بعيون الاعجاب والتأييد ♦









0026812800

956.9
H118

